

جامعة اليرموك  
كلية الآداب  
قسم اللغة العربية وآدابها

# المنظومات النثرية

الجزء الأول - الدراسة

الطالب

بلال فتحي محمد سليم ناصر

الرقم الجامعي (٩٠١٠١٠٠٥)

إشراف

الأستاذ الدكتور

علي توفيق الحمد

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير

في قسم اللغة العربية وآدابها

تخصص اللغة والنحو

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور: علي توفيق الحمد (مشرفاً)

الدكتور: حنا جميل حداد (عضواً)

الدكتور: محمد حسن عواد (عضواً)

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١١/٤/١٤٢٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الزهراء

بلى كل من كان له أثر حسن في البعس

والباعس

زهري هزرا العسل المتواضع...

بلال فتحي محمد سليم

## مقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، أحاط علمه - تعالى - بكل شيء، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وصلى ربي وسلم على المبعوث رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون، من الله عليه بفضل عظيم إذ قال: (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا). صدق الله العظيم.

وبعد، فعلم النحو من أشرف علوم العربية قديماً، ومن أعظم العلوم اللسانية الحديثة شأنًا، وهو واحد من العلوم الشرعية الجليلة؛ إذ لا يستقيم فهم لآية من غير وجوده أداة لازمة، ولا يتحقق استنباط لحكم شرعي من نص مع فقدانه وعدمه، فكانت عناية علماء الأمة بهذا العلم فائقة، وأهتمامهم به أربى على الغاية المقصودة منه، فتوسّعوا في الدرس والبحث والتنقيب عن دقائق هذا العلم وتمحيصها، فظهر الخلاف الذي هو سنة بين البشر بوصفهم كذلك، وكثرة التأليف والتصنيف فيه، حتى بلغ حدًا اقتضى شيوعه فن كان قد ظهر أول ما ظهر في النحو مصاحباً لبدايته ونشأته في العلوم الأخرى؛ ألا هو النظم العلمي أو الشعر التعليمي، ليكون بذلك مرحلة من مراحل تطور علم النحو، ويشق طريقه بعد ذلك ليصبح مضماراً يستبق فيه ذوو الشأن من العلماء.

كان النظم النحوي طريقة جديدة لتناول المادة النحوية، وصار سنة متبعة في عرض نيك المادة، فتشعبت مسالكه وتفرعت، شأنه في ذلك شأن العرض

النثريّ للمادّة النحويّة وتعدّدت مذاهب الناظمين في نظّمهم من جهتين:

الأولى: جهة الشكل، يتضمّن ذلك اختيار البحر الشعريّ وما يتّسم به كلُّ بحرٍ من سماتٍ وخصائص يُراعي الناظم في اختياره البحرَ مناسبتَه للإطار العامّ الذي يريده اختصاراً أو إطالةً. ويتضمّن أيضاً القافية وحسن اختيارها لتناسب الخطوط العريضة التي يبني عليها عرضه لمادّته.

الثانية: جهة المضمون، يتضمّن ذلك أن يجعل الناظم عرضه مادّته ملائماً البحر والقافية اللتين اختارهما وما يستوجبُه ذلك من تقديم، وتأخير، من ضرورةٍ وجوازٍ، من عباراتٍ مألوفةٍ وغير مألوفةٍ، من تصرفٍ في الشواهد ونوع هذا التصرف، من سرده اللغات الواردة في مسألته واقتصاره على بعضها وعدم إيراد شيءٍ من ذلك، من التوسّع في التمثيل أو التقليل منه، من ألفه في أمثله أو غرابه فيها، من التصريح بالقاعدة والاقتصار على الإشارة إليها أو الاكتفاء بالمثال ليدلّ عليها، ومن التعرّض إلى الخلاف النحويّ تصرّيحاً أو تلميحاً أو عدماً. وغير ما سبق من الأمور التي يؤثّر فيها الشكل في طريقة عرض المادّة النحوية.

أصبح للمنظومات النحوية شأنٌ آخر حين تناولها الطلبة والباحثون والمتخصصون في النحو بالشرح بأنواعه، وأجروها مجرى المؤلفات النحوية النثرية. وكثرت متعلقات المنظومات النحوية كالشرح النثري والاقتصار والتحشية والتعليق والاستدراك والشرح النظسي والشرح المزجي وغيرها، ونظّم العلماء كتباً نحوية

كاملةً لسابقهم أو معاصريهم أو بعضاً من كتاب.  
والمنظومات النحوية لم تستقل ببحثٍ شاملٍ يشفي غليلَ الباحثين والدارسين فلم يسبق لباحثٍ - في حدود ما علمت - أن خاض لجة هذا البحر وخصّها بدراسةٍ وافيةٍ مستقلةٍ، مع أننا لا نعدمُ باحثين طرّقوا بابها كلٌّ من جهةٍ خاصّةٍ، فيجدُ الباحثُ شذراتٍ هناك، وإشاراتٍ هنا تعينُ باحثاً قصدَ الإدلاءَ بدلوهِ محاولاً إيجادَ أثرٍ يقتفى.

أما نشأة المنظومات النحوية فاكتنفها شيءٌ من الغموضِ ولفّها جناحٌ من الإبهامِ، فبات لازماً كشفُ شيءٍ من الحجبِ التي غطّت أمرَ ظهورِها ونشأتِها، ولا يكونُ ذلك إلا بالغوصِ في غياهبِ التاريخِ مع بُعدِ الشقّةِ وما يستلزمُه من المشقّةِ. يُضافُ إلى ما تقدمُ أنّ المنظوماتِ النحويةَ منها ما وصلَ إلينا كاملاً وحفظتُه المكتباتُ ومنها ما أتتْ عليه عوادي الزمانِ وأطبقتْ عليه يدُ الضياعِ والزوالِ، فصارتْ أثراً بعدَ عينٍ، مع أنّ ما وصلَ إلينا منها ما زالتْ متاحفُ العالمِ ومكتباتُه تزيدُه تفرّقاً وشتاتاً فلو أرادَ باحثٌ مخطوطةً لمنظومةٍ أو نسخةً عنها فإنه يُعاني أيّما معاناةٍ في سبيلِ معرفةِ مكانِ ضالّتهِ، وحصرِ نسخِها - إذا تعدّدتْ -، أضفْ إلى ذلك أن تكونَ المنظومةُ المقصودةُ قد طُبعتْ في العقودِ الغابرةِ والأصقاعِ المتفرّقةِ.

هذه دواعٍ حدّتْ بي إلى أن أخوضَ غمارَ هذا الأمرِ الذي يبدو معتاصاً على

مُقْتَحِمِهِ، وَإِنَّهُ حَقًّا كَذَلِكَ لَوْلَا مِنَّةُ اللَّهِ وَفَضْلُهُ عَلَيَّ بِأَنْ أُمَكِّنَنِي مِنْ إِعْدَادِ  
(ببليوغرافيا) شاملة انتظم في سِلْكِهَا مَا وَصَلَ إِلَى عِلْمِي مِنْ منظوماتٍ نحويّةٍ  
وماتعلّق بها، مخطوطها ومطبوعها، وماتوقّف<sup>فيه</sup> الأمر على خبرها، إذ ذُيِّلَتْ هذه  
الرسالة بهذه (الببليوغرافيا) وانبئني بحثي في المنظوماتِ النحويّةِ عليها.

ومع ذلك فهناك عقباتٌ ومصاعبٌ اعترضتْ طريقَ هذا البحثِ المتواضعِ، منها  
قلةُ ما وصل إلينا من منظوماتٍ، وتفرّق ما وصل إلينا في أنحاء العالمِ،  
وصعوبةُ الحصولِ على المُبتَغى منه، فاقتصرَتِ الدراسةُ على بعضٍ مما تيسّرَ  
الرجوعُ إليه.

ومنها سعةُ البحثِ وتعذُّرُ الإحاطةِ به، وذلك لاختلافِ جهاتِ تناوُلِهِ، فهناك  
الدرسُ التاريخيُّ للنظمِ النحويِّ نشأةً وتطوراً، وهناك الدرسُ الشكليُّ عروضاً  
وقافيةً، وهناك الدرسُ الأسلوبِيُّ التركيبيُّ للتعبيرِ وطرقِ الأداءِ في عرضِ المادّةِ  
النحويّةِ، وجهةُ التناولِ الأخيرةُ التي هي أكثرُ أهميّةً الدرسُ النحويُّ تفصيلاً  
واستشهاداً وتمثيلاً وخلافاً، إذ تحتاجُ كلُّ واحدةٍ من تلكِ الجهاتِ إلى بحثٍ  
مستقلٍّ مستفيضٍ، وانعكسَ ذلك على البحثِ بعدمِ الإحاطةِ بكثيرٍ من الجزئياتِ  
أو حتى التعرّضِ لبعضِها، وربما أفقدتْ هذه الصعوبةُ في بعضِ الدقائقِ العمقَ  
في الدرسِ والتحليلِ.

ومن تلكمُ العقباتِ تفرّعُ البحثِ وضرِيهَ جذوره في علومٍ كثيرةٍ، ابتداءً بالتاريخِ  
وتعريباً على اللغةِ بفروعِها؛ لغةً ونحواً وصرفاً وعروضاً وقافيةً وأدباً، وانتهاءً

بفهارسِ دورِ الكتبِ والمخطوطاتِ، وفهارسِ الكتبِ المطبوعةِ، وكتبِ التراجمِ والسيرِ، يقتضي ذلكُ الباحثُ الأخذُ من بعضِ تيكِ العلومِ بَطَرْفٍ، والإحاطةُ -نسبياً- ببعضِها.

وعقبةٌ أخرى كانت قاصمةً الظهر؛ أنْ كُتِبَ على هذا البحثِ أنْ ينشأ ويترعرعُ ويصلبُ عودُه في قريةٍ من قُرى محافظةِ معانَ، يستوجبُ ذلكُ التسفارَ بينَ حينٍ وآخرٍ في مسالكٍ طويلةٍ شاقّةٍ، للتزوّدِ بالرأيِ الصوابِ من أستاذي الفاضلِ المشرفِ على البحثِ، وأخذِ المشورةِ من بعضِ المعنّينِ والمتخصّصينِ، وارتدادِ المكتباتِ -على تفرّقِها- للاستعارةِ أو النسخِ أو الكتابةِ معَ ما رافقَ ذلكَ من مشقّةٍ وما اكتنّفه من ضيقٍ في الوقتِ و غيرِ ذلكِ.

ومعَ ما واجهَ البحثُ من عقباتٍ ومشكلاتٍ بُنيَ -بعونِ اللهِ وتيسيره- على قدرٍ من المصادرِ والمراجعِ المتنوعةِ انقسمتْ إلى ما يلي:-

- ١- كتبِ اللغةِ والنحوِ والصرفِ، قديمِها وحديثِها .
- ٢- كتبِ العروضِ والقافيةِ.
- ٣- كتبِ الأدبِ والنقدِ.
- ٤- كتبِ التراجمِ والسيرِ.
- ٥- كتبِ فهارسِ دورِ الكتبِ والمخطوطاتِ والمتاحفِ المتضمنةِ لمنظوماتٍ نحويةِ.
- ٦- فهارسِ الكتبِ المطبوعةِ.
- ٧- المعاجمِ والموسوعاتِ المختلفةِ.

- ٨- كتب التاريخ.
- ٩- الحديث النبوي وأصول الفقه والقراءات والعقائد.
- هذا من جهة موضوعات المصادر وتخصّصها، أمّا من جهة صدورها فانقسمت قسمين:
- ١- الكتب
- ٢- المجلات والنشرات الدورية.
- ومن جهة طبع المصادر وعدمه انقسمت قسمين:
- ١- الكتب والمجلات المطبوعة طبعا تجارية، آلة كاتبة، طبع حجر، ستانسل، أو ما صوّر عن هذه الطبعا.
- ٢- مخطوطات أو ما صوّر عنها.
- ثم قسّمت الرسالة إلى جزأين:
- الجزء الأول: متن الرسالة .
- الجزء الثاني: ملاحق الرسالة.
- اشتمل متن الرسالة على مقدّمة وفصول أربعة، درست في الفصل الأول المنظومات النحوية دراسة تاريخية. تناولت الدراسة ارتباط النظم النحوي بالنظم العلميّ عامّة، وبحثت في أوائل المنظومات العلميّة ثم عرضت مفصّلاً عوامل ظهور النظم النحوي، وأول منظومة نحوية، وناقشت هذا الأمر الأخير مناقشةً مستفيضةً للوصول إلى غلبة ظن في ذلك.



ثم تَبَعَتْ في هذا الفصلِ تَطَوُّرَ النِّظْمِ النُّحَوِيِّ، مَعْرِجاً عَلَى أَشْهُرِ مَنْظُومَةِ نُحَوِيَّةٍ وَأَسْبَابِ اشْتِهَارِهَا وَشِيوعِهَا بَيْنَ الدَّارِسِينَ وَالبَاحِثِينَ.

ثم خَتَمَتْ الفِصْلَ بِدِرَاسَةِ مَوْجِزَةٍ لِآثَارِ النِّظْمِ النُّحَوِيِّ فِي النُّحُوِّ العَرَبِيِّ وَدَرَسِهِ.

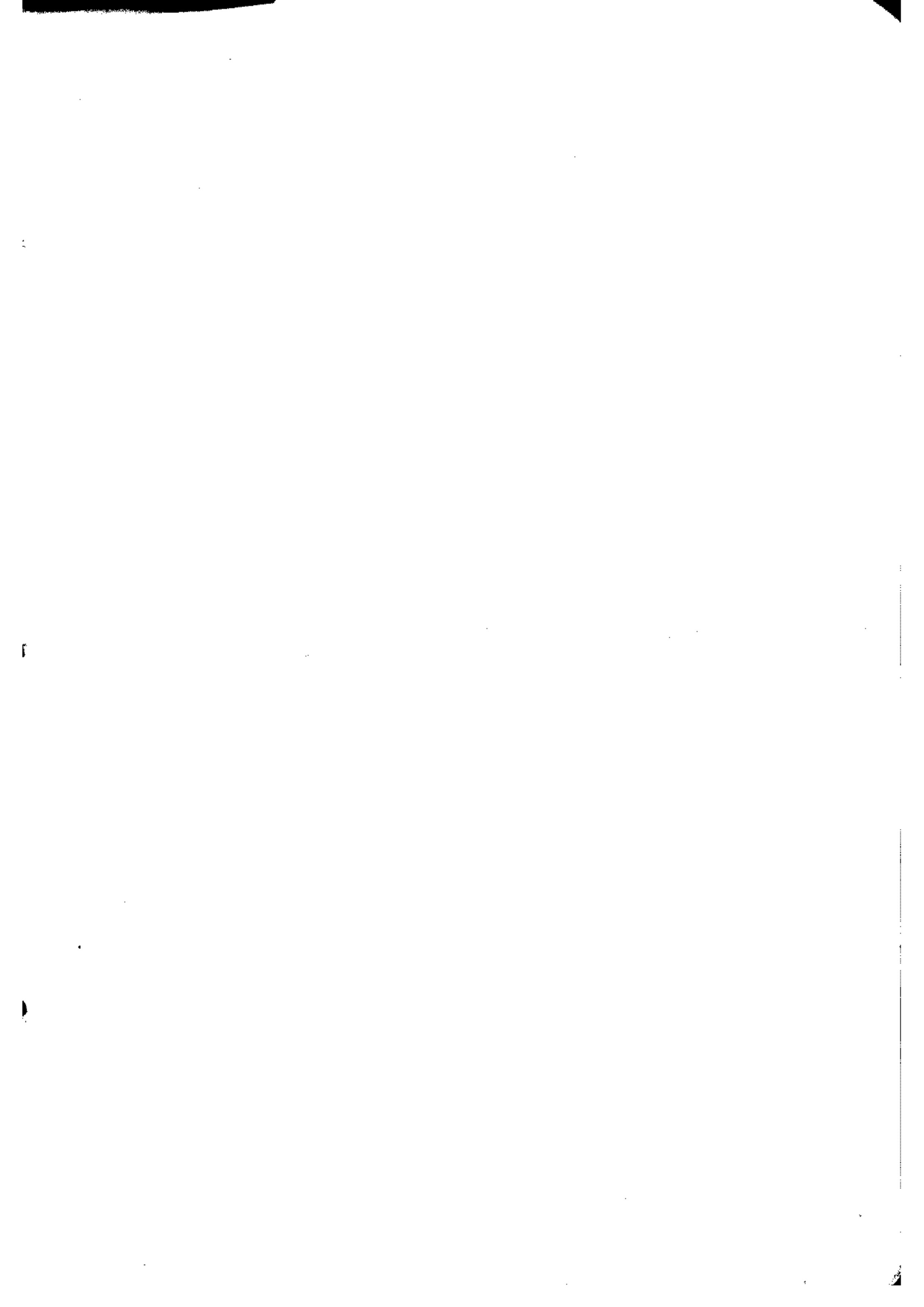
أَمَّا الفِصْلُ الثَّانِي فَخُصَّصَ لِدَرَسِ العُرُوضِ وَالقَافِيَةِ، وَكَانَ قَسْمِينَ؛ قَسْمُ العُرُوضِ وَأَثَارِهِ فِي عَرَضِ المَادَّةِ النُّحَوِيَّةِ، دَرَسْتُ فِيهِ بَعْضاً مِنْ خِصَائِصِ أَشْهُرِ البُحُورِ الَّتِي نُظِمَ فِيهَا فِي النُّحُوِّ، وَدَرَسْتُ بَعْضاً مِنْ الآثَارِ العُرُوضِيَّةِ الَّتِي تَظْهَرُ فِي الأَدَاءِ التَّعْبِيرِيِّ النُّحَوِيِّ.

ثم قَسَمَ القَافِيَةَ، الَّتِي ابْتَدَأَ بِمَنَاقِشَةٍ بَعْضِ تَعْرِيفَاتِهَا، ثُمَّ عَرَضَ عِيُوبَ القَافِيَةِ وَتَعْرِيفَاتِهَا وَمَاقِعَ فِيهَا النَّاظِمُونَ أَوْ بَعْضُهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ تِيكَ العِيُوبِ، وَكَانَتْ دِرَاسَةُ آثَارِ القَافِيَةِ فِي التَّعْبِيرِ النُّحَوِيِّ نَهَآئَةً لِهَذَا القَسْمِ.

ثم أَفْرَدْتُ مَوْضُوعِي الاسْتِشْهَادِ وَالتَّمثِيلِ بِفِصْلٍ كَانِ الثَّالِثَ، وَكَانَ لِكُلِّ مَوْضُوعٍ مِنْهَا قَسْمٌ خَاصٌّ بِهِ، إِذْ عَرَضْتُ طَرَائِقَ النَّاظِمِينَ فِي الاسْتِشْهَادِ مِمَّا يَكُونُ أَثَرًا لِلنِّظْمِ، وَعَرَضْتُ لِتَصَرُّفِ النَّاظِمِينَ فِي الشُّوَاهِدِ، كُلُّ ذَلِكَ اخْتَصَّ بِهِ القَسْمُ الأَوَّلُ الَّتِي هُوَ الاسْتِشْهَادُ فِي المَنْظُومَاتِ النُّحَوِيَّةِ.

أَمَّا تَحْدِيدُ مَفْهُومِ التَّمثِيلِ، وَدَرَسُ العَوَامِلِ المَوْثُورَةِ فِي التَّمثِيلِ فِي المَنْظُومَاتِ النُّحَوِيَّةِ، وَتَفْصِيلُ خِصَائِصِ التَّمثِيلِ مِنْهَا؛ فَانضَوْتُ تَحْتَ لَوَاءِ القَسْمِ الثَّانِي مِنْ الفِصْلِ الثَّالِثِ.

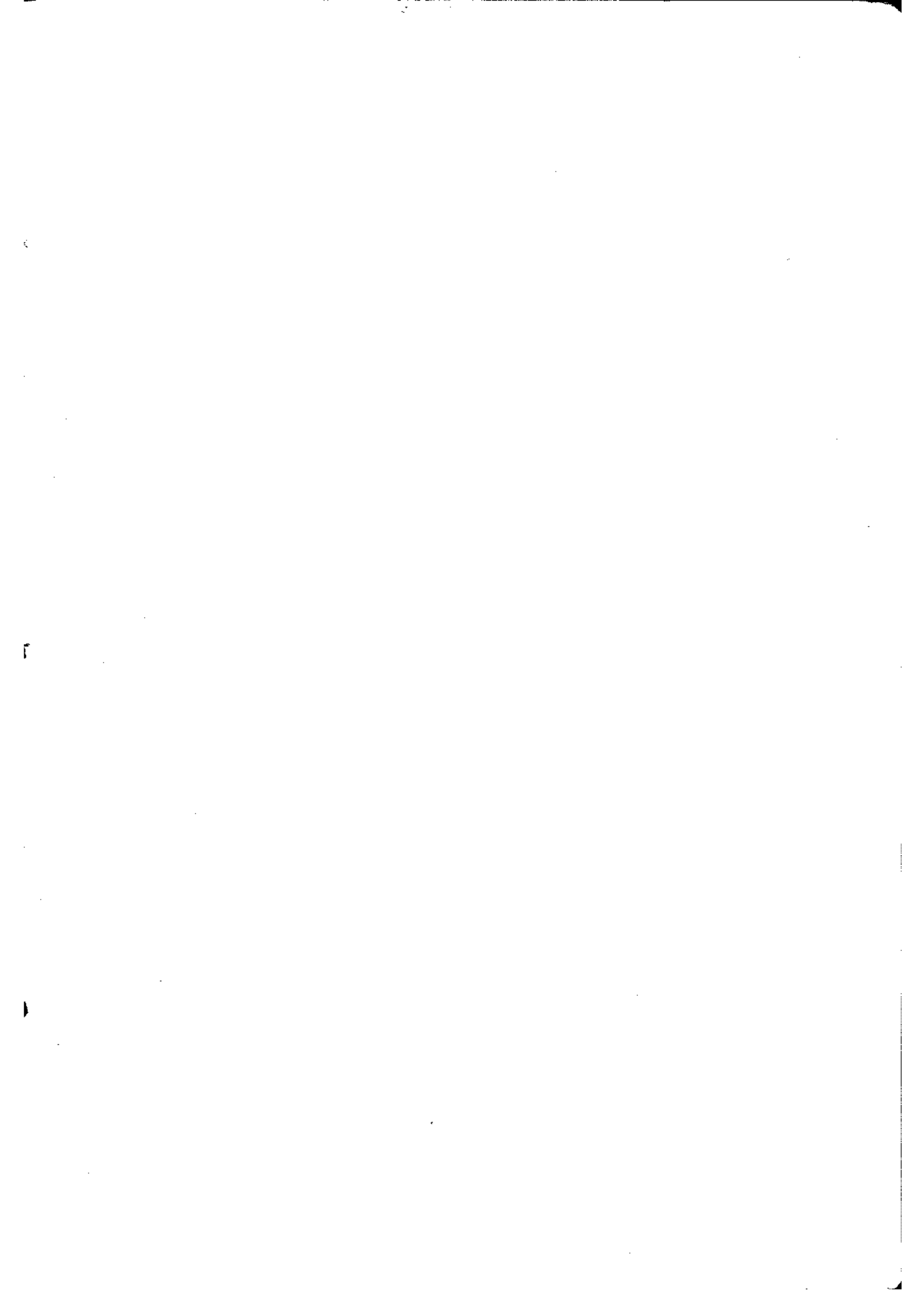
وَخُصَّصْتُ الفِصْلَ الرَّابِعَ لِدَرَسِ قِضَايَا نُحَوِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي المَنْظُومَاتِ النُّحَوِيَّةِ،



البَابُ الْأَوَّلُ

الخَلَائِفَاتُ النَّارِجِيَّةُ





مقدمة موجزة عن الفترة التاريخية  
التي سبقت العهد القاجاري

بعد قرن تقريبا من موت تيمور تأسست الأسرة الصفوية وتوحدت الهضبة  
الایرانية من جديد تحت نظام سياسي موحد وحكم الصفويون ايران من عام ٩١٨ -  
١١٥٣ هـ . ق ( ١٥٠١-١٧٣٦ م ) وقد شهدت ايران في العهد الصفوي درجة  
من الرخاء وال عمران والاستقرار السياسي<sup>(١)</sup> وخاصة في عهد الشاه عباس الأول الصفوي  
الذي حكم من ١٠٠٤ - ١٠٤٦ هـ . ق ( ١٥٨٧-١٦٢٩ م ) . وبعد عباس الأول  
اتجهت الدولة الصفوية الى التدهور نتيجة لأسباب عدة نذكر منها : تفكك الأسرة  
الحاكمة ، والسيطرة المتزايدة للحريم وتدهور الأوضاع الاقتصادية<sup>(٢)</sup> وممارسة  
المجاهدين وعلماء الدين للسيطرة السياسية المتصاعدة .  
ونتيجة لهذا التدهور الذي حاق بالدولة الصفوية في أواخر عهدها تغلغت فرقة  
من الأفغان بقيادة محمود الأفغاني داخل ايران عام ١١٣٩ هـ . ق / ١٧٢٢ م . ووصلت  
حتى مشارف أصفهان دون مقاومة كبيرة وضربت حصارا حول المدينة في أكتوبر  
١٧٢٢ م . وقد استمر الحكم الأفغاني في ايران مدة سبع سنوات من ١١٣٩-١١٤٦  
هـ . ق / ١٧٢٢-١٧٢٩ م . ورغم ذلك لم يتمكن محمود الأفغاني ولا خليفته أشرف من  
إخضاع شمال ايران وغربها لسيطرتها .  
وفي عام ١١٤٦ هـ . ق / ١٧٢٩ م ظهر نادرخان الأفشاري الذي طرد الأفغان  
الى خارج أصفهان وأعلن نفسه حاكما على ايران تحت دعوى إعادة العرش الصفوي

(١) A very (Peter): Modern Iran, pp.18, London, 1965

(٢) Frye (Richard): Persia, pp. 74, London, second ed., 1972

وفي عام ١١٥٣ هـ / ق ١٧٣٦ م تخلى عن هذه الدعوى وتوج نفسه ملكا ولقب بنادرشاه وطرد القوات التركية والروسية من الأراضى الإيرانية ، وفي عام ١١٥٦ هـ / ق ١٧٣٩ م قام بغزو الهند في حملة كبيرة ودخلها فاتحا وسحق قوة المغول بها (١) ، وحصل في طريق عودته من الهند كثيرا من كنوز الهند وثرواتها ، وقد قتل نادرشاه عام ١١٦٤ هـ / ق ١٧٤٧ م على يد أحد حراسه ، وظلت إيران في نصف القرن الثاني في حروب أهلية بين الزنديين والفرق القاجارية ، ومنذ عام ١١٦٧ هـ / ق ١٧٥٠ م ظل جنوب ووسط إيران تحت حكم الزنديين من مركزهم في شيراز حتى عام ١٢١٠ هـ / ق ١٧٩٥ م حيث حقق آقا محمد خان تاجارا إنتصارات على الأسرة الزندية وأسس الأسرة القاجارية .

---

(١) شرع نادرشاه في غزو الهند عام ١١٥١ هـ / ق ١٧٣٨ م ، فخرج في جيش كبير من إيران واستولى على المدن التي كانت في طريقه إلى الهند ودخل في معركة فاصلة مع القوات الهندية في ١٥ ذي القعدة ١١٥١ هـ / ٢٤ فبراير ١٧٣٩ م ، انتهت بانتصاره ودخوله العاصمة برفقة محمد خان الحاكم المغول حيث قرئت الخطبة بالدعاء له وضربت العملة باسمه .

A very (Peter): Modern Iran, pp.17

## نبذة عن تاريخ تأسيس أسرة آل قاجار

طائفة آل قاجار هي إحدى طوائف الترك التي نزحت في القرن السابع الهجري أثناء هجوم چنكيزخان من وسط آسيا إلى غربها، وانتقلت شيئاً فشيئاً من أراضى إيران إلى حدود الشام حيث استقرت، ونتيجة لحطة الأمير تيمور التي استمرت سبع سنوات عادت طائفة آل قاجار من الشام إلى الجانب الشرقى وأقامت حول كنج، وكانت طائفة آل قاجار إحدى الطوائف التركية السبع<sup>(١)</sup> التي كانت موالية للشاه إسماعيل الصفوى والتي عرفت باسم "القلباش"<sup>(٢)</sup>، وتولى زعماء طائفة آل قاجار المهام الحكومية والصفارات في عهد

(١) هذه الطوائف هي: استاجلو، شاملو، تكلو، بهارلو، ذو القدر، قاجار، انصار.

(٢) وتعني "حمر الروس" وقد اطلق عليهم هذا الاسم بسبب القلائس الحمراء التي كانوا يضعونها فوق رؤوسهم، ويطلق هذا الاسم على مختلف الطوائف التركية السنية ساندت الشاه إسماعيل الصفوى في نشر المذهب الشيعى وإقرار الحكم الصفوى، وكان متصرفة القلباش يعتبرون الشاه إسماعيل إماماً دينياً واجب الطاعة، ونتيجة لتضحياتهم في سبيل إقرار الحكم الصفوى كانوا يتولون الحكم في الولايات المفتوحة بالقب "أمير الأمراء"، "بيگلر بگى"، "خان" وغير ذلك، وكان إسماعيل الصفوى يقسم الغنائم والأراضى المفتوحة بين زعماء القلباش ما منحهم نفوذاً وقوة كبيرة في كل أنحاء إيران، ومع بداية حكم الشاه طهماسب بدأ تكالب زعماء القلباش على المناصب الكبرى ونشبت بينهم حرب عنيفة، وبعد موت طهماسب عام ١٨٤٤ هـ ق تصاعد الخلاف بين زعماء القلباش وتعزقت وحدتهم وعاسوا في البلاد فساداً حتى تولى الشاه عباس الصفوى الحكم فأدرك مدى خطرهم، فعمل على الحد من نفوذهم وقوتهم وعهد إلى بعض منهم ببعض المهام.

انظر:

- Wilber (Donald): Iran, Past and present, pp.68  
Princeton, New jersey. 1948

- Frye (Richard): Persia, pp. 50, London, second ed.,  
1972

الطوك الصغويين ، وأولى الشاه عباس الصفوي إليهم مهام حماية الحدود الهامة للدولة وأمكن معظمهم في ولاية " جرجان " لدفع هجمات التركمان ، وعهد إليهم بحماية قلعة " مبارك آباد " (١) وساحل جرجان ، وقد اكتسبت هذه الطائفة شهرة كبيرة وكانت لها مراعى خاصة على ضفتى نهر " جرجان " وعرف من استقر منهم في صعيد ذلك النهر باسم " يوقارى باش " (٢) أما من استقر منهم في الجزء الأدنى من النهر فقد عرفوا باسم " اشاقه باش " (٣) ، وقد دبت الخصومة بين هاتين الفرقتين وأخذت كل منهما في الإغارة على الأخرى حتى هاجرت عشيرة " اشاقه باش " عام ١١٤٠ هـ / ١٧٢٣ م على إثر هذه الخصومات والصراعات من منطقة " مبارك آباد " ونزحت إلى أستراياد وكان من زعماء هذه الطائفة فتحعلى خان ابن شاهقلى خان الذى رافق الشاه طهماسب الثانى بناه على دعوة من الأخير إلى خراسان وقتل بأمر نادرشاه .

كان فتحعلى خان من زعماء طائفة " اشاقه باش " وكان نادر يطمح إلى استئصال شأفة هذه الطائفة وفي هذا السبيل ألقى نادرشاه من شأن طائفة " يوقارى باش " وولى " محمد حسين خان " زعيمها حكومة " جرجان " وكان " محمد حسن خان " ( زعيم الأشاقه باش ) في الثانية عشرة من عمره حين قتل والده وظل يعيش بين عشائر التركمان طوال عهد نادر ، وكان أحيانا يفتخر على جرجان وأستراياد ، وفي إحدى غاراته على تلك النواحي وقع إبنته " آقا محمد خان " أسيرا في أيدي جنود نادر ولكن لم يمس زمن طويل حتى تخلص آقا محمد خان من أسرته وذهب إلى أستراياد وانضم إلى أبيه الذى كان قد استولى على تلك الولاية وأعلن نفسه

---

(١) كانت هذه القلعة من التحصينات العسكرية للشاه طهماسب وتعرف اليوم باسم " يهلوى نذر " .

(٢) يوقارى باش : وتعنى " مرتفعو الروس " .

(٣) اشاقه باش : وتعنى " منخفضو الروس " .



حاكما عليها ، وقد قتل محمد حسن خان في إحدى معاركه مع كريمخان زند فأمر كريمخان بحمل آقا محمد خان والذي كان في السابعة من عمره الى مدينة شيراز كرهينة ، وبعد وفاة كريمخان فرآقا محمد خان الى مازندران مقر عشيرته التي تولي زعامتها .  
وحد آقا محمد خان أفرع قبيلته ودعم قواته عام ١٢٢٩ لم واستولى على تهران ، وكان آقا محمد خان هذا طموحا قاسي الطبع فلم يرحم أعداءه ، وبعد سلسلة من الانتصارات على فلول الأمرة الزندية إحتل آقا محمد خان العرش في تهران عام ١٢١١ هـ . ق / ١٢٩٦ م تحت لقب شاهنشاه في حين أن تاريخ فراره الى مازندران وهو عام ١٢٩٣ هـ . ق / ١٢٩٦ م هو الذي يعد بداية حكمه . (١)

أغتيل آقا محمد خان عام ١٢١٢ هـ . ق / ١٢٩٧ م . بعد أن حقق سيطرة كاملة على ايران بما فيها جورجيا وخلفه فتحعلي شاه الذي إحتل العرش من عام ١٢٩٧ حتى عام ١٢٤٤ م وكان رجلا ذا شخصية هادئة وتمتعت ايران في عهده بهدوء وسلام نسبيين ، وبدأت في عهده الإتصالات المباشرة بالقوى الأوربية بمعاودة تحالف وقعت بين فرنسا وايران عام ١٢٢٢ هـ . ق / ١٨٠٧ م ، وقد تعهد نابليون من وراء هذه المعاهدة أن تفتح الطريق للغزو الفرنسي للهندبرا ، بينما كان على ايران أن تعد العدة لمقاومة القوة المتصاعدة لروسيا القيصرية التي كانت قد ضمت جورجيا عام ١٢١٦ هـ . ق / ١٨٠١ م ولكن سرعان ما إنتهى الصراع بين روسيا وايران بمعاودة گلستان عام ١٢٢٨ هـ . ق / ١٨١٣ م التي أكدت على ملكية روسيا لجورجيا ، وفي عام ١٢٢٩ هـ . ق / ١٨١٤ م وقعت كل من ايران وبريطانيا معاهدة للتحالف الدفاعي ظلت قائمة حتى عام ١٨٥٧ م بينما كانت غير مجددة لايران . (٢)

(١) تاريخ ايران : تأليف : ن . و . بيكولوسكايا ، ا . ا . ياكومسكي ، ا . بطروشفسكي  
ا . بلنيشكي ، ل . ا . استريوا ، ترجمة كريم كشاورز ص ٦١٩ -  
٦٢٠ ، تهران ١٣٥٤ - انتشارات پیام .

Wilber (Donald): Iran, Past and present, pp. 78

وفي عام ٢٤١ هـ / ٨٢٦ ق لم نشبت الحرب مرة أخرى بين روسيا وإيران وتحققت  
انتصارات إيرانية في البداية تلتها سلسلة من الهزائم بلغت ذروتها بإستيلاء الروس على تبريز  
فاضطرت إيران الى توقيع معاهدة تركمانجاي عام ٢٤٣ هـ / ٨٢٨ ق التي نصت على تنازل  
إيران عن إيروان ونخجوان ودشت مغان بالإضافة الى ما حصلت عليه روسيا بمقتضى معاهدة  
گلستان ونصت معاهدة تركمانجاي أيضا على حق السفن الروسية في الملاحة في بحر الخزر  
وأن يكون نهر آرس " حدا بين الدولتين وأن تدفع إيران غرامة كبيرة لروسيا ، وأضيف الى  
هذه المعاهدة فيما بعد بند ينص على منع روسيا حقوقا جمركية واقتصادية في إيران .  
كانت روسيا في ذلك العهد قد أقدمت على سلسلة من التوسعات العسكرية في آسيا  
كانت تتطلع من ورائها الى امتلاكها على المياه الداخلة في الخليج العربي والى صيد  
بريطانيا التي كانت تتطلع أيضا الى السيطرة على الخليج العربي والمناطق المجاورة للهند  
كبرى مستعمراتها ، وقد تعزقت إيران بين المصالح المتصارعة للقوى الأوربية ، وسنتاول تطور  
هذا الصراع فيما بعد .

بعد فتح علي شاه قاجار تولى الحكم ابنه الأكبر " محمد شاه " منذ عام ٢٤٩ هـ / ق  
٨٣٤ لم حتى ٢٦٤ هـ / ق ٨٤٨ لم وقد بذل محمد شاه جهده في سبيل تحسين  
الأوضاع الداخلية فألنى ممارسة التعذيب ومنع جلب المبيد والغلمان الى إيران ، وفي  
أثناء فترة حكمه خطبت روسيا ود إيران متطلعة الى إطلاق يدها وتعزيز مكانتها في  
القوقاز وتركستان ، وقام محمد شاه - بمساندة روسيا - بمحاولة فاشلة لإعادة غزو هرات  
وقد واجهت تلك المحاولة مقاومة عنيفة ناجحة في هرات بمساندة بريطانيا . (١)

(I) Wilber (Donald): Iran, part and present, pp. 78-79

Frye (Richard): Persia, pp. 80-81

## الفصل الأول

### الخلفية السياسية

ناصر الدين شاه قاجار وأهم سمات حكمه :

ناصر الدين شاه هو رابع ملوك الأسرة القاجارية، إرتقى العرش عام ١٢٦٤ هـ . ق ١٠ / ٨٤٨ م . خلفا لمحمد شاه قاجار، وقد إستمر حكمه قرابة خمسين عاما أى حتى عام ١٣١٣ هـ . ق ١٠ / ٨٩٦ م . وقد سادت في ايران في عهدي محمد شاه وناصر الدين شاه فترة هدوء نسبي خاصة وأن ناصر الدين شاه كان ملكا قويا أسك زمام الحكم بقبضة قوية .

بدأ ناصر الدين شاه عهده بإجراء بعض الإصلاحات في الدولة وساعده في ذلك ميرزا تقى خان أمير كبير الذي تولى الصدارة العظمى مع بداية تولي ناصر الدين شاه للحكم وقد تميز هذا الصدر الأعظم بالكفاءة والقدرة على إدارة شؤون البلاد ومجبه للإصلاح والتحديث . صدرت في ذلك العهد أولى الصحف الرسمية عام ١٢٥١ م . وجرت بعض محاولات إصلاح إقتصاد الدولة وإصلاح الجيش ، ودخل أول خط تلفغرافي الى ايران نسي بداية عهد ناصر الدين شاه أيضا ، وتم إصلاح نظام سك العملة وكانت كل مدينة من مدن ايران تتبع نظاما خاصا في سك العملة ونقشها قبل عهد ناصر الدين شاه ثم توحدت في عهده في كل ايران ، وإستقر في عهده أيضا نظام البريد في كل المدن الإيرانية .

وأولت الحكومة الإيرانية في بداية عهد ناصر الدين شاه إهتماما كبيرا للتعليم فافتحت في ذلك العهد الكلية العلمية " دار الفنون " عام ١٢٦٨ هـ . ق ١٠ / ٨٥٢ م . بإهتمام ميرزا تقى خان أمير كبير ، وأوفد الدارسون الإيرانيون الى أوروبا للدراسة على نفقة الدولة وأنشئت عام ١٢٥٥ م . أول وزارة للتعليم وزاد عدد المدارس الحديثة في مدن ايران المختلفة وزاد إنتشار الكتب بفضل دخول الطباعة .

كان ناصر الدين شاه نفسه يساعد في بداية عهده على إجراء الإصلاحات في الدولة إذ كان ميالا الى الإصلاح والتحديث خاصة حين كان يعينه على الإصلاح وزير كفوء كأمير

كبير إلا أن رجال البلاط من غير الوطنيين كانوا يعوقون هذه الكفاحات الإصلاحية التي شكلت عقبة في طريقهم فكانوا لأمير كبير عند الشاه حتى عزله عام ١٨٥١ م. (١) أي بعد ثلاثة أعوام من توليه الصدارة ونفاه إلى كاشان حيث صدر الأمر بقطعه / ونصب مكانه ميرزا آقا خان نوري الذي أعقبه حاجي ميرزا حسين خان سبهسالار الذي حقق إنجازات إصلاحية في البلاد وأظهر علما ودراية كبيرة في تصريف شئون الدولة وقضى على الرشوة وأطلق حرية الوزارات كل في تخصصها وجميعها مسئولة أمام الصدر الأعظم مباشرة، وشجع ناصر الدين شاه على السفر إلى أوروبا للإطلاع على التقدم والتعاون بين الملوك والشعوب<sup>(٢)</sup>، ولكن خصومه إنتهزوا فرصة غيابه وأنفوا إلى الملأت بأن السبهسالار يريد أن يجعل إيران كأوروبا مما أغضب الملأت على السبهسالار فكفروه ومعثوا إلى ناصر الدين شاه برسالة أثارت غضبه عليه حتى عزله عن الصدارة. (٣)

وهكذا ظهرت عوامل سلبية عديدة عوققت المساعي الإصلاحية لناصر الدين شاه وعوقبت تيار تحديث الحياة في إيران وحدثت من قوة إنجازات الوزراء الوطنيين، ومن هذه العوامل السلبية :

(١) إنعدام المعاونة الأتقاء ورجال الدولة المخلصين الذين يعملون لصالح

البلاد، وحتى حين كان يظهر منهم من يعمل لصالح البلاد كان يتمسـرض

لمكائد الرجعيين.

(٢) تسلط الملأت المتعصبين على عامة الشعب من خلال سلطتهم الدينية.

(٣) تسلط الخصمين القويين روسيا وإنجلترا وتصارعهما على إيران.

(٤) الحركة الباهية.

(١) استعلاص (محمد) : ادبيات دورا بيداري ومعاصر . ص ٢ . تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهي .

(٢) كسروي (أحمد) : تاريخ مشروطة إيران . ج ١ . تهران ٣٥٤ هـ . ق .

(٣) كسروي (أحمد) : تاريخ مشروطة إيران . ج ١ . ص ٩ .

(١) إنعدام المعاوين الأتفاه

تولى الصدارة بعد أمير كبير وسيهسالار اللذين وجها إهتمامهما الى الإصلاح وزراء لم يكن صالح البلاد هدفا لهم (١) ، ففي فترة صدارة ميرزا علي أصغر خان أمين السلطان تدهورت أوضاع البلاد في مختلف النواحي إذ كان أمين السلطان مطيعا للأجانب فزاد تدخلهم ونفوذهم في الشؤون الداخلية لإيران وكان الوزراء الذين إختارهم في وزارته يجهلون شؤون وزاراتهم ولا يهدفون الى صالح البلاد والشعب فوقع معظم الفساد الذي أصاب البلاد في عهد صدارته نتيجة لسوء تصرفاته وتركه للبلاد نهبا للأجانب وخاصة في الناحية الاقتصادية.

(٢) الملات والمجتهدون :

من المعلوم أن للدين دورا مؤثرا في حياة الإيراني البسيط وكان الملات في ذلك الوقت يحتفلون الدين للسيطرة على عامة الشعب ، وطلبوا للجاء والدنيا (٢) فكانوا يعترضون طريق كل خطوة إيجابية تهدف الى تنقية المفاهيم الدينية أو تقام الخرافات والمعادات الدينية الخاطئة ، ووقفوا حجر عثرة في طريق نشر العلم والمعرفة وكفروا أنصار الفكر التقدمي الحديث والناديين بالإصلاح وأطلقوا على المدارس الحديثة إسم " وكر الشيطان " (٣) ، وهكذا عمدوا الى إبقاء عامة الشعب على جهلهم والى حجب العلم والمعرفة عنهم حتى يظلوا تحت نفوذهم وسيطرتهم ، أما علماء الدين التقات فقد إنزروا عن

---

(١) تيموري (ابراهيم) : عصرهسي خبري ، ص ١٢ ، تهران ١٣٣٢ .  
(٢) آرين پور ( يحيى ) : از صبا تا نيا ، ج ١ ، ص ٦٧ ، الطبعة الرابعة ٢٥٣٥ .  
(٣) المرجع السابق ، ص ٦٧ .

الناس و عاشوا في النجف (١) ، منعزلين عن المشاركة في الحياة الاجتماعية وعن رياة الملات  
المرائين ، وكان العامة لا يتعاملون مع هؤلاء العلماء المعتقدن في النجف بل التفوا حول  
الملات المتعصبين الذين كانوا يمتلكون في أيديهم القوة وأزمة الأمور .

(٣) تسلط الروس والإنجليز على ايران :

كانت ايران في ذلك العهد لا تمتلك القوة العسكرية التي تكتسبها من إتباع سياسة  
مستقلة وكانت القوى الغربية قد بدأت في ذلك العهد في إتباع سياسة تصعيد النفوذ  
الإقتصادي والمالي (٢) وكانت الصناعات الأوروبية تحتاج الى أسواق جديدة لتسويق  
منتجاتها المصنعة فبدأت في تطبيق تلك السياسة الإستعمارية الجديدة على ايران التي  
أصبحت ضمن مناطق النفوذ الإقتصادي الغربي ، وعلت كل من روسيا وانجلترا - القوتين  
العظميين في ذلك الوقت - على إضعاف ايران بالآداة السياسية الإستعمارية الجديدة  
التي تسمى " النفوذ السلي " (٣) حتى غرقت في ذلك التيار وأصبحت نصف مستعمرة ، وأتى  
على ايران عهد كانت فيه كل موارد البلاد في أيدي أجنبية ، وكانت الحكومة الإيرانية تساعده  
على زيادة التدخل الأجنبي نظير ما كانت تحصل عليه من أموال .

كانت ايران بحكم موقعها الإستراتيجي على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لروسيا  
وانجلترا فهي الطريق الى المياه الجنوبية الدافئة بالنسبة لروسيا التي تشترك معها في  
حدود طويلة أما بالنسبة لانجلترا فقد شكلت حاجزا مهيما بين روسيا والإمبراطورية البريطانية

---

(I) Upton (Joseph): History of modern Iran, pp. 9  
Cambridge, 1960

(II) Elwell - sutton : Modern Iran, pp. 58, London,  
1942 .

(٣) آرهن پور ( يحيى ) : از صبا تا نيا . ج ١ ، ص ٢٢٣

في الهند وحلقة وصل بين الشرق والغرب ومجالا كبيرا لاستثمار رأس المال الأوروسى  
وسوقا واسعة لتسويق الصناعة الأوروسية الناهضة.

وساعد نفس هذا الصراع الشديد بين القوتين على ايران على حفظ استقلالها وصونها  
من الإحتلال العسكري لأى منهما ، فكانت كل منهما تحدد من قوى الأخرى وتحول دون تصاعد  
نفوذها حتى لا يختل توازن القوى ومع ذلك اقتطعت بعض أجزاء ايران في عهد ناصرالدين  
شاه ، فاحتلت روسيا سمرقند عام ٨٦٨ لم ، وخيبر عام ٨٧٣ لم ، ورو عام ٨٨٤ لم وأصبح  
لروسيا أيضا تفوق ملاحظ لا يستهان به في بحر قزوين ضمن خطة روسية لمد سيطرتها  
في آسيا . (١)

وتدخلت الدول الكبرى في توجيه السياسة الإيرانية من خلال علائها في نفس الحكومة  
الإيرانية من كانت تستقطبهم الدول الأجنبية بالمال تارة وبالتهديد والوعيد تارة أخرى ،  
وأولوا السهم من الأعمال الى أفراد ضعاف الشخصية وغير أكفاء ، وقد حصل الروس على  
موافقة الحكومة الإيرانية لتشكيل فرقة القوزاق تحت قيادة روسية مستغلين فرصة زيارة ناصر  
الدين شاه لروسيا عام ١٢٩٥ هـ ق / ٨٧٨ لم . فقد كان الشاه يخشى الروس أشد خشية  
بل كان يظن في دخيلته أنه وعرضه تحت حمايتهم (٢) ، وارتكازا على فرقة القوزاق هذه  
تساعد النفوذ الروسى في ايران ، مما أزعج بريطانيا على نفوذها في ايران فتغاضت الحكومة  
الإيرانية في مقابل ذلك عن تغفل النفوذ البريطانى في جنوب ايران في محاولة منها  
لإرضاء بريطانيا من ناحية وموازنة التهديد الروسى من الشمال من جهة أخرى . (٣)

(I) Marlow (John): Iran, pp. 28, London, 1963

(٢) آرين پور ( يحيى ) : از صبا تا نيا ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .  
٣ آكرمانى ( ناظم الاسلام ) : تاريخ بيدارى ايرانيان ، تهران ١٣٤٦ هـ ، ج ١ ، ص ١٢٦ .



## الحركة البائية

شهد ذلك العهد ضمن ما شهد من اضطرابات وتغيرات وتحركات فكرية خطيرة فسي الحياة في ايران كانت تعد إرهابا لأحداث خطيرة في البلاد ، وكانت أولى هذه التحركات الحركة البائية التي بدأت في أربعينيات القرن التاسع عشر الميلادي ، وهي حلقة من سلسلة الحركات الدينية المتطرفة التي تميز بها التاريخ الإيراني عبر العصور . (١)

بدأت الحركة البائية بتأملات ميرزا محمد علي الشيرازي (٢) الذي ادعى النبوة في عام ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م أي في عهد محمد شاه قاجار في الذكرى الألفية لإختفاء الإمام الثاني عشر ، وأعلن ميرزا محمد أنه الباب الى معرفة الله وأن رسالة محمد قد إنتهت وأنه قد أتى ليفتح عهدا جديدا ، وقد وجدت تعاليمه صدى في نفوس عدد كبير من الأتباع الذين نادوا به بابا بين " عالم الروح وعالم الجسد " وقد إعتبر الباب نفسه " نقطة تجلبي الجوهر الإلهي في العالم " (٣) ودعى الى نبذ ممارسة شعائر الدين الإسلامي ونسود بالوظائف الدينية الشيعية (٤) ودعى الى السلام العام والى تطهير أوضاع المرأة وإزالة الفوارق

---

(I) Wilber(Donald): Iran, past and present, pp; 80

(٢) ولد ميرزا محمد علي الشيرازي عام ١٨١٩ م . بشيراز ، لم يظهر ميلا للدراسة في صباه وعمل مع خاله بالتجارة ثم عاد الى الدراسة واشتغل بفن تسخير روحانيات الكواكب ( وهو فن خرافي ) والدراسات الفلسفية .  
انظر: حقيقة البائية والبهاية: محسن عبد الحميد ، الطبعة الثانية - ١٣٩٥ هـ -  
١٢٥ لم بيروت .

(3) Wilber(Donald): Iran, past and present , pp.80

(4) Gobineau (Joseph Arthur): Les philosophies et les religions dans L'Asie central, Paris, 1933, pp. 133

الطبقية ونادى بحياة تفودها الروح لارسالة الدين .

ومن أسباب إنتشار البابية في ايران في ذلك العهد :

أولاً : سخط الشعب على الأوضاع الإقتصادية المتدهورة مما دفع به الى تصديق ذلك

الداعية الذي ادعى أنه المهدي المنتظر الذي جاء لنشر العدل بين المظلومين .

ثانياً : إخفاء زعماء البابية لحقيقة الدعوة في البداية مما جعل الناس يظنون أنها حركة

تجديدية إصلاحية فأمنوا بها ، ولكن كثيراً منهم رجع عن إيمانه بها بعد أن كشف

الباب عن حقيقة تعاليمه التي تعلن نهاية رسالة الإسلام . ( ١ )

ثالثاً : قسوة الحكومة الإيرانية في إخماد تلك الحركة مما جذب تعاطف الإيرانيين إليها .

( ٢ )

واتهم الزعيم البابي بالجنون إثر إعلانه الدعوة وأمر ميرزا تقى خان أمير كبير بسجنه ،

ولقيت الحركة البابية إضطهاداً شديداً من السلطات ومن الأخوندات ( الملأ ) ، وقد

إضطهدتها السلطات بإعتبارها تهديداً للنظام وإستقراره ، أما الأخوندات فقد ناصبوها

العداء إثر التتديد الذي وجهته تعاليم الباب للدين والخاصب الدينية .

وفي عام ١٨٥٠ م . طافت الفرق البابية المسلحة مدن خراسان ومازندران ومض المدن

الإيرانية الأخرى معلنة حلول المهدي المنتظر المتمثل في شخص زعيمهم ميرزا محمد علي ،

وببشرة بإزالة التمييز الطبقي ، وفي نفس العام صدر الأمر بإطلاق النار على الباب ،

وخلفه في زعامة الحركة شاب في التاسعة عشر من عمره هو ميرزا يحيى

---

Upton (Joseph): The history of modern Iran pp.9 (١)

Elwell - sutton: Modern Iran, pp. 61 (٢)

الذي عرف بلقب " صبح أزل " (١)

وعلى الرغم من أن الحركة البابية كانت غير ذات أهمية سياسية إلا أنها شغلت الحكومة في السنوات الأولى من حكم ناصر الدين شاه (١٨٤٨ - ١٨٩٦ م) ، وتصدت الأحداث عام ١٢٦٨ هـ ق ١٢٥٢ / ٠ م حين أطلق ثلاثة من البابين رصاصة على ناصر الدين شاه في محاولة لإغتياله إلا أنه أصيب في فخذه ، وكانت نتيجة ذلك عهداً من الإرهاب قتل أثناءه ما يقرب من أربعين ألف بابي (٢) .

ورى كل من " ابتون " و " ساتون " (٣) أن القسوة التي إتبعتها الحكومة في إخضاع تلك الحركة قد ضاعفت السخط الشعبي ضد طغیان الحكومة وأدت بالتالى الى زيادة الضغوط الثورية .

هذه العوامل السلبية التي ذكرناها جعلت ناصر الدين شاه يغير إتجاهاته الإصلاحية التي حققت في البلاد إنجازات هامة لا يمكن إنكارها ، لقد بذل ناصر الدين شاه جهداً كبيراً في أوائل عهده في سبيل إصلاح الأوضاع في بلاده إلا أن الظروف كانت قوية ولم تساعد على الإستمرار في إنجازاته الإيجابية ، وعلى الرغم من أنه قام بمحاولة جادة لتطوير نظم المعدل

(١) صبح أزل هو أحد أتباع الباب المقتول وكان يقيم في أدرنة بالأراضى العثمانية وموته عام ١٩١٢ م . إنتهت الطائفة البابية بالفعل ، وكان أخوه غير الشقيق " ميرزا حسين " قد إنشق على الطائفة البابية واتخذ لنفسه لقب " بهاء الله " عام ١٨٦٣ م . وأسس مذهباً جديداً هو " البهائية " ربط في تعاليمه بين بعض تعاليم الأديان المختلفة وبين بعض الأفكار التحريرية التي كانت رائجة في أوروبا حينذاك وطورها الى عقيدة مشاعية بلا شعائر أو كهنوت ، وأقيم مركز العقيدة في عكا بفلسطين ، ودار العمل فيه على يد " عباس أفندي " الملقب بـ " عبد البهاء " وهو ابن بهاء الله وتابعه ، وقد إنتشرت العقيدة البهائية في العالم الغربي وفي لندن ونيويورك على وجه الخصوص .

انظر : مطالع الأنوار : محمد زرندى ، حقيقة البابية والبهائية : محسن عبد الحميد .

2) Upton (Joseph): The history of modern Iran, pp. 10

3) Elwell - sutton: Modern Iran, pp.61 والمرجع السابق .

والإدارة الشعبية إلا أن مجهوداته لم تحقق نجاحا دائما وطاشت الدولة بشكل متعاقد تحت تأثير الملل والمجتهدين المرائين (١) ، وزاد تدخل الأجانب في الشؤون الداخلية للدولة .

والحقيقة (٢) أن ناصر الدين شاه كان قد بدأ عهده بإنجازات هائلة لا يمكن إنكارها حين محاكمة السلبية والمساوي التي حدثت في السنوات التالية ، فكان هذا الشاه ميالا بالفعل للإصلاح وتحديث البلاد . إلا أن السلطات المخولة له كانت كبيرة فلم يستطع أن يتخطى عنها في سبيل إصلاح أوضاع الدولة ، خاصة وأن هنالك بعض الإنجازات التي قام بها ساعدت على القيام ضده ، ونشرت الفكر التقدمي في إيران ، فالكلية العلمية دار الفنون تم إنفتاحها في عهده إلا أنها ساعدت على نشر العلم وكانت من عوامل تهور الشعب على ما يمكن تحقيقه في بلادهم من إصلاح .

ونلاحظ أن ناصر الدين شاه كان يهتم بإصلاح نواحي معينة في الدولة كالناحية التعليمية أو الإتصالية لكنه لم يمس حقوق الشعب المهددة بالإصلاح ولم يحاول وضع قانون ينظر إلى الناس جميعا نظرة مساواة ، حتى حين كان يفكر في إتخاذ خطوة تهدف إلى إصلاح أسس الحكم كان رجال الدولة ورجال البلاط يحاولون عرقلتها للإحتفاظ بحكاسهم غير المشروعة على حساب الشعب ، فبعد أن عاد ناصر الدين شاه من ثلثة رحلاته إلى أوروبا فكر في تأسيس مجلس شوري قومي ، وبالفعل شكّل مجلسا من رجال البلاط لهذا الغرض ، وقد رأى هذا المجلس أن يترجم القانون الأوربي وأخذ ما يصلح منه للتطبيق في إيران وحذف ما يخالف الشريعة الإسلامية إلا أن أعضاء المجلس إعترضوا على معظم القوانين التي ترجمت عن القوانين الأوربية (٢) واختلفت الآراء حولها ونسى الأمر شيئا فشيئا . فكان المحيطون

(١) Wilber (Donald): Iran, past and present. pp. 81

(٢) ملكزاده (مهدي) : انقلاب بشروطيت ايران ج ١ ، تهران ١٣٢٨ ، ص ١٢٥

بالشاه بالإضافة الى العوامل الأخرى عاملا سلبيا أعاق محاولات ناصر الدين شاه الإصلاحية ما جعله ييأس من كل خطوة إيجابية (١) وتغاض عن تحقيق أهم الإصلاحات وخاصة في السنوات الأخيرة من حكمه ، فساءت أوضاع الدولة من كل نواحيها وزاد تدخل الأجانب في الشؤون الداخلية للبلاد ونشر عمال الدولة الظلم بين الناس ، وبدأ الشعب في إظهار استيائه من الأوضاع الفاسدة التي تردت فيها البلاد وبعد إنتهاء الفترة التي شهدت إصلاحات هامة في البلاد أي بداية عهد ناصر الدين شاه .

### تدهور الحالة الإقتصادية والإمتيازات :

تدهورت الحالة الإقتصادية في الدولة تدهورا شديدا وأدى تناقص عائدات الدولة من الأموال من ناحية وتزايد نفقات الشاة والحكومة من ناحية أخرى الى حدوث عجز مستمر تسبب في حدة الإنحطاط الإقتصادي .

انحدرت الصناعات اليدوية شيئا فشيئا في هذه الفترة ، تلك الصناعات التي اشتهرت بها المدن الإيرانية ما أثر على حياة قطاع عريض من العمال والحرفيين حتى أن البسط الآلية الأوربية حلت محل البسط الإيرانية الشهيرة في الأسواق الإيرانية (٢) ، واكتظت الأسواق الإيرانية بالملع الأوربية وكسدت الصناعات الوطنية ما شكل تهديدا لأرزاق الكثيرين من الشعب الإيراني .

ولم يقتصر الكساد والتدهور على الصناعة فقط بل أهملت الزراعة أيضا ، فلم تول الحكومة أي إهتمام بالأراضي الزراعية البكر القابلة للزراعة فهجر كثير من الفلاحين أراضيهم من جراء

(١) آرين پور ( يحيى ) : از صبا تانها ج ١ ص ٢٤٤

(٢) ملكزاده ( مهدي ) : انقلاب شروط طيت ايران ج ١ ص ١٢٤ وأورد ملكزاده بيتا شعريا يدلل به على ما أصاب عمال اصفهان من كساد صناعتهم : هر كه كارش بافندگی مردنش بهتراز زندگی

تعسف عمال الدولة في الأقاليم ما أدى الى حدة الأزمة الاقتصادية التي كان من أبرز مظاهرها نقص الخبز " كان على المواطن أن يقضى يوما في العمل ويوما في البحث عن رغيف الخبز له ولأسرته " (١)

أدى العجز المادي وإفلاس الخزانة الى لجوء الحكومة الإيرانية الى منح إمتيازات اقتصادية للأجانب لاستثمار ثروات البلاد ورهن مرافقها الحيوية لسداد الديون (٢) ولم يعد ناصر الدين شاه يبالى بضياح موارد ايران وثرواتها بل أصبح كل ما يعنيه هو ما يعمود عليه هو شخصا من أموال لإنفاقها في أسفاره الى أوروبا ورحلاته للصيد ، وقد إمتثلت دول أوروبا وروسيا فرصة التدهور الاقتصادي الإيراني وحاجة الشاه الى المال وأخذت في تخریب البنية الاقتصادية والمالية لإيران وأسرت بتقديم القروض بشروط مجحفة منتبهة فرصة إحتياج المقترض وسلبت روسيا وانجلترا كل ما يرجى من كلمة إمتياز دون النص على إسمه الفعلي (٣) وكانت أهم الإمتيازات التي منحتها الحكومة الإيرانية للأجانب حتى ما قبل الثورة الدستورية بعدة سنوات هي :

(١) إمتياز جوليس دورنر Julius De Rueter عام ١٨٧٢ لم لإستغلال

كافة الغابات والمعادن الإيرانية وحق إنشاء خطوط حديدية في الأراضي الإيرانية وحق صيد الأسماك ومدة الإمتياز سبعمون عاما مقابل مبلغ محدد للشاه و ١٥ % من الأرباح سنويا ، وقد وقف علماء الدين وقته حاسة ضد هذا الإمتياز ما اضطر الشاه الى إغائه ومنح ورثته كتمويض عن إغائه الإمتياز الأول إمتياز آخر عام ١٨٨٩ لإنشاء البنك

(١) مراغه اي ( حاجي زين العابدين ) : سيا حتامه ابراهيم بك ج ١ القاهرة بسدون تاريخ ص ١٩٤

(٢) مجذوب ( طلال ) : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية . بيروت ١٨٠ ص ٨٢

(٣) آيين پور ( يحيى ) : از صبا تانیا المجلد الاول ص ٢٢٣

- الشاهنشاه هي مع حق إصدار العملات الورقية رسمياً . ( ١ )
- ( ٢ ) إمتياز وليام نكس دارسي D'Arcy عام ١٩٠١ لإستخراج البترول في كسل الأراضي الإيرانية ماعدا المناطق الخمس الشمالية ( التي استتبت لإصرار روسيا ) وقد أصبح منع هذا الإمتياز واحداً من أهم الأحداث في تاريخ هذه الفترة لكن قلما وجه إليه الإهتمام تاريخياً ربما لأن المحاولات العديدة الأخرى التي قام بها جهات أجنبية أخرى للتعقيب عن البترول كانت قد فشلت . ( ٢ )
- ( ٣ ) إمتياز فرنسي لإنشاء الحافلات الكهربائية في طهران عام ٨٨٨ لم " لغاببيوس بوفال " .
- ( ٤ ) إمتياز شركة لينتش Lynch لنقل البضائع والملاحة في نهر قارون عام ٨٨٨ لم .
- ( ٥ ) إمتياز روسي لإنشاء خطوط حديدية في شمال إيران عام ٨٨٩ لم .
- ( ٦ ) إمتياز إنشاء بنك الإقراض الروسي في مايو عام ٨٩١ لم ، <sup>( ٣ )</sup> وقد أسكت روسيا بكل أزمة الشؤون المالية والحيوية في إيران عن طريق هذا البنك . ( ٤ )
- كان هذا التدخل الأجنبي في شؤون إيران أحد الأسباب القوية التي أججت سخط الشعب الإيراني بكل فئاته ويمكننا القول أن الشقاء الذي منيت به إيران في السنوات الأخيرة من عهد ناصر الدين شاه وأدى إلى تدميره يبدأ من منح إمتياز إحتكار الطباق لشركة إنجليزية في مارس ١٨٩٠ <sup>( ٥ )</sup> ، إحتكر صاحبه بمقتضاه كل الطباق المنتجة في إيران لمدة خمسين عاماً

---

( ١ ) مجذوب ( طلال ) : إيران منذ الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ص ١٠٠  
( ٢ ) 2) Marlow (John) : Iran, pp. 28  
( ٣ ) مجذوب ( طلال ) : إيران منذ الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ص ١٠٠  
( ٤ ) آرين بير ( يحيى ) : از صباتانیا المجلد الاول ص ٢٢٤  
( ٥ ) 5) Browne (E.G.): The Persian revolution, pp. 30, Cambridge, 1910

فلا يتم بيعه او شراؤه أو أى شكل من أشكال التعامل فيه إلا عن طريق هذه الشركة ، وربما لم يتم إدراك خطورته وأبعاده في البداية لكن حين أدرك المستثمرون خطورة هذا الاحتكار على الاقتصاد الإيراني استكربشدة في طول البلاد وعرضها وأخيرا أصدر حاجي ميرزا حسن الشيرازي مرجع التشيع القيم بالنجف فتوى بتحريم التدخين وحظر التعامل فيه بأي شكل من الأشكال ، فانصاع الشعب بمختلف فئاته لفتوى النجف ، فكانت هذه الفتوى هي النواة التي وحدت صفوف المعارضين لنظام الحكم القائم وكلمت قواهم ، وتفاعله الأمة بعقلية موحدة نادرا ما تحدث في تاريخ الشعوب حتى اضطرت الحكومة الى إلغاء هذا الإمتياز في يناير ١٩١٢ لم يكن هذا أول عمل وطني موحد ضد الشاه ووزرائه ، وقد أظهر ما يتمتع به علماء الدين من نفوذ وشعبية بين أفراد الشعب الإيراني .

شارك في هذه الحركة الشعبية التي تعد أول هزة للشعب الإيراني (١) التجار والطلبة وعامة الشعب في العاصمة ولوائهم كانوا شيعا في أهدافهم ، وهبت صحفيسة " قانون " التي كان يصدرها ميرزا ملكم خان ناظم الدولة في لندن لمساندة هذه الحركة ، وكانت هذه الصحيفة هي مظلة الجناح التقدمي الليبرالي في المعارضة .

كان مدلول هذه الحركة الشعبية في الحقيقة أعمق وأبعد من قضية حظر التدخين وعندما ندقق النظر في هذه الواقعة التاريخية الهامة نصل الى تلك الحقيقة المنطقية وهي أن هذه الحركة قد أثرت في تصعيد المعارضة ضد الحاكم بطريقتين غير مباشرتين :

(١) منحت الشعب الذي كان يرهب الحكومة والعرش القوة والجرأة على المعارضة فأدرك أنه يستطيع التصدي للشاه والحكومة ويستطيع أن يحفظ مصالحه بتحريك إيجابى .

---

(١) كسروي ( احمد ) : تاريخ مشروطة ايران ج١ ص ١٥



((٢)) تت هذه الحركة بتوجيه من علماء الدين وانتهت وفق هواهم فزادت قوتهم  
ونفوذهم وزاد خوف الشاه من هذا النفوذ المتزايد ، فكان العنصر الديني  
المستتير من خير دعائم حركة المعارضة . (١)

.. ..

---

(١) ملكزاده (مهدي) : انقلاب بشروطيت ايران ج١ ص ١٢٦ .

## رحلات ناصر الدين شاه

سافر ناصر الدين شاه الى أوروبا ثلاث مرات ، كان أولها عام ١٢٩٠ هـ ق ٨٢٣ / ٠ لم  
وقد زار في رحلته الأولى هذه موسكو ثم إتجه الى عواصم أوروبا الغربية فزار بالترتيب :  
بطربرج و برلين وبروكسل ولندن و باريس وجنيف وتورن وميلانو وفيينا واسطنبول ثم عاد الى  
ايران مارا بروسيا مرة أخرى ، والتقى ناصر الدين شاه في هذه الرحلة التي استمرت قرابة  
خمس أشهر بملك أوروبا وروسياها ، وقد شجعه على القيام بهذه الرحلة ميرزا حسين  
السيهسالار ، وكان للإنجليز دور رئيسي في حمل الشاه على زيارة أوروبا وقد إتخذوا من  
رحلته هذه وسيلة للتقريب بين ايران وانجلترا ضد روسيا القيصرية ، وفي انجلترا عدوا الى  
عرض مصانعهم وقواتهم البرية والبحرية عليه حتى يرهبونه من قوتهم . ( ١ )

وقام ناصر الدين شاه برحلته الثانية الى أوروبا عام ١٢٩٥ هـ ق ٨٢٨ / ٠ لم ، وزار  
فيها باريس لزيارة المعرض الذي أقيم بها كما زار موسكو و برلين ثم أقام في باريس مدة خمسة  
وأربعين يوما قبل عودته الى ايران ، وكان من نتائج رحلته هذه إنشاء "القزاقخانه"  
وتأسيس فرقة القزاق القيصرية في ايران .

وفي عام ١٣٠٦ هـ ق ١٨٨٩ / ٠ قام ناصر الدين شاه برحلته الثالثة الى أوروبا  
ومرفقة الأتاك الأظم أمين السلطان آخر صدر أعظم في عهد ناصر الدين شاه ، زار الشاه  
في هذه الرحلة روسيا وألمانيا والنمسا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وانجلترا . ( ٢ )

وبعد رحلته الثالثة بدأ ناصر الدين شاه في منح الإمتيازات للأجانب بشكل لم يسبق  
له مثيل ، يقول اللورد كرز في هذا الصدد :

- (١) تيموري (ابراهيم) : عصر بي خبري ، ص ١٠ ، ١١
- (٢) دهخدا (على أكبر) : لغت نامه ، الجزء ١٢

” بعد عودة الشاه من رحلته الى أوروبا هجم أصحاب رؤوس الأموال الأوربيون كالنمل والجراد على طهران من أجل الحصول على الإمتيازات ، كما كان هناك عدد كبير منهم في ايران مستعد للحصول على الإمتيازات مثل إمتياز مصنع السكر والتليفون - والزجاج - والمصابيح الكهربائية - والكرام - وإحتكار السلع والمحاصيل الزراعية وغير ذلك وكان الشاه مستعدا أيضا للموافقة بمجرد إيداع المبلغ الإجمالي في الحساب الخاص بالشاه<sup>(١)</sup> والحقيقة أن هذه الرحلات لم تعد على الشعب الإيراني بأية فائدة بل كانت هذه الرحلات الباهظة التكاليف تشكل عبئا جديدا على ايران وأضافت ديونا جديدة<sup>(٢)</sup> الى تلك الأزمات العالية التي عانت منها البلاد ، ولم يكن هدفه من رحلته الى أوروبا الا التفرغ والتنزه ، ولم يحاول أن يتعلم من التجارب الأوربية التي كان من الممكن أن تفيد ايران بل إنه خاف من مشاهدة الإيرانيين لأوروبا والحريات التي تتمتع بها الشعوب الأوربية حتى أنه منع سفر الإيرانيين الى أوروبا دون إذن من الحكومة وتضع ذلك من البرقية التي أرسلها من لندن ، يقول ناصر الدين شاه في ذيل تلك البرقية :

” ذهب آقا حسن بدون تصريح ولا أدرى هل أخذ منكم تصريحا وذهب أم لا ، على كل حال يجب أن يعاد الى ايران في أسرع وقت ، فمن السيء للغاية أن تعاد أقدام الإيرانيين على الذهاب الى أوروبا بهذا الشكل وإذا لم يوقف هذا فلا شك أن عشرات الآلاف سوف يذهبون الى أوروبا لرويتها مما سيكون له أثر سيء للغاية ”<sup>(٣)</sup>

(١) نقلا عن ” عصرى خبرى ” ابراهيم تيمورى ، ص ١١

(٢) Frye (Richard): Iran, pp. 66

(٣) نقلا عن ” عصرى خبرى ” ابراهيم تيمورى ، ص ١

### نمو التيار القومي وعوامله

إشتد تيار المعارضة لحكم ناصر الدين شاه وخاصة في السنوات الأخيرة من حكمه ،  
فقد مارس ضغطا شديدا على القوى التي كانت تتطلع الى التحديث والحكم الدستوري  
الديمقراطي ، واتباع أسلوب الحكم الاستبدادي الخائق للحريات فلم يعد هناك أي مظهر  
للمعدل أو للحرية بل كان الفناء مصير كل خطوة في طريق تهور الفكر أو صوت ينادي  
بالقانون والعدالة الاجتماعية (١) ، ورغم ذلك سرى تيار انتقاد أوضاع الحكومة وأسس الحكم  
على لسان أغلب طبقات الشعب وحين خشيت الحكومة الإيرانية مغبة الأمر وزاد سوءا  
ظننها أصبحت جهازا لكتابة التقارير السرية كان على عيونه الوشاية بالمواطنين وكان يسمى هو " لا  
العيون " سرقة " أي رؤساء الأحياء وكانوا مسئولين مباشرة أمام رئيس الشرطة ( الكلانتر )  
ويعيشون في أحيائهم ولم يكن لهم زى مميز ، وكانوا على علم بتحركات وطادات كل فرد في  
المنطقة ، إلا أنهم كانوا مألوفين لدى الناس في هذه الأحياء فمع أنهم كانوا عيون الحكومة  
إلا أنهم كانوا أيضا حماة للناس من السرقات والإزعاج المفاجئ (٢) .

وإضافة الى الحكم الاستبدادي وكبت الحريات ظهرت في عهد ناصر الدين شاه  
عوامل وأسباب أثرت - في مجموعها وكل على حدة - في نمو التيار القومي والفكر الإصلاحى  
ومن هذه العوامل ما يعد من إنجازات ناصر الدين شاه الإيجابية التي تمت بتوجيه منه إلا  
أنها ساعدت على نمو التيار المعارض له حين حاد عن الإصلاح واتجه الى الاستبداد وكبت  
الحرية ، أي أن هذه العوامل تمت على يديه وفي النهاية ساعدت على زلزلة عرشه ، وقد ساعد  
طول فترة حكمه على إشتداد هذه العوامل واتضاع أثرها .

(١) ملكزاده ( مهدى ) : انقلاب شروطيت ايران ج ١ ص ١٢٣

Avery (Peter): Modern Iran, pp.111

(٢)

ا - العوامل الداخلية :

(١) إنجازات ميرزا تقى خان أمير كبير (توفى عام ١٨٥٢ م) التي تعد أول خطوة في طريق الإصلاح ومن أهمها تأسيس المعهد العلمي " دار الفنون " عام ١٢٦٨ هـ ق / ١٨٥١ م .  
لتدريس العلم الحديث على النمط الأوربي .

(٢) ظهور الطباعة وانتشار المطابع ما أثر في سرعة انتقال الكلمة المكتوبة وإتباع نطاق نشرها ما ساعد على نشر الفكر القومي المنادي بالإصلاح .

(٣) ظهور الصحافة وهي نتيجة مباشرة للطباعة ، وكان لها دور رائد في الحركة القومية ونشر الفكر الحر والنقدي وسبرده الحديث عنها تفصيلا في الباب الثاني من البحث .

(٤) كانت الأزمة المالية وإفلاس الخزانة سببا في العجز المادي للحكومة وعاملا محسوسا للتطورات السياسية في هذه الفترة ، وكان للقروض الأجنبية تأثيران : أحدهما التأثير في حدة الأزمة المالية نتيجة لإنفاق القروض في أعمال غير اقتصادية ولا تعود بالفائدة إلا على الطبقة الحاكمة ، والآخر أن القروض الأجنبية قد هزت الرأي العام كظهر من مظاهر السياسة الإستعمارية . (١)

(٥) تغلغل النفوذ الأجنبي في إيران وزيادة أعداد الموظفين الأجانب الذين سيطروا على عصب الحياة الاقتصادية في البلاد ، وكانوا يسيطرون على شئون الدولة عن طريق عملائهم من رجال الحكومة الإيرانية من كانت القوى الأجنبية تستقطبهم بالمال تارة وبالتهديد تارة أخرى .

ب - العوامل الخارجية :

أما العوامل الخارجية التي كان لها أثر في نمو التيار القومي فكان تأثيرها محدودا ،

ومن هذه العوامل :

(١) آدميت ( فريدون ) : ايدولوجي نهضت مشروطيت ايران، تهران ١٣٥٣، ص ١٤٤

(١) حرب روسيا واليابان في فبراير ١٩٠٤ والهزيمة غير المتوقعة للروس على يد دولة شرقية كاليابان ، وكانت أخبار انتصارات اليابان تصل الى أسماع الإيرانيين مما كان له أثر على أفكارهم إذ كانوا يظنون أنفسهم أضعف وأعجز من أن يقاوموا العرش والنفوذ الأجنبي .

(٢) الحركات الإصلاحية في بعض الدول الشرقية والمجاورة لإيران كحركة عرابي بمصر عام ١٨٨٢ والحركة الدستورية في الدولة العثمانية خاصة وأن لها ظروف تشبه ظروف ايران في ذلك الوقت ، وقد حفزت هذه الحركات الإصلاحية في الدول الإسلامية الوطنيين الإيرانيين الى القيام بحركة مشابهة ينالون بها حقوقهم .

(٣) الحركات الثورية المتتالية في روسيا القيصرية والتي إنتهت عام ١٩٠٥ م . بقيام أول ثورة في روسيا ، وكانت أنباء هذه الثورات توثر على الفكر الإيراني المستيقظ ، وقد خدمت هذه الثورات الحركة الوطنية الإيرانية إذ أنها شغلت روسيا عن التدخل المضاد للحركة الوطنية في ايران (١) ، فمن المعروف أن روسيا القيصرية كانت تساند النظام الحاكم في ايران .

(٤) السيد جمال الدين الأفغاني ورحلته الى ايران عام ١٣٠٣ هـ / ١٩٠٢ م / ١٨٨٦ هـ ، ودوره في إيقاظ وتنوير أفكار الشعب الإيراني وتثويره على أسس الحكم الإستبدادي في ايران وتحريضه لمجتهدى النجف على القيام ضد الحكم القاجاري ، وتوضيح ذلك من رسالة أرسلها السيد جمال الدين الى ميرزاى شيرازي وتحدث فيها عن ناصر الدين شاه وسأوى حكمه ، يقول الأفغاني :

" أيها الإمام الكبير ، لقد أصبح شاه ايران خوسا وسى ، السمعة وخفت مشاعره فاتخذ سوء السلوك سهيلا ، إنه عاجز عن إدارة البلاد وعن حفظ المصالح العامة ، لذا فقد

---

(١) آرسن پور ( يحيى ) : از صباتانیا ، ج ١ ، ص ٢٢٦

أسلم زمام الأمور ليدرجل دنى" سى" حقير يسى" الى الأنبياء على الملا ولا يرمى أحكام دين ولا يقدر الزعماء الدينيين حق قدرهم وسب العلماء وتتهم الأتقياء ويحقر من شأن السادات المعظام ومعامل الرعاظ معاملة سيئة كسائر الناس".

ويقول فى نهاية رسالته:

"والخلاصة أن هذا الرجل الفاسد أمره قد وضع دولة ايران فى مزايده وابع ديسار محمد صلى الله عليه وسلم والبلاد الإسلامية للأجانب". (١)

وكان السيد جمال الدين الأفغانى يحرض أنصاره على إيقاظ الشعب الإيرانى من خلال المحافظ السرية (٢) ، وذهب إثر إمتداد ناصر الدين شاه له من ايران الى لندن واتخذ من صحيفتى "قانون" و"ضياء الخافقين" بلندن منبرا جديدا يندد من فوقه بالإمتداد عامة ومحكم ناصر الدين شاه خاصة. (٣)

هذه العوامل وغيرها أحدثت صدعا فى الهيكل المتهترئ للمجتمع الإيرانى تدرجيا وعلى فترات ، وأفزعت هذه العوامل الطبقة الحاكمة وزلزلت أسلوها العتيق فى إدارة البلاد ذلك الأسلوب الذى عرض البلاد للبيع لروس الأموال الأجنبية أو الإستعمار الوشيك من جانب الروس والإنجليز وهيأت الشعب فى نفس الوقت لتقبل تغيير جذرى فى هيكل الإدارة وإختيار أسلوب جديد للحياة.

وساعد طول فترة حكم ناصر الدين شاه آل قاجار (١٨٤٨ - ١٨٩٦) على استمرار تصدع أسس الحكم القاجارى وتدهور الأوضاع فى مختلف شئون البلاد كما ساعد أيضا على

---

(١) نقلا عن "عصر بن خبرى" : ابراهيم تيمورى ، ص ١٢  
(٢) كرمانى (ناظم الاسلام) : تاريخ بيدارى ايرانيان ، ج ١ ، ص ١٣  
(٣) مجذوب (طلال) : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ، ص ٥٨  
وتيمورى (ابراهيم) : عصر بن خبرى ، ص ٦٥

التحضير للثورة وتهيئة المناخ لثورة تعيد البلاد الى الطريق الصحيح بينما ساعدت محاولات ناصر الدين شاه الإصلاحية حتى في حالة نجاحها على إثارة روح السخط بين الشعب ، كانت فترة ولايته فرصة للقوى الثورية لتنظيم صفوفها وإعداد العدة للحركة الوطنية . وحال الكبت العنيف الذي مارسه منذ عام ١٩٠٢ لم عن عمد دون قيام هذه القوى الثورية فانتظرت حتى ينهدم حكمه الفردي ويخلفه حاكم أضعف منه <sup>(١)</sup> بالإضافة الى أن هناك فكرة كانت تسيطر على الفكر الوطني الإيراني وهي أن الثورة تؤدي حتما الى إحتلال البلاد عسكريا من جانب القوى الأجنبية ، وقد استولت هذه المخاوف على الفكر العلم في المهجور التاريخية المختلفة وفي عهد الدستور بشكل خاصه يقول " لاسلس " الوزير المفوض الإنجليزي في إيران في أحد تقاريره الرسمية عن الأوضاع في إيران :

" إن الأوضاع العامة " غير عادية " ولو أنها لم تبلغ حد " الأزمة " ، السخط متفش بين الشعب ، والسبيل الوحيد لحل هذه المشكلة هو تغيير نظام الحكم ، فقد باتت المعارضة للشاه عنية وصريحة ، ولكن ليس هناك تقاعد يتزعم الحركة الوطنية ضد الشاه ، أما الفئة التي خرجت من الشعب وكانت تفكر فكانت تعلم جيدا أن قيام حركة أو وقوع فوضى سيؤدي حتما الى إحتلال القوى الأجنبية للبلاد ، ولن ينتهي بالقضاء على الأسرة الفاجارية فحسب . بل سيكون هلاكاً لدين إيران وكيانها كدولة " . (٢)

كان هذا العامل النفس ميثقا للحركة الوطنية ومنشطا للقوى الرجعية ومفيدا لها في نفس الوقت ، وجدير بالذكر أن " لاسلس " الذي كتب عن التطور السياسي في إيران لم

(١) Avery (Peter) : Modern Iran, pp. 125

(٢) من " لاسلس " الى لورد " روزبيري " ٢٨ سبتمبر ١٨٩٢ (٦ ربيع الأول ١٣١٠ هـ . ق . )  
نقلا عن فريدون آدميت : ايد يولوژی نهضت شروط طيت ايران ص ٤٦ .



يكن من زمرة الموظفين المخادعين (كسلفه سير " دراموند وولف " اليهودى ) بل كان محايدا منصفا محبا للحرية ، قال " لاسلس " لناصر الدين شاه فى وداعه له حين كان عائدا الى بلاده :

" والآن حيث أرحل الى لندن ماذا أقول إذا سألتى رجال الدولة البريطانيين على أى وضع تركت ايران ، فليس عندكم قانون ولا عدالة ولا مروءة ، ولا تفكرون فى صالح البلاد والرعية " . ( ١ )

تطور الموقف مع أواخر عهد ناصر الدين شاه :

بعد إلغاء الشاه لإمتياز الطباق عام ١٨٩٢ م ، تمهدت الساحة لتحرك يقف فيه الشعب خلف بعض القيادات الدينية فى التشكيل القومى ضد العرش ومن والاه من الأجانب ، وبدأت الأصوات المنادية بضرورة إقرار القانون والشورى وتوزيع المسئوليات وتنظيم الإقتصاد تملو من داخل ايران وخارجها . وشرع الكتاب التقدميون فى العمل من أجل إيقاظ الأمة من جهلها وغفلتها ، وكان معظم هؤلاء التقدميين القوميين قد لقوا تعليمهم فى أوروبا وعلى علم بأسس الحضارة والعلم الحديثة ويودون تعريف الشعب بها ، وكان دور السيد جمال الدين الأفغانى كخطيب ثورى وشعبى ذا أهمية بالغة فى تحديد حجم المسميات السياسية الحديثة مثل : " الوطنية " و " القومية " و " الشعب " تلك المسميات التى كان قادرا على تحقيقها فى الواقع ومن وجهة نظر قريبة من الفكر الإسلامى ( ٢ ) ، فقد كانت هذه المسميات الحديثة نتاج الفكر الأوربى الليبرالى الحديث واستخدمها جمال الدين الأفغانى فى دعوتة الثورية التى تقوم أساسا على الفكر الإسلامى .

( ١ ) اعتماد السلطنة : روزنامه خاطرات ص ١٠٦٦ نقلا عن فریدون آدمیت : ایدئولوژی نهضت شروطیت ایران ص ٤٨

( ٢ ) Rypka (Jan): A history of Iranian literature  
Dordrecht - Holland, 1967, pp. 354

## دور الجناح الديني في الحركة الإصلاحية :

إن ما حققته الفتوى الصادرة عن مرجع التشيع تعد أكبر انتصار لطبقة علماء الدين الإيرانيين وسببا في عودتهم الى قيادة الأمة روحيا (١) ، لكن هذه العودة الدينية لم تكن ذاتية أو طبيعية بل كانت من أعراض التهدم المعنوي للقوى السياسية التي لم تحاول تصحيح أسس الحكم أو تعمل على إستئصال جذور الفساد ، ومع ذلك لم يكن عدد علماء الدين المستنيرين الذين أدركوا مساوي الحكم الإستبدادي وتفشى الفساد في الدولة كبيرا ، بل كانوا قلة من كبار طائفة العلماء إلا أن تأثيرهم على دفع الحركة الإصلاحية القومية بلغ درجة كبيرة أضفت على الحركة الدستورية طابعا دينيا بالإضافة الى طابعها القوي .

وهناك بعض العوامل التي دفعت هؤلاء القادة الروحانيين الى الإنضمام لصفوف الحركة الإصلاحية الدستورية وهي :

( ١ ) رفض المذهب الشيعي للحكم الإستبدادي والمظالم التي تفشت في البلاد ومن ثم كانت مقاومة ظلم آل قاجار وإستبدادهم علا مقديما ما أضعف من قوة القاجاريين وضرب أساس حكمهم .

( ٢ ) رجوع الناس في كل شئون حياتهم الى علماء الدين وطاعتهم وثقتهم بهم .

( ٣ ) الإستقلال المالي الذي تمتع به العلماء مما أغناهم عن عون الحكومة وما يجسرهم

من ضغوط .

---

(١) يرى فريدون آدميت في كتابه "أيديولوجي نهضة مشروطية إيران" ص ٣٨ أن هذه الفتوى كذبة سياسية أطلقها الروس بين الشعب الإيراني للحيلولة دون تقدم النفوس البريطانية في إيران وأن العلماء قد سارعوا الى التصديق عليها وتبنيها بمسند أن رأوا استجابة الشعب بأكمله لها ، ولكننا لانملك أي سند أو مرجع آخر يوهد فريدون آدميت فيما ذهب إليه .

(١) وجود المرجع الشيعي خارج الأراضى الإيرانية (بالنجف) مما أعطاهم حرية التحرك في مقاصدهم لإنحرافات العرش وسياسة الحكومة. (١)

وقد إتجه علماء الدين الى سانددة الحركة الإصلاحية رغم إدراك بعضهم أن الأمر الجديد لا يشر بأى خير لهم (٢) ، فكان اقرار القانون الوضعى والحكومة الدستورية يعنى بالنسبة لهم ضياع نفوذهم الروحى كمرجع للفتاوى والأحكام ، ومعنى أيضا إنتقال السلطة الى القانون الوضعى وحكومة الشعب ما لا يقوم أماما على الشريعة الإسلامية وهكذا القبول أن العنصر المستنير من علماء الدين قد ناصر الحركة الاصلاحية تحت تأثير التيار الفكرى السائد وكان دورهم الأساسى فى المرحلة الاخيرة من الحركة هو توجيه السياسة الدستورية توجيهها شرعيا متمسكين بأصل الاجتهاد والتفسيرات الشرعية ، فقد كانت السياسة الدستورية أو فكرة حكومة الشعب من الأسس الأصلية للحضارة الغربية جلبها الى ايران المستنيريون والتقدميون الليبراليون ونشروا أفكارها وبيادتها فى ايران وسعوا الى تطبيقها فى الواقع السياسى ، ثم إطلع عليها العنصر المستنير من علماء الدين وتعاطفوا معها وبدأوا فى تأييدها بالتوجيه الشرعى والتحليل الأصولى (٣) ، وأخذوا على عاتقهم مسئولية النهضة القومية وكلفوا الشعب بمساندة الدستور والعبادىء التقدمية عن طريق الفتاوى الشرعية والأحكام الدينية ، يقول المجتهد المستنير سيد محمد طباطبائى :

نحن لم نر النظام الدستورى ولكننا سمعنا عنه وروى لنا الذين زاروا الدول التى تعمل بنظم دستورية ان حكم الشعب وسيادة القانون يؤدى الى أمن البلاد

---

(١) مجذوب (ظلال) : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ، ص ٧٠ .  
(٢) Sykes (Sir Percy): A history of Persia, vol., II  
third ed., pp.382, London, 1930

(٣) آدميت (فريدون) : ايدى بولوى نهضت مشروطيت ايران ، ص ٢٢٦

وتعميرها ، فتشرقنا اليه وأحببناه ومهدنا لإقراره في بلادنا " (١)

كان ميرزا سيد محمد طباطبائي عالما دينيا ذا مكانة ، ومن قادة الحركة الدستورية في ايران وكان يعارض الوجه البغيض لعلماء الدين الذين كانوا يستغلون الدين طلبا للدنيا ، وكان يحى الأحرار والوطنيين الذين كانوا يتعرضون لتكفير الملات المرائين (٢) ، وكان هذا الزعيم المستنير ومعها حاجي شيخ هادي نجم آبادي (٣) ، وميرزا بهبهاني وآخوند ملا هادي سبزواري وغيرهم من الزعماء الروحيين التقدميين يشكلون الجناح التقدي للفكر الإسلامي المناهض بالحكومة الدستورية ، وكان لكل من هؤلاء القادة الروحيين أنصار وأتباع من الطلبة الدارسين بالنجف وكربلاء يؤيدون الفكر التقدي ، وكان هؤلاء الطلبة الذين تطلعوا الى التغيير والإصلاح هم أداة نضال المجتهدين أو " جيش الشريعة " . (٤)

لم تكن الجماهير العامة من الشعب الإيراني تعرف شيئا عن الدستور والقانون والفكر الحديث لكنها كانت تعرف السيدين طباطبائي وبهبهاني ، وكان الأخيران قد عقدا تحالفا قويا فيما بينهما لتحقيق أهداف الشعب ونصرة الدستور (٥) ، ولم يكن دور زعماء علماء الدين قاصرا على إيقاظ الجماهير في العاصمة وحدها بل إمتد دورهم ونشاطهم الوطني اليقظ الى كبريات المدن الإيرانية ، يحضون الناس على العمل ومكافحة الجهل والتخلف ويشجعون الناس على بناء الصناعات وتعلم الحرف ، ورد في صحيفة " جبل المتيئن "

- 
- (١) آدميت ( فريدون ) : ايدولوجي نهضت مشروطيت ايران ، ص ٢٢٦
  - (٢) ملكزاده ( مهدي ) : انقلاب مشروطيت ايران ، ج ١ ، ص ٢٢٦
  - (٣) كان الشيخ نجم آبادي هدفا لبغض الملات المرائين ورجال الدولة المتجبرين واتهم بالبابية وكان خصومه هؤلاء ينعمون الناس من مجالسته .
  - (٤) كسروي ( احمد ) : تاريخ مشروطة ايران ، ج ١ ، ص ٣٣
  - (٥) كسروي ( احمد ) : تاريخ مشروطة ايران المجلد الاول ص ٥

( كان حاجي شيخ عبد الحسين اشرف الواعظين الطهراني المقيم في رشت أول ما يرتقى المنبر كان يعظ الناس من كل صيبل ، وكان في استهلاله " للروضة " يقول أن البطالة واللامبالاة لا تجدي ، وينبغي تعلم الحرف والصنائع ) . ( ١ )

وكان " الحاج علي أكبر شكسته " يحض الناس في شيراز على الجهاد ومقاومة ظلم الحكام ، ولم يقتصر دورهم على الوعظ وكشف مساوي الحكم الإستبدادي بل احتق بعض هؤلاء القادة الروحيين أفكارا تقدمية جرئة بالنسبة لمن كانوا يحملون لواة الدين في ايران حينئذ فأعلن السيد جمال الدين الواعظ الإصفهاني في خطبة له بأحد مساجد اصفهان أن النظام الجمهوري هو النظام الأقرب الى الإسلام وأيد قوله هذا بآيات من القرآن الكريم . ( ٢ )

ان مجرد هذه الفكرة التي تدعو الى النظام الجمهوري تعد تحولا خطيرا في أفكار الشعب الايراني عامة وعلماة الدين خاصة ، وتعطى صورة واضحة عن الدور المؤثر الخطير الذي اضطلع به علماة الدين المستنيريون الإيرانيون في قيادة الحركة القومية وفي توضيح مطالبها التقدمية .

هذا عن علماة الدين التقدميين الذين أخذوا على عاتقهم قيادة الحركة الوطنية الدستورية بمجرد بدايتها ، أما فيما يتعلق بالأغلبية الغالبة من الملأ وعلماة الدين الإيرانيين فقد عارضوا تحديث الحياة في ايران نظرا لما يجره التحديث والتتير مسن ضياع لنفوذهم القوى بين عامة الشعب الإيراني فعموا لإعاقة الحركة الحنادية بالتخير العام

---

( ١ ) صحيفة ( جبل المتين ) : العدد الثامن والثلاثين ١٦ ربيع الثاني ١٣١٨ هـ

١٣ أغسطس ١٩٠٠ م

( ٢ ) ف . و . ٢٥ / ٤١٦ من تقرير د ف الى لانسدون برقم ٢٦١ طهران في ٧ كانون الاول ١٩٠٥ م . نقل عن كتاب : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية طلال مجدوب ص ٢٠

للحياة في ايران ، فما كان يفتأ شخص أن يخرج عن دائرة القديم وحب الإستبساد ويتحدث عن حقوق الشعب وعن المساواة الإجتماعية والقانون حتى يتهم بالبابية والإلحاد والتفرنج ، فكانت المضادة بالحرية الفكرية في نظر هذه الفئة الدينية جريمة بل كان من يعارض الخرافات والعادات الذميمة المتفشية بين العامة في ذلك الوقت يعد مارقا آثما ، وكان الملأ المعارضون للتحديث يعلنون من فوق المنابر أن الله قد خلق الفرنجة ليعلموا وكدحوا لتلبية إحتياجات المسلمين حتى يفرغوا لعبادة الله . ( ١ )

لكن كثيرا من هؤلاء الملأ المعارضين انضموا الى الأغلبية التقدمية من علماء الدين فيما بعد وكان لهم دور هام في مساندة المبادئ الدستورية .

.. ..

---

( ١ ) ملكزاده ( مهدي ) : انقلاب مشروطيت ايران ، المجلد الاول ص ١٠٠

موقف روسيا وانجلترا من الحركة الوطنية :

كانت روسيا تقف حجر عثرة في طريق كل محاولة للتغيير والتطهير وخاصة التطورات القومية وتعمل على بقاء الجهاز الحاكم الصئبد في ايران ، وكانت بريطانيا قلقة على التقدم الذي تحرزته روسيا في ايران ، وما أن ظهرت بوادر الحركة الوطنية حتى سارعت الى مساعدة الدستوريين قدر ما سمحت الأوضاع<sup>(١)</sup> لكن مساعدة بريطانيا للدستوريين لم تكن جيسا للديمقراطية بالطبع وإنما كانت فقط لأن روسيا تساند الشاء<sup>(٢)</sup> والغريب أن بعض الكتاب المشايخين للإستبداد والمعادين للحكم الدستوري في ايران كانوا يعتبرون الدستور إينا شرعيا لساعى بريطانيا يتصورون أن هذه الحركة الوطنية العامة التي تطورت مقدماتها طوال نصف قرن بتضحيات أبناء ايران القوميين ونهبت من الفلسفة الواقعية ما هي إلا صراع سياسي حركته الصالح البريطانية في الشرق الأوسط لحماية إمبراطوريتها في الهند .

الحقيقة أن بريطانيا كانت تريد أن تجعل من ايران سدا منيعا بين روسيا والهند وكانت تساعد وتساند أى نظام يور من لها هذا الهدف سواء كان نظاما إستبداديا أو دستوريا ومن حسن الطالع أنه ما كادت طلحة الحركة الدستورية تبدو في الأفق حتى إنشغلت روسيا - حامية النظام الدكتاتوري في ايران ومخصم كل منادى بالحرية والتقدمية - بالثورات والإنتفاضات في داخلها مما أعطى الفرصة للأحرار الإيرانيين لتحقيق الهدف الذي كان نصب أعينهم .<sup>(٣)</sup>

(١) ملكزاده ( مهدي ) : انقلاب مشروطيت ايران الجزء الاول ص ٢٦١

(٢) Elwell - Sutton: Modern Iran, pp. 63

(٣) ملكزاده ( مهدي ) : انقلاب مشروطيت ايران الجزء الاول ص ٢٦١

نهاية ناصر الدين شاه :

بعد نصف قرن من الحكم المطلق وبيع موارد البلاد للأجانب أطلقت النار على ناصر الدين شاه في الثامن عشر من ذي القعدة عام ١٣١٣ هـ ق ١٨٩٦/٠ لم . عشية احتفاله بمرور خمسين عاما على جلوسه على عرش ايران ، وموت ناصر الدين شاه إنتهى النظام المطلق الذى فرضته الأسرة القاجارية منذ نشأتها (١) ، وقد فجر إغتيال ناصر الدين شاه معارضة قوية لفكرة حكم " ظل الله فى الأرض " . (٢)

كان قاتل ناصر الدين شاه هو ميرزا رضا كرمانى وهو أحد أنصار جمال الدين الأنفانى الذى كان ينادى بتخليص العالم الإصلاحى من الطغاة التقليديين . أوضح ميرزا رضا كرمانى فى الإستجواب الذى أجرى معه سبب إقدامه على إغتيال ناصر الدين شاه فقال :

" خراب الدولة وظلم الحكام وتنفس الفساد وحكم الطغمة الخائنة ومنع الإمتيازات للأجانب وقرب وقوع دولة المسلمين فى يد الأجانب " . و " كان ناصر الدين شاه حاكما سيئا نتج عن سوء أفعاله خراب البلاد وكان أعوانه أراذل وأدنياه فكان ينبغي أن تجتث جذور هذه الشجرة حتى لا تنثر هذا النوع من الثمر مرة أخرى " . (٣)

فتح إغتيال ناصر الدين شاه باب الإرهاب السياسى ، وعندما إنتشر خبر تلك الحادثة هب الوطنيون التقدميون لدعوة الشعب الى الجمهورية (٤) ، وكان مظفر الدين

(١) Rypka (Jan): A history of Iranian literature. pp. 323

(٢) Frye (Richard): Iran, pp. 66

(٣) آرهن پور ( يحيى ) : از صبا تانينا ، ج ١ ، ص ٢٢٤ ، وتيمورى ( ابراهيم ) : عصرى خبرى ، ص ٢٨ .

(٤) آدميت ( فريدون ) : ايدىولوجى نهضت مشروطيت ايران ، ص ٥٠ .



شاه الذي إعتلى العرش خلفاً لأبيه يتصور أنه إذا ترك لهؤلاء الوطنيين حرية نشر أفكارهم الثورية فإنهم سيقطعون جذور آل قاجار من الأرض<sup>(١)</sup> ، والواقع أنه كانت هناك أزمة سياسية أعنف وأشد تتنظر البلاد في السنوات القليلة التالية .

.. ..

---

(١) كرماني ( ناظم الاسلام ) : تاريخ بيداري ايرانيانه ج ١ ، حاشية ص ١١١

مظفر الدين شاه :

إعتلى مظفر الدين شاه العرش بعد أبيه المغتال في يونيو ٨٩٦ لم / ١٣١٣ هـ ق .  
وكان شيخا منا مريضا ، وكانت صحته الضعيفة تحتاج الى العلاج في أوروبا ما تطلب  
ملا كثيرا ونشلت المحاولات لجمع مليون جنيهها إسترلينا في لندن فعهد في سبتمبر ١٨٩٨ م  
الى ثلاثة أشخاص بلجيكيين بجمع المال على البضائع الإيرانية وعلى الرغم من كفاءة النظم التي  
إستحدثها البلجيكيون في النظام الإداري الجمركي إلا أنهم صدوا الموقف في السنوات  
التالية بتدخلهم في شؤون الحكومة وتفضيلهم للأمرن على سائر الطوائف في القيام بالمهم من  
الأعمال فتصاعد السخط بين طائفة التجار على الإدارة البلجيكية للجمارك وإشتد الإمتياز  
العام ضد نفوذ هؤلاء الأجانب (١) في البلاد . ولم يتوان مظفر الدين شاه عن زيادة  
الديون لروسيا التي سارعت بتقديم المال للحاكم الضعيف بامتنان في مقابل الإمتيازات  
الجمركية ومزايا عديدة أخرى في إيران . (٢)

وقد ساعدت سياسة مظفر الدين شاه المتجهة نحو اعتماد متصاعد على المساعدات  
والقروض الروسية والإنجليزية على التعجيل بخطط الوطنيين الإيرانيين والإسراع بتقنين  
مطالبهم ، وقد تحكمت الأهواء والمصالح الشخصية والشعور بالقوة المطلقة في صير البلاد في  
عهد هذا الشاه كما كانت في عهد أبيه (٣) ، وقد إتضح الخراب وتكشف الفساد بمسدد  
سقوط ناصر الدين شاه القوى (٤)

(1) Avery (peter): Modern Iran, pp. 122 (١)

(2) Frye (Richard): Iran pp. 66 (٢)

(3) Rypka (Jan): A history of Iranian literature. pp. 357 (٣)

(٤) بهار (محمد تقى) : مهك شناسى ، الجزء الثالث ، تهران ١٣١٩ . ص ٤٠١

أدى تولى مظفر الدين شاه للحكم بضعفه وحاجته الملحة الى المال الى نتيجتين هامتين بالنسبة لتطور الحركة الوطنية :

— الأولى سلبية فقد استغل رجال البلاط وأصحاب النفوذ عزلة الشاه وضعفه فأمنوا في استغلال الشعب ، كما انتهزت الدول الأجنبية الفرصة وأخذت في مد الشاه بالقروض مقابل رهن عائدات بعض المرافق الحيوية للبلاد وزيادة ربط اقتصاد الدولة بالإقتصاد الأجنبي .

والأخرى إيجابية : حيث إغتتم الوطنيون فرصة التراخي والتساهل النسبي الذي ميز فترة حكم مظفر الدين شاه بالنسبة لعهد والده ، فعدوا الى عقد النقودات والمجالس في المنازل والمساجد وأكثروا من إنشاء المطابع وإصدار الصحف حتى أنه يمكن اعتبار عهد مظفر الدين شاه بداية إنتعاش الحركة الوطنية ودخولها حيز التنفيذ الفعلي وبداية النهضة العلمية والثقافية في ايران . (١)

#### مظفر الدين شاه والنفوذ الاجنبي :

قام مظفر الدين شاه برحلتين الى أوروبا وروسيا عامي ١٩٠٠ و ١٩٠٢ م ، كما فعل والده ناصر الدين شاه من قبله ، وعلى الرغم من أن هذه الرحلات التي كان ملوك آل قاجار يقومون بها الى أوروبا لم تكن ذات هدف محدد إلا أن لها جانبها إيجابيا واحدا وهو أن هذه الرحلات كانت تبني الحكام المستبدين الى تخلف بلادهم والى ضرورة القيام بإصلاحات حيوية في البلاد . (٢)

(١) رائين ( اسماعيل ) : انجمنهاى سرى ص ٢٥ نقلا عن طلال مجذوب : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية . ص ١٠٤  
(٢) استعلاى ( محمد ) : ادبيات دوره بيدارى ومعاصر . ص ٢ تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهى

شهدت ايران في عهد مظفر الدين شاه زيادة كبيرة في النفوذ الروس في البلاط القاجارى ، وما ساعد على ازدياد التدخل الأجنبى في البلاد أن مظفر الدين شاه كان قد ترك شئون إدارة الدولة في أواخر عهده لرجال البلاط الذين عملوا حسب توجيهات السياسة الروسية ، وكان لهذا التدخل الروسى في ايران جانب مفيد للحركة الوطنية فقد اضطرت إنجلترا الى مساندة الوطنيين الإيرانيين في مطالبتهم بالدستور والحرية ، وكانت تهدف من وراء ذلك الى صالحها في المقام الأول ، فاذا إنتصرت الحركة الدستورية كان فى الإصلاح والدستور حد من سلطات الشاه المطلقة وفي نفس الوقت تقليص النفوذ الروسى المويد للشاه . ( ١ )

وبالإضافة الى زيادة التدخل الروسى وإتضاع أوجه الفساد في الدولة كان أبناء مظفر الدين شاه الذين حكموا الولايات الإيرانية ظلمة متجبرين نشروا الظلم في الولايات التى حكموها وسفكوا الدماء واعتدوا على حرمان الشعب مما ضاعف من سخط الشعب على الحكومة الإستبدادية والتدخل الأجنبى ( ٢ ) وغياب الأمن وعجل بقيام الفوسيين بالحركة التى تعد نقطة تحول في تاريخ ايران .

#### غياب دور الجيش :

إحتفظ آل قاجار بقوات مسلحة عاجزة لارجاء فيها نتيجة لإنتشار الفساد داخل الجيش وانطفاء الروح المعنوية بين أصحاب المناصب العليا حتى أنه لا يكاد يكون للجيش أى دور أو إعتبار في الثورة الدستورية ( ٣ ) ، بل ولم يكن للجيش دور في حماية الدولة

(١) مجذوب ( طلال ) : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية . ص ٥

(٢) ملكزاده ( مهدى ) : انقلاب مشروطيت ايران . ج ١ . ص ١٥٠ .

(٣) Sykes ( Sir Percy ) : A history of Persia, Vol., 3 , pp. 382

وحدودها من التدخل العسكرى وقد ذكرنا من قبل إستيلاء روسيا على أجزاء من الأراضى الإيرانية من جراء ضعف القوات المسلحة حينذاك ولو كان الروس أو غيرهم من الدول المجاورة لايران قد حاولوا إقتحام ايران بجيوشهم ماوجدوا مقاومة من الجيش (١) الإيراني . إلا أن الصراع بين القوتين العظيمين فى ذلك الوقت روسيا وانجلترا حال دون إحتلال أى منهما للأراضى الإيرانية عمكراً .

.. ..

---

(١) يقول حاجى زين العابدين المرافى فى كتابه " سياحتنامه ابراهيم بك " المجلسد الأول ص ٧٦ فى حديثه مع وزير الحربى عن الجيش : " من مدينة مشهد حتى وصلت الى العاصمة لم أجد أثراً لجنود الحدود وحماة الدولة ولا أثر لمدافع أو ذخائر أو قلاع أو أبراج ، فإذا كان السلام قائماً مع كل الدول المجاورة واطمأنت قلوبكم أنه ليست هناك حرب وشيكة فلماذا كل هؤلاء القادة وأصحاب الرتب وجهاز وزارة الحربى وتدوين أسماء مائتى ألف جندى على الورق ؟ " .

## الفصل الثاني

### الخلافة الاجتماعية



## الأوضاع الإجتماعية في إيران قبل الدستور :

لم يكن " للرعية " دور في إدارة شؤون البلاد أو تقرير مصيرها في العهد السابق على الدستور فكان الشاه يعتبر نفسه مفوضا من قبل الله للحكم في الأرض فكان تقليد الإستبداد ومطلقية الحكم هو سمة الحكم في إيران ، وكانت الرعية ترى الإستبداد مقبولا أو محتسبا كسمة طبيعية من سمات العالم قبل حلول الألف السعيد الذي يفتح الحكم الموعود بالعدل والقسطاس حسب المذهب الشيعي ، وكان الفرس يؤمنون بالحق الإلهي للملك (١) ويتقبلون حكمهم الجائر قبولا حسنا وعن طواعية وقد زاد الإستبداد ومطلقية الحكم في الفترة السابقة على الدستور وشاع التعلق وضاع قول الحق وانتشر الإنحطاط والفساد الخلقى بين الخاصة والعامة . (٢)

وفي أواخر القرن التاسع عشر شهدت الحياة الإجتماعية في إيران تحولات وتطورات خطيرة ضمن ما تميز به ذلك العهد من إختلاف جوهري عن سالف العهد في إيران ، فقد وضعت التطورات السياسية واقتصادية البلاد على أعتاب مرحلة جديدة وأحدثت تغييرا ملحوظا في الأثق الإجتماعي وأهم مظاهر هذا التحول الإجتماعي هو بداية إعتراف الإيرانيين على الحكم الإستبدادي ومطالبتهم بالحرية والدستور والمساواة الإجتماعية والعدل ، وبعد هذا في حد ذاته " طفرة " إجتماعية غيرت إتجاه التاريخ الإيراني .

## بنية المجتمع الإيراني :

كان المجتمع الإيراني يتكون من ثلاث طبقات إجتماعية :

---

(١) Laurence Lockhart: The constitutional laws of Persia, (١)  
The middle East Journal, Vol. XIII , pp. 372

(٢) ملكزاده (مهدي) : انقلاب مشروطيت ايران ، الجزء الاول ، ص ٦٥

( ١ ) طبقة رجال الدولة والأمراء ، وكانوا رغم علمهم بأوضاع البلاد وإطلاعهم على المعاسد الإجتماعية وضعف جهاز الإدارة يسعون الى الحفاظ على قوة الجهاز الإستبدادى الحاكم لأنهم كانوا هم أنفسهم سبب هذا الفساد وستفيدون من استمراره ، وقد أمسكوا من خلال التعاون القريب فيما بينهم بأزمة الأمور في البلاد ولم يكن لأحد القدرة على مخالفة إرادتهم وإعاقة مصالحهم ، ومع ذلك كان من بينهم من كان على قدر من الإنصاف والضمير وتطلع الى الإصلاح لكنه يخشى من فقدان مكانه ومآله الشخصية ، وكان هؤلاء يلتزمون التحفظ عندما يدور الحديث أمامهم عن حقوق الشعب وتذرعون بأن الشعب غير ناضج سياسيا لدرجة تكفى لتدخله في إدارة البلاد وتقرير مصيرها . ( ١ )

( ٢ ) طبقة علماء الدين والملايك وكان لهم نفوذ وتأثير كبيران على الشعب الإيراني وذلك بطبيعة التكوين الدينى والنفسى للشعب فكانت أغلبية هذه الطبقة تعمل على بقائه النظام الإستبدادى الحاكم مما كان يتيح لهم فرصة السيطرة على عقول العامة ، ولكن كان بينهم أيضا عدد من العلماء الأتقياء المستبشرين الذين تحدثنا عنهم في الخلفية السياسية .

( ٣ ) طبقة العامة التى كانت تشكل القاعدة العريضة من الشعب الإيراني وهى طبقة كادحة عانت من الظلم وكان عليها إعداد كل وسائل حياة الدولة ، وكان هؤلاء العامة يعيشون في ظلام الجهل ولا نصيب لهم من الحضارة والعلم والحرية ، وعندما كان مستيروهم يصرونهم بالشقاء الذى يعيشون فيه كانوا يجيبون بأن الله قد قدر لهم ذلك ، إذ كانوا يتصورون أن الله قد خلق هذه الطبقة العامة عبدا للطبقة الحاكمة ولا يتصورون أنهم أيضا بشر متساوون في الحقوق مع سائر الطبقات . ( ٢ )

( ١ ) ملكزاده ( مهدى ) : انقلاب مشروطيت ايران ، المرجع السابق ، ص ١٠٥

( ٢ ) المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ١٠٥



## الاتصال بأوروبا وآثاره على الحياة الاجتماعية :

انتعش الاتصال بأوروبا في تلك الفترة بعد أن كان قد خمد في أعقاب العصر الصفوي ، لكن هذا الاتصال الذي كان لا يزال طفيفا في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ترك تأثيرا ذا وجهين على الحياة الاجتماعية في إيران ، أي أنه أثر تأثيرا إيجابيا من ناحية سلبيا من ناحية أخرى .

أما تأثيره الإيجابي فهو إطلاع المستيرين الإيرانيين على نظم الحكم الدستوري والديمقراطي في أوروبا وإيضاح الفارق بين الحياة في ظل نظام إستبدادي بلا قانون ينظم شؤون الدولة ويحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم من ناحية وبين أفراد الشعب نفسه من ناحية أخرى وبين الحياة في ظل حكم دستوري ديمقراطي ، وقد بدأ النظام الدستوري في فكر المستيرين الإيرانيين كباعث على التقدم في كل نواحي الحياة فأمنوا به وعملوا على إقامته في بلادهم ، وكان معظم الدستوريين الذين نادوا بوجوب إقرار الدستور والحريسة والتحديث من تلقوا تعليمهم في أوروبا فكان إيمانهم بالحياة النيابية والديمقراطية راسخا .

ومن الآثار الإيجابية أيضا للاتصال بأوروبا ورود التقنية الأوربية الى إيران ، فقد صاحب التأثير الفكر الأوربي شي من التقنية الغربية ساعدت على تقدم تيار التحديث في إيران ، ومن هاتين الناحيتين كان الاتصال بأوروبا عاملا بناه .

أما التأثير السلبي فهو زيادة نفوذ رأس المال الأوربي بما صاحبه من تدخل في الشؤون الداخلية للبلاد وربط للإقتصاد الإيراني بالإقتصاد الأوربي ، كما زادت كميات البضائع والسلع الأوربية الصنع في الأسواق الإيرانية بشكل مطرد مما حال دون نمو الصناعات الوطنية وحقو قيلم نهضة شاملة في فترة لو أحسن إستغلالها لكادت إيران في مصاف الدول المتقدمة ، فكان الاتصال من هذه الناحية عاملا هداما .

### سقوط النظام الإقطاعي ونمو الطبقة المتوسطة :

أخذ الإقتصاد الإقطاعي في هذا العهد في التحول إلى إقتصاد رأسمالي مفتوح تحت ضغط رأس المال الأوربي ، أي أن النظام الإقطاعي الذي ظل قائما في إيران عهدا طويلا عانى من أزمة شديدة في تلك الفترة نتيجة للظروف الإقتصادية الجديدة التي خلقها رأس المال الأوربي الذي إتخذته القوى الأوربية وسيلة جديدة للسيطرة على الدول الأخرى . كانت الطبقة البرجوازية المتوسطة قد نما ثراؤها إبان تلك الفترة بفضل التجارة والظروف الإجتماعية والإقتصادية الجديدة ، وقد إستغلت هذه الطبقة أزمة النظام الإقطاعي لصالحها فأحتلت مكان الإقطاع السابق محقة ذلك بشراء أراضى الفلاحين وممتلكاتهم لإحتكارها وحيازة القوة السياسية بالتالى (١) ، وقد أمعن القرن التاسع عشر في إيقاف الطبقة البرجوازية المتوسطة والنهوض بها وفي إقصاء الطبقة الإقطاعية من مكان الصدارة في بنية المجتمع الإيراني .

### تطور الحياة الإجتماعية :

ماج المجتمع الإيراني في ذلك العهد بتيارات فكرية وإجتماعية مختلفة أصلية ووافدة ، رجعية وتقدمية ، تقليدية ومجددة ، ونتج عن كثرة هذه التيارات الإجتماعية تطرف حاد في بعض الأحيان هدد بهدم البنية الإجتماعية وإعادة بنائها بشكل آخر ، وكان ناصر الدين شاه يحاول جاهدا أن ينادى بالبلاد عن أى لون من ألوان التطرف في إيران ، لهذا كان يتظاهر بالولاء الأمثل للتحديث والتقدمية إلا أن التحفظ القائم على تجنب التطرف كان مستترا وراء هذا التظاهر فالشرائع المختلفة من المجتمع - والتي آزرت كل منها الأخرى في البنية

(1) Rypka (Jan): A history of Iranian literature pp. 321 (1)

الإجتماعية بتوازن تمام - لا يجب أن تهتر الى درجة هدم البنية بأكملها (١) ، ونفس نفس الوقت يجب أن يظل هو الحاكم المطلق الأوحده بيده كل أزمة الحكم وشئون الدولة .  
يقول كورزون في وصفه للظروف الإجتماعية التي شهدتها ايران في أواخر عهد ناصر الدين شاه :

" كان العنصر الفردي في دولة على هذه الدرجة من التخلف الدستوري والتجرد من القوانين والفرق في تقاليد الشرق الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ سيطرا الى درجة بعيدة ، وشهدت الفترة الأولى من حكم ناصر الدين شاه تأثيرا متسلطا تمثل في قوة المملات . إلا أن الشاه قد بالغ في الحد من هذا التأثير بتأكيد تدريجي للسلطة المدنية بوضوح إدارة عثمانية على الأوقاف الدينية فأصبح بذلك لايسأل وقادرا على كل شئ " بالفعل مع تحكم مطلق في أرواح رعاياه وصير البلاد " (٢) .

#### الغيات الإجتماعية المشاركة في التمهيد للحركة الدستورية :

كانت الحركة الدستورية نتاج جهد مفكرى الأمة ومستنيرها التقدميين الليبراليين وساعد علماء الدين في ترسيخ دعائمها وتحملوا مسئوليتها عندما دخلت مرحلة الثورة والتنفيذ ، وشاركت في هذه الحركة أيضا طبقات وثقات مختلفة من الشعب ذات إتجاهات متباينة وأهداف متفاوتة من الطلبة والتجار و عامة الشعب .

لقيت الحركة الدستورية تأييدا قويا من التجار التقدميين وهم طائفة لها نشاطها وتطورها الإجتماعي الحديث ، وكانت منهم فئة واعية بالمؤسسات الإقتصادية والصناعية الحديثة

(1) The Middle East Journal, Vol. XIII, pp. 372 (1)  
The constitutional laws of Persia.

(2) (٢) نقلا عن : Avery (Peter): Modern Iran, pp.92

وعلى درجات من الوعي الاجتماعي الحديث ومعرفة الإيديولوجيات الحديثة على مسرح السياسة العالمية ، وكان بين هؤلاء التجار أفراد مجربون يقظو الفكر بل وخصر تربت على الفكر الاجتماعي الراديكالي ، وتمعد رواية " سياحتنامه ابراهيم بك " تأليف حاجي زين العابدين المراغي مثلاً كاملاً للفكر التقدمي لدى هذه الطائفة من التجار .

لعبت طائفة التجار دوراً رئيسياً في الثورة الدستورية والإعداد لها ، وكانت هناك علاقة فكرية وعلمية بين تلك الطائفة وبين فئة المستثمرين ، وتكونت في اسلابول في ذلك العهد دائرة من تلك العناصر التقدمية من التجار والمفكرين الإيرانيين ما يدل على رقي أهداف تلك الفئة من التجار (١) .

أما الطبقة العامة من الشعب فكانت تتضم بسهولة إلى أية إنتفاضة مناهضة للنظام الحاكم وذلك لما كانت تعانيه تلك الطبقة من ندرة الأرزاق ونقص السلع وظلم عمال الدولة وموظفيها ، ولم يكن لطبقة العامة أية تربية إجتماعية أو وعي سياسي كامل إلا أنهم كانوا على قدر من الشعور الوطني التقليدي العام الذي يميزون به بين ما هو في صالحهم وبين ما يضرهم (٢) ويرى ملكزاده أن عامة الشعب الإيراني لم تكن تشكو من وقوع إيران في أيدي حفنة من الظالمين والخونة وإنما كانت شكواها من أنها لا تتفجع بشيء من موارد البلاد بينما يستولس الصدر الأعظم على آلاف التومانات كل عام من بيع موارد البلاد إلى الأجانب ، فكانت العامة أيضاً - كما يرى ملكزاده - ظالمين ولكن أيديهم قاصرة عن الظلم (٣) .

ويرى ميرزا ملكم خان ناظم الدولة أيضاً أن طبقة العامة كانت ترى الإستبداد أمراً

سلماً به فيقول :

- (١) ملكزاده ( مهدي ) : انقلاب مشروطيت ايران ، ج ١ ، ص ٨٥ ، ص ١٥٠ .
- (٢) آدميت ( فريدون ) : ايدولوجي نهضت مشروطيت ايران ، ص ١٥٠ .
- (٣) ملكزاده ( مهدي ) : انقلاب مشروطيت ايران ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

" يتصور العامة في إيران أن معنى الحياة هو ذلك الذي يعيشونه ولا يدور فسي  
أذهانهم إلى أية درجة اختفت حياة تلك الأمة من جراء حماقة زعمائنا " (١)  
والمرجح أن عامة الشعب الإيراني كانت تشارك في الحركة الوطنية مشاركة حماسية نابعة  
من الشعور القوي العام ، إلا أن هذه المشاركة لم تكن من أجل إقرار الدستور وحكم الشعب  
والمساواة الاجتماعية وإنما تظلموا من ندرة الإرزاق ونقص بعض السلع الضرورية كالخبز والسكر  
ومن تعسف عمال الدولة المتجبرين واضطهادهم ، ولا نتوقع من العامة البسطاء أن يكونوا  
مدركين لهذه المفاهيم الحديثة المعقدة في ذلك الوقت مثل " الفكر الدستوري "  
و " الديمقراطية " و " حكم الشعب " خاصة في شعب جبل على الولاة لسلطان ظل الله  
في الأرض فكان الهدف الرئيسي للعامة منحصر في طلب الرزق والقوت شأنهم في ذلك  
شأن العامة في كثير من دول الشرق وخاصة في عهد لم تكن المفاهيم السياسية فيه قد  
وصلت بعد من الخاصة إلى العامة ، وكان إنضمام العنصر الديني إلى الحركة الوطنية وحثه  
للشعب على مساندة الدستور والحركة القومية من أهم العوامل التي جذبت الجماهير  
العريضة إلى المشاركة في الثورة فللدين دور مؤثر وخطير في حياة الإيراني البسيطه ومثالنا  
على ذلك ما حدث من الشعب إبان حادثة احتكار الطباقي عام ١٩١٢ م ، فما أن أصدر مرجع  
التشيع في النجف فتوى حظر التدخين ومنع التعامل فيه حتى سارع الشعب بكل فئاته إلى  
الإستجابة لأمر الزعيم الديني وحظر التدخين حتى في داخل قصر الشاه نفسه ، فكانت تلك  
الحادثة أول هزة شعبية توحد العمل الوطني وتطلع الشعب على حقوقه في تقرير مصير بلاد  
وتجذبه إلى المشاركة في العمل الوطني .

---

(١) صحيفة " قانون " ، العدد ٢٢ ، بدون تاريخ ، نقلًا عن فرشته نورائي : تحقيق  
در افكار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة ، ص ١٩٥ ، طهران ١٣٥٢

## الفصل الثالث

### الخلفية الثقافية

□□□□□□□□□□

الحياة الثقافية والفكرية في عهد ناصر الدين شاه :

عاش الشعب الإيراني في العهد القاجاري في ظل أوضاع سياسية واجتماعية مضطربة  
أثرت بالتالي على الحياة الفكرية والثقافية .

لم يكن الحديث بين الناس في أوائل عهد ناصر الدين شاه ( ١٨٤٨ - ١٨٩٦ م )  
يدور عن الأحوال السياسية وما آلت اليه البلاد من فساد سياسي وإداري بل كان يدور غالباً  
عن الشعر والعرفان والأديان (١) ، ولما كان الإصلاح في هذه الفترة فكرة لم تصل من  
الخاصة الى العامة بعد كانت عامة الشعب الإيراني تعيش في ظلم الجهل والخرافات  
ولاتعبر اهتماماً الى ما يحدث في البلاد ، وحتى إذا ظهر من بين الشعب من ينادى بالحرية  
والمساواة في ذلك العهد كان يتعرض لنقمة الطبقة الحاكمة وغضب علماء الدين المعارضين  
للفكر الحديث .

كانت الأعمال الأدبية التي ظهرت في أوائل عهد ناصر الدين شاه ذات أسلوب تقليدي  
أي أن كتابها راهوا الأسلوب القديم في كتاباتهم النثرية ، فاستخدم مهدي قلنجان هدايت  
(صاحب مجمع النصحاء) وسيهر ( مؤلف ناسخ التواريخ ) واعتماد السلطنة  
( صاحب مرآة البلدان - مطلع الشمس - المآثر والآثار - تاريخ ايران ) وأديب الممالك  
فراهاني ومحمد حسن فروغى ذكاء الملك أسلماً نثراً لا يختلف كثيراً عن أسلوب القدماء ، فما زالت  
الكتابة الإنشائية المتكلفة بسجعها واستشاداتها بالأحاديث وأقوال حكماء العرب والمجم  
سائدة ولو أنها قلت الى حد ما عن الكتابات السابقة . (٢) ووضعت الى جانب الأعمال  
الأدبية أعمال فلكية ورياضية وتاريخية عديدة في تلك الفترة ، كتب ميرزا جعفرخان كتابه  
" خلاصه " و" جام جم " الذي طبع عام ١٢٧٢ هـ / ق / ١٨٥٥ ) وترجمت بعض الأعمال

(١) آرین پور ( یحیی ) : از صبا تانیا ، ج ١ ص ٢٢٣

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٨

التاريخية من قبيل " تاريخ بطرس الكبير " الذي نشر عام ١٢٦٢ هـ / ق / ١٨٤٦ م ، " شارل الثاني عشر " عام ١٢٦٣ هـ / ق / ١٨٤٧ م ، " الإسكندر العظيم " ، ومن المؤلفات الجغرافية التي ألقت في ذلك العهد كتاب " جهان نامه " تأليف ميرزا رافائيل ، ووضع أيضا بعض الكتب التوجيهية والمعاجم اللغوية (١) وقد ساعد ظهور الطباعة على انتشار هذه المؤلفات والترجمات .

### يوميات ناصر الدين شاه :

كان ناصر الدين شاه ملما باللغة الفرنسية ، والجغرافيا والتاريخ وقد وقف على أوضاع العالم الغربي وحضارته نتيجة لرحلاته الى أوروبا اعوام ١٨٧٣ - ١٨٧٨ - ١٨٨٩ وقد كتب يوميات عن رحلاته هذه تناول فيها تفاصيل أيام رحلاته الى مدن ايران والى موسكو وأوروبا الغربية ، فيذكر تاريخ دخوله كل مدينة يمر بها والأحداث التي تمت فيها ومشاهداته والشخصيات التي التقى بها في كل مدينة .

أولى ناصر الدين شاه إهتماما كبيرا في يومياته لوصف مظاهر الأبهة والفخامة التي شاهدها في أوروبا ، ويتبين من حديثه عن هذه المظاهر مدى حبه لمظاهر الترف وإنبهاره بمظاهر الحضارة الأوربية .

وتعتبر يوميات ناصر الدين شاه - سواء كتبت بقلمه أو بناه على أمر منه - من الكتابات النثرية البسيطة غير المتكلفة وتبين عن ذوق رفيع لدى كاتبها وعن سليقة أدبية في إنشائه الموضوع وسرده ، ويعتبرها ريبكا " في قمة التشويق من كل جوانبها " (٢) ، وساهمت هذه

(1) Browne (E.G.): The press and poetry of modern Iran, (1) pp.8 Cambridge 1914

(2) Rypka (Jan): A history of Iranian literature, pp. 336 (٢)

ولكنه في صفحة ٣٢٢ يقول أن يوميات ناصر الدين شاه قد شكلت مرحلة تمهيدية للأدب الحديث بغضل بساطة الأسلوب والتوافق الرزين للوصف رغم أنها في أعماقها لا تزيد عن جرعة زائفة من السداجة .



اليوميات في تبسيط الأسلوب الثرى الحديث الى درجة كبيرة .  
وكتب مظفر الدين شاه ( ١٨١٦ - ١٩٠٢ م ) يوميات لرحلاته كما فعل والده إلا أنه  
لم يبلغ مستوى أبيه (١) في الكتابة النثرية . (٢)  
تأثير الإتصال بالغرب على الحياة الثقافية في ايران :

كان الإتصال الثقافى بالغرب من العوامل الرئيسية في بداية التحول الفكرى والثقافى  
لكثير من دول الشرق ومن بينها ايران ، وقد تميز النصف الثانى من القرن التاسع عشر  
الميلادى تحت حكم ناصر الدين شاه بحقيقة هامة وهى أن المجتمع القاجارى قد إستقبل  
موجة من الفكر الغربى أثرت على فكر طبقة المستنيرين والمتعلمين الإيرانيين ودفعتهم الى  
التفكير فى أوضاع بلادهم والسعى الى تغييرها .

وتشكل هذه الفترة تتابعا متطيقا لما تقدم ، ومقدمة ضرورية لتطور ايران فى القرن  
العشرين مما انعكس على الأدب بسلسلة من المظاهر البارزة منها بداية حركة ترجمة الأعمال  
العلمية والتاريخية الأوروبية ، والإنتشار المتزايد للأعمال الأدبية القديمة والحديثة بوجه عام  
بفضل الطباعة .

ومن المزايا الهامة التى حصلت نتيجة للإتصال بأوربا دخول الطغراف الى ايران ، وقد  
تم إدخال هذه الوسيلة الإتصالية الهامة الى ايران عام ٨٥٨ م / ٢٧٥ هـ ق . (٣) ، لكن  
بتوقيع إتفاقية مع بريطانيا عام ٨٦٢ م بدأ تطور وسائل الإتصال فى ايران بشكل فعلى ، وقد

(١) Rypka(Jan): A history of Iranian literature, pp.336

(٢) لم تتح لى فرصة الاطلاع على يوميات مظفر الدين شاه نظرا لعدم وجودها فى متناول يدي .

(٣) Elwell-Sutton: Modern Iran, pp.58

أعطت هذه الوسيلة الإتصالية الحديثة أهمية كبيرة لسلطان دولة واسعة الأرجاء كإيران ، وتم ربط هذا الخط الطغرافي بالخطوط الهندوأوربية مما زاد من الإتصال بين إيران والعالم الخارجى - وساعد على دفع تيار التحديث فى البلاد (١) ، وكانت إيران بموقعها على الطريقى الجاشريين أوربا والهند حلقة وصل هامة فى سلسلة طرق المواصلات الدولية التى كانت تتطور وتمتد باتساع كبير . (٢)

ولم يكن ناصر الدين شاه يدرك خطورة الدور الذى منطبه هذه الخطوط فى التطورات الثورية اللاحقة وفى ربط المدن الإيرانية ببعضها ابان الأوقات العصيبة التى كانت البلاد تمر بها أثناء الحركة الدستورية . (٣)

وكانت معرفة اللغات الأوربية والإطلاع على الآداب الأوربية ونظم التعليم والإمكانات الحديثة فى مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية وانعكاس كل هذا على الحياة فى إيران إكتشافا عظيما بالنسبة للثقافة والأدب الفارسيين ظهرت فى ضوءه حالة التخلف الفكرى والاجتماعى التى كان المجتمع الإيرانى يعاني منها ، وأوفد فى هذه الفترة عدد من الدارسين الإيرانيين الى أوربا للدراسة على نفقة الدولة إلا أن ناصر الدين شاه عاد فوضع قيودا على السفر الى دول أوربا التى نعمت بحكومات دستورية فى محاولة منه لوقف التيار الثورى الحديث الذى ينادى بالديمقراطية والمساواة الاجتماعية ، وساعد ميل ناصر الدين شاه الى الغرب على إجراء البدع الأوربية الحديثة فى بداية عهده ، يمكننا أن نعتبر هذه الإنجازات من حسنات ناصر الدين شاه وسحاولاته الإصلاحية فقد بدأت فى بداية عهده أولى الصحف الرسمية فى

(1) Kamshad (H) : Modern persian prose literature, pp.10 (١)

(2) Elwell-Sutton: Modern Iran, pp.58 (٢)

(3) Avery (Peter): Modern Iran, pp. 83 (٣)

الصدور وانشئت كلية دار الفنون للتعليم الفنى العالى على يد مدرسين أوربيين وامتدت خطوط التلغراف عبر ايران كلها إلا أن هذه الوسائل الحديثة أسهمت فى توير الشعب وهددت النظام الدكتاتورى القائم ، وحين أدرك ناصر الدين شاه خطر الاتصال بين الشعب الإيرانى وبين المجتمعات الأوربية المتقدمة عمل على تقييد السفر الى أوربا ومنع إصدار الصحف التى تتقد أوضاع الدولة بل ومنع دخول الصحف الإنتقادية التى كانت تصدر فى الهند ومصر وانجلترا الى ايران لكنه لم يستطع أن يضع حدا لتلك الإتجاهات والوسائل الحديثة التى كان هو نفسه قد ساعد على بدايتها وأسهمت بدورها فى زلزلة عرشه . ( ١ )

من ثم يتبين لنا أن ناصر الدين شاه قد حاول بالفعل أن يضع بلاده على طريق التقدم فى بداية توليه العرش وبذل جهدا فى اجراء اصلاحات بالدولة لكنه حين أدرك مخاطر هذه الانجازات على عرشه حاول أن يبطئ فعاليتها كما قلنا منذ قليل .

.. ..

---

(1) Rypka (Jan): A history of Iranian literature pp. 355(1)

## إتجاه الأدب نحو المجتمع :

كانت الموضوعات التي تدور حولها الأعمال الأدبية حتى أواخر القرن التاسع الميلادي محصورة في دائرة البلاط ورجال الدولة وتتأول الحياة داخل القصور والفتوحات الملكية والحياة الشخصية للملك وتتجنب الحديث عن الشعب وحياته الاجتماعية وتتجاهل الطبقات البسيطة من العوام ولما نجد إشارة في أدب المهود السالفة إلى عامة الشعب الإيراني وإذا اشير إليها فتحت اسم الغمغاه أو السوقة .

وفي أواخر القرن التاسع عشر حدث - ضمن التحول الفكري العام - تحول أدبي في الموضوعات التي تتأولها الأعمال الأدبية وفي الأسلوب النثري كذلك ، فظهرت أعمال حديثة تختلف عن الأدب التقليدي شكلا ومضمونا ، فمكثت المشاكل الاجتماعية والسياسية للمعصر أو على الأقل كانت تتصل بالواقع الاجتماعي في البلاد . (١)

ركز هذا الإتجاه الأدبي الجديد على المساري الاجتماعية وإبرازها ونقب عن أسبابها وفكر في سهل محوها ، وقد شكّل هذا الإتجاه التيار الرئيسي لأدب فلك السك العهد وهو أدب يميل إلى الواقعية والتعليلية والنضال القومي وتوجه إلى الطبقات العامة من الشعب بهدف تعليمها وتهذيبها وإيقاظها من غفلتها وتخليها من سلبيتها ، وتوجه الجزر الأعظم من الإنتاج الأدبي لهذه الفترة إلى الإندماج في الأحداث السياسية والاجتماعية الجارية إلى جانب تناول موضوعات في الحقوق الطبيعية والنظريات السياسية الحديثة ونهوض الحرية القومية والنقد الاجتماعي (٢) ، هذا من حيث المضمون أما من حيث الشكل فقد أصبح الحرص على الأشكال والقوالب القديمة طفيفا وقل استخدام اللغة الأدبية المتكلمة

(١) آدميت ( فريدون ) : ايدولوجي نهضت مشروطيت ايران ، ص ٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٢ .

التي كانت سائدة في العهد السابقه وابتعد الكتاب في كتاباتهم النثرية عن النمساذج الصارخة للقوالب اللغوية الجامدة المكررة والتسميقات البلاغية الجوفاء (١) ، وبدأت الكتابة بلغة قريبة من اللغة الجارية على لسان الناس حتى يستطيع البسطاء أن يفهموها ، فلأول مرة يحاول الكاتب أن يكسب شعبية عريضة بين الناس بفضل الطباعة التي هيأت الفرصة لتوزيع الأعمال الأدبية على نطاق واسع لذلك حاول الكتاب أن يقتربوا من الفهم العام واللغة السهلة ليوضحوا أهدافهم التي يرمون إليها .

.. ..

---

(1) Rypka(Jan)/ A history of Iranian literature,pp. 362 (١)

# البَابُ الثَّانِي

عَوَامِلُ نَهْضَةِ النِّتْمِ



الفصل الأول

الجمعيات الوطنية



من المألوف في ظل الحكومات الإمبريادية أن تلجأ الحركات الوطنية الى العمل السري حتى تتمكن من نشر أفكارها وإعداد الشعب لتقبل التغيير ولضمان سلامة العناصر الوطنية من الوقوع في أيدي أعوان الإمبرياد . وإذا نظرنا الى تاريخ الجمعيات السرية في ايران نجد أنها كانت تتشكل من الأقليات الدينية التي لا تستطيع إعلان معتقداتها جهارا . أو من الأمراء وأصحاب النفوذ الثائرين من أجل إسقاط ملك أو أمير وإحلال آخر محله . ولم تكن هناك جمعيات تهدف الى تحرير الشعب من الإمبرياد أو الدعوة للحريسة والعدل . وكانت الجمعيات السرية قبل ظهور الدستور بنصف قرن تتشكل في أغلب بقاع ايران من أتباع المذاهب المختلفة من بائية وسهائية وصوفية وشيخية وغيرها أو من مجموعة من رجال الدولة بهدف عزل المصدر الأعظم أو الحاكم الإقليمي . (١)

وتشكلت قبل الدستور أيضا إتحادات أدبية حول الشعراء كما كان الحال في منتصف القرن الثامن عشر . وكان ناصر الدين شاه يرى في هذه التنظيمات مؤشرا على أي تحرك خطير ضده . وقد لاحظ أحد المراقبين البريطانيين دائرة مخططة من القضاة والضباط والتجار تجتمع لمناقشة القضايا الأدبية والدينية في شيراز في بدايات القرن التاسع عشر (٢) على غرار الدوائر التي كانت تجتمع لتطبيق وصارسة الشعائر الصوفية ومطالعة أعمال شعراء الصوفية . وكانت هذه التنظيمات الأدبية من العوامل التي كانت تهدى من شكوك السلطات العراقية .

---

(١) ملكزاده (مهدي) : انقلاب مشروطيت ايران ، ج ١ ، ص ٢٤٥

(٢) Harford Jones Brydges: The Dynasty of the Kajar, (٢)  
London, 1883, pp. cxlvIII  
نقلا عن :

Avery (Peter): Modern Iran, pp. 113



كانت الحرية السياسية في عهد ناصر الدين شاه منعدمة فكان من العسير على الناس أن يجتمعوا لمناقشة الأمور السياسية ولم تكن هناك صحافة حرة في داخل إيران يعبرون من خلالها عن آرائهم وهذا يعطل البطر الذي نمت به حركة التمرد والاتجاه إلى تشكيك الجمعيات السرية . كان نشاط الجمعيات الوطنية في عهد ناصر الدين شاه محدودا ويتميز بالحذر والسرية التامة ، وكان القلق الفكري والرفض السياسي - خاصة بعد عزل أمير كبير - قد جعل المعايير التقدمية للنقاش سرية ، فكانت هذه الجمعيات عبارة عن مجموعات محدودة لمناقشة الأوضاع السياسية تعقد إجتماعاتها السرية في بيوت الأعضاء تحت ستار الجمعيات الأدبية . (١)

كانت الجمعية ( انجمن ) (٢) نظرية حديثة تفرقت في الشكل عن التجمعات المنظمة وفي المضمون أيضا لحب الإيرانيين للمجدد والنقاش . (٣)

وبعد عام ١٨٥٢ لم بدأت هذه الجمعيات في إتخاذ طبيعة خطيرة من حيث الهدف وشكل مطرد فنأقشت المستقبل ورثت الماضي في بعض النواحي وامتدحتته في مقارنته بالحاضر الذي تناوله بالنقد ، ويتضح مما ذكرناه في الخلفيات التاريخية عن جهاز المخابرات السري الذي كونه ناصر الدين شاه مدى مراعاة هذه التجمعات للسرية الشديدة .

#### الفراموشخانه :

ونكاد لانجد في عهد ناصر الدين شاه إلا تنظيمًا عربيًا واحدًا هو المحفل السني اسمه ميرزا ملكم خان ناظم الدولة عام ١٢٧٤ هـ ق ١٨٥٧/٠ لم والذي يسمى " فراموشخانه " (٤)

(١) Avery (Peter): Modern Iran, pp.112

(٢) انجمن : هو الاسم الذي أطلق على الإتحادات السرية أو شبه السرية لما قبل الثورة .

(٣) Avery (Peter): Modern Iran, pp. 112

(٤) سمي بهذا الاسم ( بيت النسيان ) لأن أعضاءه كان عليهم أن ينسوا تمامًا ما رأوه أو سمعوه

في المحفل أثناء حياتهم العادية وقد صيغت الكلمة في تركيبها من كلمات تقترب من حيث

النطق من التركيبة الانجليزية Freemason وقد اخذها الإيرانيون

للمعنى ذاته : Avery(Peter): Modern Iran, pp.114

ولم تعرف الماسونية الفرنسية والانجليزية هذا الشكل من التنظيمات بشكل واضح .

وكان يظن في البداية أنه فرع للتنظيم الماسوني الفرنسي في طهران ، وكان هذا المحفل يجتمع سرا في منزل شاهزاده جلال الدين ميرزا بن فتحعليشاه يحيى " مسجد حوض " أحد أحياء طهران الجنوبية ، وكان ملكم خان قد حصل على إذن من الشاه لتأسيس هذا المحفل وأيده في ذلك عدد من المسئولين الإيرانيين وبعض كبار علماء الدين ومنهم حاجي ميرزا هادي نجم آبادي ورهط من رجال الوزارات والأمراء وخريجي دار الفنون والطلاب الذين زاروا أوروبا . ( ١ )

كونت هذه المجموعة التي مثلت الأقلية المستتيرة مدرسة من الأحرار المناهدين بالحرية وكان شعار هذا المحفل هو " إصلاح البشرية عامة وشعب ايران خاصة " ، وكان ملكم خان يديره باسم " مجتمع الإنسانية " ( ٢ ) وتآلف أعضاؤه مع الرج الأوربية عن طريق الرمائيل التي كان ميرزا ملكم خان يكتبها في إنتقاد الأوضاع في ايران وقد أجمع أعضاء المحفل على حتية إقرار النظام الدستوري في ايران .

كان من المستحيل في هذا العهد الإستبدادي أن يستمر مثل هذا التنظيم المناهض للحكم قائما فاتهم ميرزا ملكم خان بالدعوة للجمهورية وتم إلقاء القبض على مجموعة من رفاقه وهربت مجموعة أخرى الى الأماكن المقدسة ، وفي ربيع الثاني ٢٧٨ هـ ق . نشر إعلان فسي صحيفة " روزنامه " دولتي " بمنع لفظ " فراموشخانه " وهذا إنتهى التنظيم المذكور في ايران . ( ٣ ) ومع قرب نهاية عهد ناصر الدين شاه بدأت الجمعيات السرية في الإنتشار فسي الأقاليم الإيرانية المختلفة ، وكانت أهداف هذه الجمعيات محددة بشكل رئيسي في مناقشة

(١) آرمن پور ( يحيى ) : از صبا تا نجا ، المجلد الاول ص ٣١٥

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٥

(٣) المصدر السابق ، ص ٣١٥

تطلع الشعب الى الحرية والخلص من الطغيان ، ومناقشة مزايا العدل والحرية والتعليم ، وآمن أعضاؤها بضرورة التحديث .

ولم يكن هناك ارتباط بين هذه الجمعيات فكانت كل جمعية تجتمع سرا حسب مقتضيات ذلك العهد وكان أعضاء الجمعيات يتبادلون الصحف الصادرة خارج ايران والتي كانوا يحصلون عليها بصعوبة وفي الخفاء ، ولم يكن أعضاؤها يجرون على إظهار أنفسهم حسبي لايتهموا بالإلحاد أو بالدعوة للجمهورية أو بالبابية التي إستخدمها الإستبداديون حريسة ضد الوطنيين ، فكانوا يكتبون بالكتابة في صحيفة " جبل العتير " (١) التي كانت تصدر في كلكتا بالهند ، ونلاحظ أن عضوية هذه الجمعيات الوطنية كانت تغلب عليها الطبقة المتوسطة من علماء الدين وقد شجعت هذه الجمعيات أعضاؤها على إنشاء المدارس وقام بعضهم فعلا بذلك (٢) . وزاد تأسيس هذه الجمعيات الوطنية بعد اغتيال ناصر الدين شاه عام ١٩٦٦م وارتبطت بالتحرك العام ، وكانت الحرية النسبية التي ميزت عهد مظفر الدين شاه فرصة للوطنيين لزيادة النشاط الوطني . (٣)

.. ..

---

(١) ملكزاده (مهدي) : انقلاب مشروطيت ايران ، المجلد الاول ص ٢٥٢

(٢) Encyclopaedia of Islam, 1965, Vol. II p. 433 (2)

(٣) زهرا شجيمي - نمايندگان مجلس ص ٥٢ نقلا عن طلال مجذوب : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ص ١١٥ .

## الجمعيات الوطنية في طهران :

( ١ ) انجمن أخوت ( جمعية الأخوة ) :

هي أول جمعية سرية تشكل في عهد مظفر الدين شاه ( ١٨٩٦ / ١٠٢٧ لم ) ومؤسسها هو ميرزا حسن صفى على شاه عام ٨٩٩ لم ، وكانت تعد من أولى الجمعيات السياسية على الرغم من طبيعتها الصوفية . ( ١ )

( ٢ ) انجمن معارف ( جمعية المعارف ) :

تأسست عام ١٣١٥ هـ ق / ٨٩٨ م وكانت قاصرة على وجه التحديد على الجانب التعليمي الوطني .

( ٣ ) حوزة ترقى إسلامي ( جمعية الرقي الإسلامي ) :

أسسها ميرزا سيد محمد طباطبائي في طهران عام ١٣١٩ هـ ق / ١٠٢٠ م ، وكان أعضاؤها يجتمعون في مدرسة " صدر " الدينية ، ساء كل جمعة ، وكان هدفها زيادة الوعي الديني الصحيح ومناقشة مدى مطابقة الأوضاع السائدة لأحكام الدين . ( ٢ )

( ٤ ) انجمن آزاد مردان ( جمعية الاحرار ) :

أسسها أربعون من علماء الدين والوطنيين المصلحين عام ١٣٢٠ هـ ق / ١٠٢٣ م وكانت تهدف الى تقوية ونشر الشعور القومي . ( ٣ )

وفي عام ١٠٢٣ م أصبح السخط على الحكومة أشد وضوحا واحتاج أعضاء الجمعيات السرية الى مزيد من الحرية ، وفي عام ١٠٢٤ م أجرى اتصال سرى بين الجمعيات المختلفة التي كانت تعمل حتى ذلك الوقت بصورة منفردة ، فاتفقت على العمل على إقامة دستور للقوانين وإجراء

---

( ١ ) مجذوب ( طلال ) : ايران منذ الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية . ص ١١٥

( ٢ ) المرجع السابق - نفس الصفحة .

( ٣ ) المرجع السابق - نفس الصفحة .

العدالة ومحو الطغيان ووضعت ميثاق عمل للإتحاد يتكون من ثمانى عشرة مادة وشكلت لجنة ثورية من تسعة أفراد . وكان الهدف الرئيسى لهذا الإتحاد هو نشر الفكر الحديث وإجراء اتصال دائم مع مختلف فئات الشعب الإيرانى داخل إيران وخارجها ومحو الشقاق بين المعترضين على أهداف الإتحاد .

( ١ )  
( ٥ ) انجمن مخفى : الجمعية السرية

تكونت فى عام ١٠٥٥ م من أربعة وخمسين عضوا فى بدايتها ، كانوا يجتمعون بمنزل أحد أعضاء الجمعية ( سليمان خان ميكده ) بتهران بحجة التداول بشأن فتح مكتبة عامة ومد أن أقروا برنامج عمل الجمعية أقسموا بالقرآن الكريم والعلم الإيرانى على حفظ أسرار الجمعية والإخلاص لأهدافها ، وعندما خشى الأعضاء من أن تثير إجتماعاتهم إنتباه الحكومة وعيونها قرروا قصر الإجتماعات على لجنة دائمة من تسعة أعضاء أسموها " كميته " انقلاب " ( لجنة الثورة ) . ( ٢ )

شكل العنصر الدينى غالبية أعضاء هذه الجمعية وكان هدفها مكافحة الفساد والتدخل الأجنبى فى شئون إيران ، ومن الواضح من برنامجها كما يقول ناظم الاسلام كرماني ( ٣ ) أن أعضاءها كانوا مقتنعين بأن الإستبداد والطغيان من الحكومة من ناحية وإحتمال تدخل بريطانيا وروسيا عسكريا من ناحية أخرى يمثلان تهديدا للإسلام وآمنوا بأن كل أوجه القصور فى الدولة يمكن إصلاحها بنشر التعليم .

وبذل أعضاء هذه الجمعية جهودهم فى توعية الناس ونشر المقالات فى الخارج وتوزيع المنشورات الثورية فى الداخل وتعميد مساوى النظام الحاكم ، وكانت منشورات الثوار من

---

( ١ ) أطلق عليها هذا الإسم بسبب عدم وضع إسم لها من قبل مؤسسها إمعانا فى التكنم .  
( ٢ ) مجذوب ( طلال ) : إيران منذ الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ، ص ١١٦ .  
( ٣ ) كرماني ( ناظم الاسلام ) : تاريخ بيدارى ايرانيان ، المجلد الثانى ، ص ٥٥ .

مختلف الإتجاهات قد بدأت توزع سرا منذ عام ١٩٥١ وبلغ من إنتشارها أنها صارت توزع في قصر الشاه نفسه . (١)

(٦) انجمن مخفي ثانوي : (الجمعية السرية الثانية )

في عام ١٩٥٦ لم بعد أن أصبح الصدام بين الشاه والإصلاحيين معلنا إنشقت مجموعة من " انجمن مخفي " وأسست جمعية أخرى هي " انجمن مخفي ثانوي " وواصلت الجمعية الأم أنشطتها حتى يونيو عام ١٩٥٦م حيث زالت بعد إلقاء القبض على كثير من أعضائها .  
تولى ناظم الإسلام كرماني رئاسة الجمعية الفرعية " انجمن مخفي ثانوي " وكانت شديدة السرية ولما كان تأسيسها قد تم بعد تأسيس الجمعية الأم فقد إصطلح المؤرخون على تسميتها بالجمعية السرية الثانية (٢) ، وزيادة في الحيلة كلما كان عدد الأعضاء يصل الى ثلاثين كانوا ينصلون ليشكلوا حلقة خاصة ويربطهم بالحلقات الأخرى شخص يدعى " مرشد " (٣) وهذا كان كل عضو لا يعرف إلا أعضاء حلقة نقطه .

قامت هذه الجمعية بدور في تكتيل التجار ورجال الفكر والعلماء حولها وكانت تعقد إجتماعاتها يومين في الأسبوع وذلك بعد منتصف الليل وحتى طلوع الفجر . (٤)

(٧) جامع آدميت : (الرابطة الانسانية ) :

أسس هذه الرابطة ميرزا عباس قليخان آدميت عام ١٩٥٦م وقد تألفت من أربع مجموعات وكان يديرها اثنا عشر شخصا يسمون " أمنای آدميت " وتفرعت عنها فروع بالولايات الإيرانية المختلفة وكان أعضاؤها يسمون " برادران " وكانت جميع منشوراتها يتصدرها رقم ١٣١ ومعنى " سلام " (٥)

- (١) أميدایران العدد ٦٧٦ اغسطس ١٩٦٢ ، ص ٣٦ نقلا عن مجذوب ( طلال ) : ايران منذ الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ص ١١٦ .
- (٢) المرجع السابق ، ص ١١٦ .
- (٣) كرماني ( ناصم الاسلام ) : تاريخ بيداري ايرانيان ، المجلد الاول ، ص ٦٦ .
- (٤) مجذوب ( طلال ) : ايران منذ الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ، ص ١١٦ .
- (٥) المصدر السابق ، ص ١١٦ .

## الجمعيات الوطنية في أذربيجان :

امتد التيار القومي في أذربيجان بصورة تفوق سائر الولايات الإيرانية وكان ذلك لعدة أسباب :

(١) تردد التجار الأذربيجانيين على الدول المتقدمة ، (٢) القرب الجغرافي من روسيا والإطلاع على الأحداث الثورية التي كانت تقع في هذه الدولة في السنوات الأولى من القرن العشرين . (٣) تصرفات محمد علي ميرزا ولي العهد المستبد الذي كان حاكما على أذربيجان في ذلك الوقت والمظالم التي إرتكبها في حق الشعب .

وعلى الرغم من الاستبداد المطلق الذي كان سائدا في تبريز في ذلك العهد فقد أسس بعض أنصار الفلسفة الحديثة جمعية سرية كانت هي النواة الحقيقية للثورة في أذربيجان وكان لكل من أعضائها دور بارز في الحركة الدستورية . (١)

وأسس هؤلاء الأحرار جريدة لنشر أفكارهم التقدمية تحت إدارة "سيد حسين خان عدالت" ومكتبه تحت إدارة ميرزا محمد علي خان تربيت وقد ساعدت هاتان المؤسستان في توير الرأي في أذربيجان (٢) . وتأسست في أذربيجان جمعية أخرى هي جمعية "سوساليست دموكرات" (الإشتراكيون الديموقراطيون) في تبريز من صفار التجار وأصحاب الحرف ، وكانت تبدي العداء للإقطاعيين الكبار ولها ميل برجوازية ، وكانت على صلة قوية بالجمعيات المطالبة في القوقاز وقد شارك أعضاؤها في حركة إعادة الدستور وإشتركت

---

(١) من قادة هذه الجمعية السرية : سيد حسن تقى زاده - ميرزا سيد حسين خان عدالت ، ميرزا محمد علي خان تربيت - أبو الضياء - حاجي ميرزا آقافرشي - شريف زاده - حكاك باشي - مشهدي علي أصغر اردوبادي .  
ملكزاده ( مهدي ) : انقلاب مشروطيت ايران ، المجلد الاول ، ص ٢٥٣ .  
(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

تشكيلاتها العسكرية في الثورة الوطنية المسلحة<sup>(١)</sup> وكان أعضاؤها يتازن بالطاعة  
لأمر قيادتهم . (٢)

### الجمعيات الوطنية في اصفهان :

سيطرت القيادات والعناصر الدينية في اصفهان على الجمعيات السرية ، وفي نفس  
الوقت وجد العنصر الرجعي الديني في اصفهان وكان يمارس ضغطا على الوطنيين التقدميين  
مما دفع الجمعيات السرية التي تكونت في أواخر عهد ناصر الدين شاه الى تشديد السرية  
وقد تكونت في عهد مظفر الدين شاه وبالتحديد في ٦ ذي القعدة ١٣٢٤ هـ ق ١٠٧٠ لم  
" انجمن ملی اصفهان " وكانت لها وظائف استشارية وتنفيذية وأدارها العلماء والتجار  
وقادة الوطنيين بالمدينة ، وبذل أعضاؤها جهودا طيبة لتتویر أفكار الشعب وإطلاعه على  
سأوى جهاز الحكم القائم (٣) .

### الجمعيات الوطنية في اسلامبول :

كان توقف السيد جمال الدين الأفغانى في ايران سببا في ايمان بعض التجار الايرانيين  
بالأفكار الحديثة والإهتمام بتغيير الأوضاع السياسية في بلادهم ، وكانوا لا يتحدثون علنا  
ولا يعلنون عن وجودهم حتى ما قبل ظهور الدستور العثماني عام ١٢٦٨ لم ، أما بعد نجاح  
الحركة الدستورية فقد أعلنوا انضمامهم للمنادين بالحرية والدستورية في ايران . (٤)

### الجمعيات الوطنية في كرمان :

تكونت في أواخر عهد ناصر الدين شاه جمعية سرية من الأحرار في كرمان إشتراك فيها

- (١) سميت هذه التشكيلات باسم ( مجاهدين ) او ( قداثيان ) : طلال مجذوب : ايران  
منذ الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية . ص ١١٧ .
- (٢) ملكزاده ( مهدي ) : انقلاب مشروطيت ايران ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .
- (٣) المرجع السابق : ص ٢٥٠ .
- (٤) المرجع السابق : ص ٢٥٨ .



ميرزا آقاخان كرماني ، والشيخ مهدي بحر العلوم ، والشيخ أحمد روجي ، وحاجي ميرزا أحمد كرماني ، وميرزا رضاي كرماني ، وحاجي سيدجواد وأفضل الملك حيث قاموا بنشر الأفكار التقدمية الحديثة مما عرضهم لإضطهاد السلطات وقد راح ميرزا آقاخان كرماني والشيخ أحمد روجي ضحية في سبيل أهدافهما . ( ١ )

### الجمعيات الوطنية في النجف :

شارك الطلاب الشبان المستثيرون الذين كانوا يدرسون العلوم الدينية في النجف في تقدم الحركة الدستورية ، وقد شكل عدد منهم ( ٢ ) جمعية لمناقشة الفكر الحديث ، وقد أيد قادة علماء الدين في النجف أمثال آخوند ملا كاظم خراساني ، وحاجي ميرزا حسين بن حاجي ميرزا خليل وآقاى شيخ عبدالله مازندراني الحركة الدستورية وكلفوا الشعب عن طريق الفتاوى الشرعية بمناصرة المبادئ الدستورية ، وكان تأييد هؤلاء القادة الروحانيين من أهم العوامل التي ساعدت على تقدم الفكر الدستوري في إيران .

وقد نجحت الجمعيات الوطنية السرية في إعطاء صورة عامة للرأى العام المؤيد للدستور حتى فكر بعض خصومها في محاربتها بالتسلل إليها أو بتكوين جمعيات خاصة على أمل إحباط إصدار الدستور ، وكان هؤلاء هم الرجعيين الذين عملوا سرا ضد الحركة الدستورية تحت غطاء الاتحادات القومية .

.. ..

( ١ ) ملكزاده ( مهدي ) : انقلاب مشروطيت ايران ، ج ١ ، ص ٢٥٠  
( ٢ ) من هؤلاء الطلاب : الشيخ أسدالله سقاني - نورى ايروانى - الشيخ سليم لنكرانى - ميرزا حسن ايروانى - ميرزا احمد قزوئى - ميرزا على هيئت . وقاد هذه المجموعة الطلابية السيد أسدالله خرقانى . ( مهدي ملكزاده : انقلاب مشروطيت ايران ج ١ ، ص ٢٥٤ ) .

# الفصل الثاني

## الصحافة والطباعة



## الطباعة :

تمت في أواسط القرن السابع عشر محاولة لإدخال الطباعة على يد الأرمن في جلفا  
أصفهان إلا أنها تعطلت بعد قليل . ( ١ )

دخلت الطباعة إيران عام ١٢٣٢ هـ ق / ١٦ / ٨١ لم في عهد فتحعليشاه قاجار بجهد  
عباس ميرزا نائب السلطنة الذي كان أميراً متوجهاً وحاكماً على آذربيجان ، وأنشئت في نفس  
تلك الفترة مطبعة أخرى في تهرآن تحت إشراف "ميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة" طبعت  
بها بعض الكتب منها : المصحف الشريف ، جلال العيون ، حياة القلوب ، ورسالات نسي  
النفقة وعرف كل من هذه الكتب بطبعة معتمد الدولة . ( ٢ )

وفي عام ١٢٤٠ هـ ق / ١٢٤ / ٨٢٤ لم أوفد نائب السلطنة ميرزا جعفر التبريزي إلى موسكو  
لتعلم فن الطباعة على الحجر ( lithography ) وإحضار المعدات اللازمة التي  
تبريز ، يقول مشهدي أسد آقا المعروف بـ "بصه جي" أن ميرزا صالح الشيرازي محافظ  
تهران كان قد أوفد ميرزا أسد الله - من منطقة فارس - إلى سان بطرسبورج لتعلم فن  
الطباعة وأنه في عودته أسس مطبعة بالحجر في تبريز بمساعدة آقارضا أبي مشهدي أسد آقا  
وكان أول كتاب يطبع بهذه المطبعة هو القرآن الكريم بخط ميرزا حسين الخطاط ، ونقلت هذه  
المطبعة بطباعتها بعد خمس سنوات إلى تهرآن بناً على أمر الشاه . ( ٣ )

وبعد تبريز وتهران دخلت الطباعة إلى سائر المدن الإيرانية بترتيب زمني : شيراز ،  
أصفهان ، مشهد ، انزلي ، رشت ، أردبيل ، همدان ، خوي ، قزوین ، کرمانشاه ،  
کرمان ، جابروس ، کاشان . ( ٤ )

( ١ ) بهار ( محمد تقی ) : سبک شناسی ، المجلد الثالث ص ٣٤٣ و

Rypka (Jan): A history of Iranian literature, pp.337  
(2) Browne (E.G.): The press and poetry of modern Iran, pp.7

(٣) المصدر السابق ص ٨

(٤) المصدر السابق ص ٨

رغم الأسبقية الزمنية لدخول الطباعة بالحروف الى ايران إلا أنها توقفت لمدة خمسين عاماً راجت خلالها الطباعة على الحجر، وطبعت في هذه الفترة وعلى الحجر كتب عربية وفارسية عديدة وكان لدار الترجمة الحكومية دور هام في طباعة الكتب القديمة والحديثة ونشرها (١) ، وبالإضافة الى الكتب كانت الصحف أيضاً تطبع على الحجر في تلك الفترة .

وقد أعيد استخدام الطباعة بالحروف مرة أخرى عام ١٢٩٠ هـ / ق ١٨٧٤ لم في تهران وعام ١٣١٦ هـ / ق ١٨٩٩ لم في تبريز . (٢)

كانت الطباعة وسيلة مفيدة وحديثة إتجه فن زخرفة الكلمة إثر ورودها الى النقصان ، وبدأت مرحلة تبسيط الاتصال المكتوب فأصبح أكثر مباشرة وسهولة ، فقد كان ذلك العهد هو عهد المطبوعات الموزعة على نطاق واسع وإعادة إنتاج كتب التراث وترجمة الأعمال الأوربية وإحتياج الإصلاحيون في ذلك العهد الى سرعة توصيل منشوراتهم الثورية وأعمالهم القومية مما كان له دور هام في إيقاظ عقول المفكرين الناشئين وإعداد العدة للشورة المقبلة . (٣)

وجدير بالذكر أن الطباعة بالحروف العربية ونشر الكتب العربية والفارسية كان يتم في أوربا قبل رواج الطباعة في الشرق ، فكان الصحف وكتب التفسير والكتب العلمية الإسلامية تطبع في أوربا لمدة طويلة ، وغالباً أعيد طبعها في الشرق بعد رواج الطباعة به عن نفس الطباعات الأوربية . أو عن طبعة الهند ( بالنسبة للكتب الفارسية ) . (٤)

(١) بهار ( محمد تقى ) : سبك شناسى ، المجلد الثالث ، ص ٣٤٣

(٢) Rypka (Jan): A history of Iranian literature pp. 337

(٣) Kamshad: Modern Persian Prose literature, pp. 11

(٤) مجلة " كاوه " ، العدد الخامس ، السنة الثانية من الدورة الجديدة بتاريخ ٢٨ آذرماه ١٣٩٠ ، يزديگردي - نقل عن " لغت نامه " : على أكبر دهخدا تحت حرف ( چاب ) .

## الصحافة :

ظهرت الصحافة في إيران كنتيجة طبيعية لدخول الطباعة ، وكانت عاملا هاما في نهضة إيران الحديثة وموترا فعالا في تنوير أفكار الجماهير .

ظهرت الصحيفة في إيران لأول مرة عام ٢٥٣ هـ ق ٨٣٧ / ٠ لم يكن يقال للجريدة " كاغد اخبار " ، وكانت عبارة عن نشرة شهرية قصيرة حملت شعار الدولة على صفحاتها الأولى ولكن بدون عنوان وكان يحررها ميرزا صالح الشيرازي . ( ١ )

أما الصحيفة بشكلها المعروف حاليا فقد ظهرت في إيران لأول مرة عام ٢٦٢ هـ ق ٧٠ / ٠ ٨٥١ لم بتوجيه وإشراف ميرزا تقى خان أمير كبير الصدر الأعظم الذي شارك بنفسه في تقديم مواد سياسية على صفحاتها وسُميت هذه الصحيفة في البداية " روزنامه " وقابح اتفاقه . ثم تغير اسمها عام ٢٧٢ هـ ق ٨٦٠ / ٠ ام الى " روزنامه دولت عليه ايران " ( ٢ ) ثم تغير اسمها مرة أخرى وأصبح " روزنامه ايران " ثم " روزنامه ايران سلطاني " وكانت تصدر في طهران شهريا وتطبع على الحجر ( ٣ ) وتلت هذه الصحيفة صحف رسمية وشبه رسمية عديدة تخصية وإقليمية .

كانت كل الصحف التي تصدر داخل إيران في عهد ناصر الدين شاه ( ١٨٤٨ - ١٨٩٦ م ) حكومية حتى ما سعى منها ظاهريا باسم قوبى ، ولانعرف أي صحيفة غير حكومية في ذلك العهد داخل إيران ( ٤ ) ، ومن ثم كانت تضم مدايح للأمرء والحكام وتورد اخبار الشاه ورحلاته

( ١ ) Kamshad (H) : Modern Persian Prose literature pp. 12

( ٢ ) Rypka (Jan) : A history of Iranian literature, pp. 337

( ٣ ) مجذوب ( طلال ) : إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ، ص ٢٠

( ٤ ) كسروي ( احمد ) : تاريخ مشروطة إيران ، الجزء الأول ، ص ١٨

ومقابلته وتصرفاته الشخصية وتؤكد على أن كل فرد يعيش في سرور وراحة، نشرت صحيفة  
"ايران" تحت عنوان "اخبار داخله" أن كل شئون الدولة تسير على مايرام وفي غاية  
النظام وتقول ضمن أخبار الولايات :

"الرعية في كاشان والحمد لله تعيش في رفاهية وراحة بفضل إهتمام حاكمها ومشغولة  
بالدعاء ببقاء عمر الملك ودولته، القمح والشعير متوفران وكل البضائع رخيصة أيضا،  
وكذلك اصفهان وكرمان وشيراز وقس على هذا البواقي". (١)

كانت صحيفة "خلاصة الحوادث" أول صحيفة حقيقية يومية وصدرت لأول مرة عام  
١٩١٨ م / ٦ / ٣١ هـ ق. ولم تبدأ الصحف المنتظمة في آداء مهمتها القومية إلا بين أعوام  
١٩٠٦ - ١١١ م أي في سنوات الثورة حيث أصبحت شارحة للسياسة القومية الحديثة  
ومثلت الأدب الثوري الحقيقي المعاصر، فقد إهترت في تلك الفترة الأسس التصفية للرقابة  
على الصحف فبدأت الصحف القومية في الإتجاه نحو خدمة الإيديولوجيا الحديثة. (٢)

صدرت الصحف التي شاركت في النضال الثوري في عهد ناصر الدين شاه وخليفته  
مظفر الدين شاه خارج ايران، وقد أظهرت هذه الصحف تعاطفا مع الحركة الوطنية وتقاربا  
مع مشاكل الإصلاح وشاركت في توعية الشعب الإيراني وتويره، وقد منعت الحكومة الإيرانية  
هذه الصحف من الدخول الى ايران لما كانت تحتويه من نقد للأوضاع السياسية وهجوم على  
أسس الحكم والحكام، ومع ذلك كانت هذه الصحف تجد طريقها الى أيدي القراء داخل  
ايران بطريق غير شرعي بإخفائها في الكتب أو ضمن الشحنات التجارية، وكانت هذه الصحف  
هي التي تنشر المبادئ الدستورية والأفكار الثورية التي طفت على فكر الطبقات المتوسطة

(١) نقل عن "سياحته" ابراهيم بك "لحاجي زين العابدين العراقي، المجلد الاول ص ١٠٩

(٢) Rypka (Jan): A history of Iranian literature pp. 337 (٢)

والفئات الدينية التقدمية. (١)

وكان علماء الدين المستيرون يحضون الناس على قراءة الصحف القومية ويوضحون لهم أهميتها ودورها الفعال في تنوير أفكار الإيرانيين ، وقد ورد في صحيفة " جبل المتين " ضمن أحد المقالات تحت عنوان " وقایع نگار جبل المتین مینوسد " ان حاجي شيخ عبدالحسين اشرف الواعظين الطهراني القيم برشت قال في إحدى خطبه بالمسجد :

( لا تیددوا وقتکم وحين تفرغون من أعمالکم إقرأوا صحف الإسلام خاصة صحیفه " جبل المتین " وسائر الصحف الإسلامية فهي نافعة للدين والدنيا معا ، رحل مديروها عن الوطن ، وكل منهم عالم من العلم والفضل والكمال وقد إختاروا الغربية وطنا ليرفعوا اسم الدولة والأمة في الخارج ويقوم كل منهم بإصدار صحيفة شهيرة ويرسلها الى أطراف العالم وأكتافه ، ذلك أن الوطن وحب الأمة والوطنية في طباعهم). (٢)

وسأناول فيما يلي خمس من هذه الصحف كان لها ثقل سياسي وأثر فعال في الفكر

القومي الدستوري :

(١) اختر :

كانت صحيفة اختر أولى الصحف الفارسية التي صدرت خارج ايران ، وقد صدر العدد الأول منها عام ١٢٩٢ هـ ق ٨٧٥ / ٠ م (٣) بعد أن إفتتحها مؤسسها ومحررها " آقا محمد طاهر تبريزي " في اسطنبول في نفس العام ، وظلت تصدر لمدة عشرين عاما وتوقفت عن

(1) Rypka (Jan): A history of Iranian literature, pp. 337 (1)

(٢) صحيفة " جبل المتين " : العدد الثامن والثلاثون ٦ ربيع الثاني ١٣١٨ هـ  
١٣ أغسطس ١٩٠٠ م

(3) Browne (E.G.): The press and poetry of Modern Iran, (٣)  
pp. 60

الصدور عام ١٣١٣ هـ ق ٨١٦/٠ م . بأمر من الحكومة العثمانية . هـ حققت اختر شهيرة واسعة في القوقاز (١) وفارس وتركستان والهند والعراق المعجم . وكانت نقطة التقاء المنفيين من الوطنيين الإيرانيين وظلت على تماسكها بفضل التعاون الأدبي من جانب العلماء الوطنيين . وكان من بين محرريها ميرزا آقا خان كرمانى " و " والشيخ احمد روحى " اللذان أعدتهما الحلقات الإيرانية لمعارضتهما للنظام الحاكم . وكان من بين محرريها أيضا " ميرزا مهدي تبريزى " (٢) و " ميرزا على محمد خان كاشانى " (٣) .

وكانت اختر تنشر مقالات سياسية مؤثرة وقوية وخاصة في المواقف الحرجة مثلما حدث إبان حركة امتياز الطباق عام ١٢٨٢ م . (٤)

## (٢) قانون :

أسس هذه الصحيفة وقام بتحريرها ميرزا ملكم خان ناظم الدولة السفير الإيراني الأسبق في لندن . و صدر أول أعدادها عام ١٣٠٧ هـ ق ٨١٠/٠ م في لندن . وكانت تتميز بأسلوبها البسيط الواضح الفنى بالأفكار الحديثة ووعيتها الدقيق بالمشكلات التي تتناولها وقد زادها ثقلا التعاون الأدبي المتقطع من السيد جمال الدين الأفغانى . (٥)

لم تكن صحيفة قانون صحيفة لنشر الوقائع السياسية في العالم بل كانت صحيفة تبلغ أفكار ملكم خان (٦) وكان هدفها الأصلي مناصرة الأسس والمبادئ الليبرالية وتعريف الشعب

---

(١) كان العامة في بعض نواحي القوقاز يعتبرون قراءه اختر كفرا وكانوا يطلقون على الخاصة المتحمسين لقراءتها اسم " اخترى مذهب " . ( يحيى آرين پور : از صبا تانيا ، ج ١ ص ٢٥٠ )

(٢) هو محرر صحيفة " حكمت " التي كانت تصدر في القاهرة .

(٣) هو محرر صحيفتى " ثريا " و " پرورش " في القاهرة .

(٤) آرين پور ( يحيى ) : از صبا تانيا ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .

(٥) Rypka (Jan): A history of Iranian literature, pp. 336 (5)

(٦) نورائى ( فرشته ) : تحقيق در افكار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة ، ص ١٨٥ ، تهران ١٣٥٢ .



الإيراني بالحقوق الاجتماعية ومزايا الحرية ونظم حضارات الغرب والفلسفات التي إتبعها الغرب مبرهنة على أن التقدم نتيجة طبيعية لسيادة القانون والمساواة الاجتماعية (١) ، ونشر ميرزا ملكم خان على صفحات " قانون " كل ما كان قد قام ببحثه وتدوينه في رسالاته وكتبه في محاولة منه لتبليغ أفكاره الى أكبر عدد ممكن من أفراد وطبقات المجتمع الإيراني (٢) . لم تكن " قانون " إسلامية تماما " في نغمتها كما يقول " ادوارد براون (٣) ، فليس معنى أن تبدأ بدعاء موجز باللغة العربية وأن تنتهي بدعاء أن يغفر الله لكل رأى يخالف أحكام الإسلام أو يناقضها هو أنها إسلامية المنحى ، بل كانت هذه الصحيفة ليبرالية في المقام الأول وقد إختار ميرزا ملكم خان لها اسم " قانون " في مقابل " شريعة " وهي الأحكام الإسلامية ، فكانت دعوتها لإقامة وسيادة القانون دعوة لتبني القانون الوضعي الأوربي لا الشريعة الإلهية الإسلامية ، فمن المعروف أن ميرزا ملكم خان كان داعية سياميا ليبراليا شديد التأثير بالغرب وحضارته ، وكانت صحيفته مظلة الجناح التقدمي الليبرالي في ذلك العهد . كانت مقالات " قانون " غير موقعة وكان معظمها تقريبا بقلم ملكم خان إلا أنه كان أحيانا يورد موضوعات على لسان أشخاص آخرين كتناج على آراء الطبقات المختلفة ويرى " فرشته نورائي " أن من أرقى جوانب هذه الصحيفة إهتمامها بموضوع الحقوق الاجتماعية للمرأة . (٤)

كانت " قانون " توجه في مقالاتها إنتقادات عنيفة للعديد من مساوي المجتمع الإيراني في ذلك العهد ، وكانت تركز في نقدها على تصرفات الشاه وأمين السلطان

(١) ملكزاده ( مهدي ) : انقلاب مشروطيت ايران ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٢) نورائي ( فرشته ) : تحقيق در افكار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة ، ص ٢٠٥ .

(٣) Browne (E.G.): The Persian revolution, pp.36 (3)

(٤) نورائي ( فرشته ) : تحقيق در افكار ميرزا ملكم خان ، ص ١٨٧ .

الصدر الأعظم الذى تسبب فى تدهور الأوضاع فى ايران ، يقول ملكم خان فى العدد الأول من " قانون " :

" سيقفز الصدر الأعظم من مقعده نصف ياردة حين يرى " قانون " ، وسيلقى بقلنسوته على الأرض ويمزق ياقته بعد عدة تشنجات تعبر عن الغضب سيهرول الى الأجنب ويقبل أقدامهم ليرهن لديهم ما تبقى من حقوق الدولة ، وربما توضع " قانون " بعون منهم ضمن قائمة الصحف المحظورة ، ياليت ، فالصحيفة التى لاتحرم فى ايران لاتعنى أى شىء " . ( ١ )

وقد صورت " قانون " الأوضاع العامة فى زمنها تصويرا ماهرا ، فيقول ميرزا ملكم خان :  
" إن ايران بيتا ، وهذا البيت قد غرق فى المذلة ، أى بلية أو فضيحة وأى نوع من أنواع الفقر فى تاريخ الدنيا لم يسيطر على أرض ايران ؟ وأى قلم يمكنه أن يبين مصدر ذرة من فوضى إدارتنا ؟ " . ( ٢ )

" فى فترة الأربعين عاما التى مرت من حكم ناصر الدين شاه لم يوجه أى اهتمام الى إصلاح شئون ايران ، وهذا الفراغ الطويل أصبحت الولايات الإيرانية اليوم أشد خرابا وشعبنا أكثر شللا وجيشنا أشد فوضى وإستقلال امتنا أقل ومتاعب العامة أكثر وأصبح خطر الإنهدام وشيكا " . ( ٣ )

" يجب تغيير هذه الأوضاع ، إننا نريد الأمن على الأموال والأرواح ، نريد أن نهى الأسباب التى تؤدى الى وضع زمام أمور الدولة فى يد أفاضل الامة ، نريد لضرائبنا أن

(١) نقلا عن : Browne (E.G.): The Persian revolution, pp.36

(٢) صحيفة " قانون " : العدد ٢ ، شعبان ١٣٠٢

(٣) صحيفة " قانون " : العدد ٤ ، شوال ١٣٠٢

توجه تماما الى حفظ حقوق الأمة وأسباب العمران ، ونريد أن نقيم بايران مجلس ثورى للأمة  
يشارك فيه أعظم العلماء ومشاهير العقلاء فى الأمة حتى يراقبوا بشكل مستقل حقوق  
الدولة والشعب فى الحدود المقررة \* (١)

وبنه ميرزا ملكم خان ناصر الدين شاه الى العواقب الوخيمة لفوضى حكم أميين  
السلطان فيقول :

\* ولتعلم علم اليقين أن صبر ايران قد نفذ ، ومن المحال لثورة الغضب التى نشبت  
هذه الأيام بين الصالحين وفى قلوب عامة الشعب أن تمكث على عار هذه الأوضاع أكثر من  
هذا ، ولا يمكن لروح الحمية الإيرانية مهما تعرضت للضربات أن تتحمل أكثر من ذلك  
أن يسرق السافل ابن الغلام .. عقل الشاه وطيب طويته .. وأن يتصور أن كل شعب  
هذه الدولة كبش فداء له \* (٢)

\* لقد أصبحت كل حقوق الأمة العمومية وأداة لأغراض هذا الشاب ، وقد شاع الصخب بين  
الناس حتى أنهم يطالبون بكل أنواع الثورات \* (٣)

وننتقد ضياع الحقوق الإجتماعية والإنسانية للشعب الإيراني ويندد بالإستبداد وكبسة  
الحرىات فى ايران ، ويرجع كل تلك المساوىء الى إنعدام القانون وحصر كل أمور الدولة فى  
يد أفراد قلائل :

\* إن حيوانات أزرقة أوربا تعلم أنه ليس هناك من له القدرة على التمرد على حقوقها  
ونحن الذين نفخر بشرف جنسنا غير آمنين قدر ذرة على أدنى حقوق الحياة ، والآن ونحن

---

(١) صحيفة " قانون " : العدد ٢٢ ، بدون تاريخ ، نقل عن : تحقيق در افكار

ميرزا ملكم خان ناظم الدولة ، فرشته نورائى ، ص ١٨٨ ، ١٩٠ .

(٢) صحيفة قانون : العدد ٢ ، شعبان ١٣٠٧ ، نقل عن " تحقيق در افكار ميرزا ملكم

ناظم الدولة : فرشته نورائى ، ص ١٩٠ .

(٣) صحيفة قانون : العدد ١٤ ، بدون تاريخ ، نقل عن فرشته نورائى ، ص ١٩٠ .

في مكاننا هنا إذا تعرضت بيوتنا وممتلكاتنا وأعراضنا وديننا وكل كياننا لكل ألوان الفظاعة بمجرد إشارة من شاب مجهول فأى ديوان وأى قانون سيهب لنجدتنا ؟ . . . . . بأى دين وحسب أى عرف يجوز أن تقطع الألسنة والأذن وتجذع الأنوف في دولة إسلامية دون أن يجروه أحد على أن يحال لماذا ؟ وأى ذنب ؟ وأى قانون ؟ هذا وفي مقابل كل أعاجيب التقدم في العالم ، . . . . . أى خادم ملكى يجب أن نسعى الى أعبائه لنحصل على إذن بالحياة ؟ . . . . . أى طالع سوء ولدنا فيه نحن شعب ايران حتى يفرض علينا أن نكون خارجين الى هذه الدرجة عن دائرة الإنسانية ونظل محرومين من حقوق الحيوانات في سائر الأمم ؟ . ( ١ )

" إن أصل عيوب إدارتنا هو إنعدام القانون أى أن مصير كل شئون الدولة مرتبط بإرادة فرد واحد وأغلبها رهن ميل الوزراء وأغراضهم ، إن رقى سائر الأمم وراحتها يكمن في استقرار القانون . " ( ٢ )

" نحن نعلم بلا شك أن ملكنا عادل ولكن لأمعنى إطلاقاً العدالة الملك الشخصية بدون قوانين عادلة ، والمقصود بالعدالة القانونية هو ألا يجرى أى حكم على الرعية إلا بحكم القانون ، وحكم القانون لا يصدر عن أية جهة سوى دواوين العدل وذلك أيضا بعد إتمام جميع شروط التحقيق والإثبات . " ( ٣ )

ومعرض ملكم خان أثريظة الأمة في الأحداث التي طرأت في ذلك العهد وخاصة في الحركة العامة التي قامت ضد إمتياز الطباق ومن المعروف أن صحيفة قانون قد لعبت دوراً

- ( ١ ) صحيفة قانون : العدد ٣ ، رمضان ١٣٠٢ هـ ، نقلاً عن فرشته نورائى ، ص ١١١ .
- ( ٢ ) صحيفة قانون : العدد ١ ، رجب ١٣٠٢ هـ ، نقلاً عن فرشته نورائى ، ص ١١٣ .
- ( ٣ ) صحيفة قانون : العدد ٣ ، رمضان ١٣٠٢ هـ ، نقلاً عن فرشته نورائى ، ص ١١٣ .

كبيرا في الغائه :

" إن هذه الحركة التي برزت من شعبنا ضد إمتياز الطباق قد عادت على ايران بفائدة تزيد عن فائدة مائة صدر أعظم ، فقد أدرك الصديق والعدو أن هناك شعبا في ايران غير هؤلاء الوزراء العاطلين " . ( ١ )

ويقول في نفس هذا الصدد في مقالة أخرى :

" إنظروا الى تجارة الطباق التي كانت من تديم الزمان وسيلة من وسائل حياة الأمة بدون أية مرارة ، كم من فضائح أدت إليها وكم من خراب تسببت فيه من جديد وكل ذلك من جراء الجنون ، وماذا ينتظر من جهاز حكومي لا يرتضى قانونا إلا الغش والخديعة والإغتصاب والإفارة والسلاسل والجلاديين ؟ " . ( ٢ )

وسوق ملكم خان الموضوعات التي كانت ضمن الحملة المضادة لصدارة أمين السلطان على لسان تاجر تبريزي وآخر قزويني مبينا أسلوب فكر طبقة التجار ، فيقول على لسان التاجر التبريزي :

" روحنا هائمة من إعتمال أفكار ايران ، والحقيقة أنه قد آن الآوان لكي نفتح عيوننا في الدنيا ونفكر في حياتنا . . . . . وإمتياز الطباق ليس إلا واحد على ألف من حقوقنا التي تضيعها تلك المخلوقات آكلة لحم الشعب هباء بكل سفاهة ، . . . . . ولنفترض أنهم قد ألغوا إمتياز الطباق ، هل لديكم شك في أنهم سيبيعون عوضا عنه عشرين جزءا من حقوقنا الأكبر بقيمة أدنى لشركائهم الأجانب ؟ " ( ٣ )

(١) صحيفة قانون : الممدد ٢٢ ، بدون تاريخ ، نقلًا عن فرشته نورائي ، ص ١٩٦

(٢) صحيفة قانون : الممدد ٢٠ ، بدون تاريخ ، نقلًا عن فرشته نورائي ، ص ١٩٦

(٣) صحيفة قانون : العدد ١٧ ، بدون تاريخ ، نقلًا عن فرشته نورائي ، ص ١٩٦

ويقول على لسان التاجر القزويني :

"أما من أحد يسأل ذلك الشاب النجيب [أمين السلطان] بأي قانون تبيع حقوقنا وإمتيازات بلادنا الى الأراذل من الأجانب ، إن التعاملات التجارية حسب الشريعة الإسلامية وطبقا لقانون أية دولة حق وملك لأهل هذه البلاد ، وهذه التعاملات وسياسة ورأسمال لحياتنا ، فأى وقاحة تبيع وسائل حياة المسلمين للكفار ؟ هل مات شعب إيران حتى تزايد على تركته بهذا الشكل ؟" ( ١ )

وكان ملكم خان يرى ضرورة جذب مساندة طبقة علماء الدين للأحداث السياسية والحركة الدستورية وقد نجم هذا عن إدراكه الإجتماعي لتقليدية المجتمع الإيراني ، فيقول نفسى إحدى مقالاته :

"من الواضح تماما أن الشعب الإيراني لا يستطيع القيام بأي عمل إلا بهدى وزعامة المجتهدين وهناك اليوم في هذه الطبقة شخصيات صاحبة فكر وكيانات فعالة كثيرة ، وينبغي حتما أن نبحث عن حكما تلك الطبقة في كل مكان يوجدون فيه لتجعل من مكانتهم وفضيلتهم دليلا للقانون وزعامة لإتحاد الشعب" ( ٢ )

واقترح ميرزا آقا خان كرمانى على ميرزا ملكم خان تغيير اسم قانون وإستبداله بـعدالة ؛  
" عليك أن تستبدل اسم " قانون " بكلمة " عدالة " ، لأن معظم الشعب من العارضة لا يفهمون كلمة قانون ، بل يظنون القانون شريعة جديدة ، أما العدالة فهي مفهومة في كل الأذهان وسيكون لتغيير الاسم أثر طيب" ( ٣ )

---

(١) صحيفة قانون : العدد ٦ ، ذو الحجة ١٣٠٢ ، نقلا عن فرشته نورائى ، ص ١١٦  
(٢) صحيفة قانون : العدد ٧ ، بدون تاريخ ، نقلا عن فرشته نورائى ، ص ١١٢  
(٣) ميرزا آقا خان كرمانى الى ملكم خان ( ١٣٠٨ ) مجموعة أسناد ملكم : نقلا عن فرشته نورائى : ص ١١٢

وأعلن ملكم خان في رده على إقتراح ميرزا آقاخان كرمانى كفاية الشريعة الإسلامية :  
" يتصور البعض أننا نريد بهذه الصحيفة أن ننشر قوانين جديدة في إيران ، وهذا  
التصور خاطئ ، تماما ، فليس مقصودنا وإحتياجنا هو أن نبتكر قوانين جديدة لأهل إيران ،  
فنحن نرى تلك القوانين التى علمها الله والرسول والحكام لعلماء الإسلام كلها صحيحة تماما  
وكافية ، ورأينا أنه من الواجب علينا أن نحدد حكما إيران على موضوع إعادة تنظيم إيران " (١)  
وحققت صحيفة " قانون " إنتشارا كبيرا بين الإيرانيين من مختلف الطبقات بفضل  
سهولة أسلوبها وساطة عرض الموضوعات ، ويرى ريبكا أن هذه الصحيفة " أفضل وأقوى  
صحف ما قبل الدستور " . (٢)

### (٣) جبل المتين :

بدأ صدور صحيفة " جبل المتين " عام ١٣١١ هـ ق / ١٩٣٠ م . في كلكتا بالهند  
وكانت تصدر في عشرين صفحة تقريبا ، وقد إحتلت هذه الصحيفة مكانة هامة في الأوساط الدينية  
والعلمية الى جانب ما كان لها من ثقل سياسى كبير ، وقد زاد من أهميتها تخصيصها لجزء  
من صفحاتها لنشر الكتب والترجمات الحديثة كحواشى . (٣)

محرر هذه الصحيفة هو سيد جلال الدين الكاشانى " مؤيد الإسلام " الذى شارك  
بفكرة في إيقاظ عقول الإيرانيين وكشف المساوى الإجتماعية والسياسية بالإضافة الى إهتمامه  
بنشر الأحداث الدينية الهامة ، وكانت صحيفة جبل المتين تشر على صفحاتها مقالات ثورية  
بأقلام الأحرار الإيرانيين في داخل إيران بتوقيع متحفظ ، وكانت تحت الشعب على تأسيس

(١) صحيفة قانون : العدد ٦ ، ذوالحجة ١٣٠٧ ، نقل عن فرشته نورائى ، ص ١٩٧

(٢) Rypka(Jan): A history of Iranian literature, pp. 365

(٣) Kamshad(H): Modern Persian Prose literature, pp.30

المدارس والتزود بالعلم (١) وتميزت بحبل المتين بإثارتها لحسن الفخار القوي في نفس  
الإيرانيين (٢).

لقت هذه الصحيفة تأييد الأوساط الدينية وتعد ممثلة الجناح الإسلامي بين صحف  
ذلك العهد وفي هذا الصدد يرى "ادوارد براون" أنها "بطللة الاتجاه الإسلامي" (٣)  
وكان من أسباب رواجها أن "حاجي زين العابدين تقيوف" وهو أحد التجار الإيرانيين  
كان قد أرسل مبلغا كبيرا من المال إلى الصحيفة من أجل أن ترسل أعدادها إلى العلماء  
بالنجف وغيرها من المدن مجانا مما دعم علاقة العلماء بالصحيفة فأخذوا في حث الناس  
على قراءتها (٤).

#### (٤) شريفا :

وهي صحيفة أسبوعية كانت تصدر في القاهرة منذ عام ١٣١٦ هـ ق ١٩٨٠ م وكان  
العدد الأول منها بتاريخ ١٤ جمادى الثانية ١٣١٦ هـ ق ٣٠ / ١٠ أكتوبر ١٩٨٠ م (٥) كان  
يحررها ميرزا علي محمد خان كاشاني وكانت تشر مقالات موهمة وشاركت مشاركة إيجابية في  
تصور الرأي العام في إيران إلا أنها لم تعمر طويلا حيث انفصل عنها محررها الكفء ميرزا علي  
محمد خان كاشاني فقلت قيمتها وتأثيرها ، وتولى تحريرها بعده سيد فرج الله كاشاني  
الذي أخذ يهاجم على صفحاتها صحيفة "حبل المتين" في حديثها عن القانون والحكومة  
الشرعية (٦) ويتناول بالنقد والتشكك آراء المفكر جمال الدين الأفغاني (٧) وقد استمرت

(١) ملكزاده (مهدي) : انقلاب مشروطيت ايران ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٢) مجلة "سخن" : الدورة الخامسة والعشرون ، العدد ٣ ، ص ٣٥٩ .

(٣) Browne (E.G.) : The press and poetry of modern Iran, 73 (3)

(٤) كسروي (احمد) : تاريخ مشروطه ايران ، ج ١ ، ص ٤٢ .

(٥) Browne (E.G.) : The press and poetry of modern Iran, pp.67 (5)

(٦) كسروي (احمد) : تاريخ مشروطه ايران ، ج ١ ، ص ٤١ .

(٧) نور الدين آل علي : مجلة المنتدى ، السنة الأولى - العدد الثاني ١٢٨ م / ٣٥٧ هـ



الصحيفة في الصدور بالقاهرة بعض الوقت ثم أوقفت وعاد محررها الى طهران حيث استأنف  
صدورها . ( ١ )

( ٥ ) پرورش :

وهي صحيفة أسبوعية أصدرها ميرزا علي محمدخان كاشاني بالقاهرة ، صدر العدد  
الأول منها بتاريخ ١٠ صفر ١٣١٨ هـ ق ١/٠ يونيو ١٩٠٠ م وقد حازت هذه الصحيفة  
شهرة كبيرة من حيث الكيف والأثر وكانت من أفضل الصحف الإيرانية قبل الدستور ، جذب  
أسلوب محررها إنتباه الإصلاحيين والأحرار الإيرانيين الذين إهتموا بالحصول عليها  
وقراءتها رغم حظر دخولها الى ايران ضمن الصحف المنوعة ، وقد حظر دخولها الى ايران  
بسبب حدة مقالاتها وهجومها على تخلف الأساليب الإدارية للحكومة الإيرانية وخاصة  
انتقاداتها للتصرفات غير الوطنية لأمين السلطان ( الصدر الأعظم ) وخاصة ذلك المقال  
الذي نشر في العدد ٢٣ والذي قارن بين كفاءات أمين الدولة وأمين السلطان ، ولكنها  
استمرت في الدخول الى ايران عن طريق قنوات سرية ، وظهر في عددها الأخير مقال شهير  
عنوانه " زاري برشكستگي قلم - بای ذنب قظت ؟ " كانت له أهمية نقدية كبيرة ، التي  
جانب تأثير الصحيفة كلها من الناحية الأدبية وتطور النشر الحديث .

وقد صدر من هذه الصحيفة ثلاثة وثلاثون عددا . ( ٢ )

صدرت في ايران الى جانب الصحف الفارسية صحف أجنبية كانت أولاها الصحيفة  
الفرنسية التي لم يصدرنها إلا عدد واحد بتاريخ ٥ فبراير ١٢٦٦ م / ١٢٩١ هـ ق . ، ورأس  
تحريرها " بارون لوادي نورمان " وهو بلجيكي استدعاه ناصر الدين شاه الى طهران عام

( ١ ) Browne ( E.G. ) : The press and poetry of modern

Iran, pp. 67

( ٢ ) المرجع السابق ، ص ٥٨

٨٢٥ لم إلا أن التلميح الى الحرية الذي يمكن إدراكه في هذا العدد قد أغضب الشاه عليه فأمر بإيقاف الصحيفة وفصل محرريها . ( ١ )

كانت الصحف الفارسية الصادرة خارج ايران هي التي ساهمت في اليقظة الفكرية في العهد السابق على الدستور، وكانت هذه الصحف والتحديد التي إنتمت الى المعارضة هي التي قدمت الأشكال الأدبية الجديدة الأشد ثورية وأثرت تأثيرا إيديولوجيا حقيقيا على الرأي العام في ايران . ( ٢ ) أما سائر الصحف التي صدرت داخل ايران ومعظمها أيضا صدر خارجها فكانت إما ذات ثقل سياسي ضئيل أو موالية للنظام الحاكم ، لكن هذه السلبية نفسها كانت مفيدة الى حد ما فقد كانت تتحدث عن دول أوروبا وتقدمها وقوتها وعن العلوم والإختراعات الحديثة وتطلع الناس على الجديد في الفكر وكان هذا في حد ذاته باعثا على التحرك واليقظة . ( ٣ )

.. ..

---

(1) Browne (E.G.): The press and poetry of modern Iran, pp.16

(2) Kamshad (H): Modern Persian Prose literature, pp.29

(٣) كسروي ( احمد ) : تاريخ مشروطه ايران ، ج ١ ، ص ٤٤

واستعلام ( محمد ) : ادبيات دورة بيدارى ومعاصر ، ص ٤

دور الصحافة في تطور النشر:

لم يقدم الأدب الفارسي - في الإتجاه السياسي البحت - في فترة التحضير للشورة في كتب أو دواوين شعرية بل قدم للقارىء في صحف ومجلات ، ومن ثم فلازالت الصحافة هي أفضل مرآة أدبية لذلك العهد . ( ١ )

وبالإضافة الى تشييط التيار القوي قدمت هذه الصحف لنهضة أدبية حديثة ، فقد كانت الموضوعات التي تتناولها الصحف في ذلك الوقت تتطلب أسلوبا نشريا بسيطاً بعيداً عن التكلف والتعقيد ، خاصة وأن هنالك بعض الصحف كانت تتناول الحياة في ايران بالنقد من خلال الفكاهة والسخرية ، وكانت هذه المقالات الصحفية موجهة الى الإيراني البسيط الذي يحتاج الى المعرفة في قالب بسيط مفهوم .

كانت صحيفة " قانون " أفضل الصحف السابقة على الثورة الدستورية من ناحية الأسلوب الأدبي والتعبير ، فكان أسلوبها البسيط سبباً في شغف الناس بقراءتها ، وقد ظهرت من خلال هذه الصحيفة ألفاظ مستحدثة مثل : " قانون " - " تنظيمات " - " اصول ادارة " وغيرها من الألفاظ التي دخلت الفارسية الجارية وعم إستخدامها ( ٢ ) . كانت مواد الصحف بسيطة وسهلة ، ولكن كثرت الأخطاء الإملائية واللغوية أيضاً في صحف ذلك العهد فأوردت صحيفة ثريا على سبيل المثال لفظ " نوند " وهو يعنى " حصان " بمعنى " نوان " أى " عاجز " . فأتى في مقالة " صحابه " في العدد ٢١ :

نالہ سوگواری آدامان آسمان بلند و سرها فکنده ونوند ( ٣ )

(1) Rypka (Jan): A history of Iranian literature, pp. 365

(2) Browne (E.G.): The press and poetry of modern Iran, pp. 17

(3) بهار (محمد تقی) : سبکشناسی ، المجلد الثالث ، ص ٤٠٢

٦- الاسم الموصول: الذي.

وكقوله:

بِتَا فَعَلْتَ وَأَتَتْ وَيَا أَفْعَلِي وَنُونِ أَقْبَلَنَّ فِعْلٌ يَنْجَلِي<sup>(١)</sup>

فقد استغنى بذكر الأمثلة عن ذكر:

١- تاء الفاعل تاء فعلت.

٢- تاء التانيث أتت.

٣- ياء المخاطبة ياء افعلي.

٤- نون التوكيد نون أقبلن<sup>(٢)</sup>.

٧- الاستشهاد: ويُقصد به التدليل على القاعدة النحوية بشاهد نحوي كالقرآن أو

الشعر أو كلام العرب.

وذلك كقوله في باب التسيير:

وَالنَّصْبُ بَعْدَمَا أُضِيفَ وَجَبَا إِنْ كَانَ مِثْلَ مِثْلٍ الْأَرْضِ ذَهَبًا<sup>(٣)</sup>

حيث استشهد بقوله تعالى في الآية الكريمة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا

فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ)<sup>(٤)</sup>.

وكقوله في باب المفعول معه:

(١) السابق ، ١

(٢) ذكر هذا المثال : علي عبود الساهي في ص ١٤٢ ، ولكنه جانب الصواب إذ عدّ نون ( أقبلن ) نون نكرة ، مع أنّ نون النسوة من علامات الافعال ، لكن البيت ينكسر اذا عدت النون نون نكرة .

(٣) ابن مالك ، الالبيه ، ٢١

(٤) آل عمران ، ١١

وَقَلَّ أَنْ يَصْحَبَهَا الْمَجْرَدُ وَالْعَكْسُ فِي مَصْحُوبِ الْوَأَنْشَدُوا  
لَا أَقْعُدُ الْجَيْنَ عَنِ النَّهْجَاءِ وَلَوْ تَوَالَتْ زُمَرُ الْأَعْدَاءِ<sup>(١)</sup>  
فِيَّانَهُ اسْتَشْهَدَ بَيْتِ كَامِلٍ مِنَ الشَّعْرِ<sup>(٢)</sup>

وَقَدْ يَقْتَصِرُ عَلَى مَوْضِعِ الشَّاهِدِ فَقَطُّ، كَقَوْلِهِ فِي بَابِ عَطْفِ الْبَيَانِ:

وَنَحْوِ بَشْرٍ تَابِعِ الْبَكْرِيِّ وَلَيْسَ أَنْ يُبَدَّلَ بِالْمَرْضِيِّ<sup>(٣)</sup>  
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْمَرَارِ بْنِ سَعِيدِ الْفُقْعِيِّ: (وَأَفْر)

أَنَا ابْنُ التَّارِكِ الْبَكْرِيِّ بَشْرٍ عَلَيْهِ الطَّيْرُ تَرَقُّبُهُ وَقُوعَا<sup>(٤)</sup>  
وَكَقَوْلِهِ فِي بَابِ حُرُوفِ الْجَمْعِ:

وَمَا رَوَوْا مِنْ نَحْوِ رَبِّهِ فَتَى نَزَرَ كَذَا كَهَا وَنَحْوَهُ أَتَى<sup>(٥)</sup>

فَقَوْلُهُ (رَبِّهِ فَتَى) مِثْلُ (رَبِّهِ رَجُلًا)، وَهُوَ قَوْلٌ مَشْهُورٌ مَرْوِيُّ عَنِ الْعَرَبِ. وَقَوْلُهُ

كَهَا إِشَارَةٌ إِلَى بَيْتِ الْعَجَّاجِ: وَأُمُّ أَوْ عَالٍ كَهَا أَوْ أَقْرَبَا<sup>(٦)</sup>

وَكَقَوْلِهِ فِي بَابِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ:

- 
- (١) ابن مالك ، الالغية ، ٢٢  
(٢) ابن هشام ، أوضح المسالك ، ٤٦ / ٢  
(٣) ابن مالك ، الالغية ، ٤٢  
(٤) انظر البيت والنسبة في : ابن هشام ، أوضح المسالك ٢٦ / ٢  
(٥) ابن مالك ، الالغية ، ٢١  
(٦) ابن عقيل ، شرح ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ١١ / ٢

وَمَا لِتَفْصِيلِ كَيْمَا مَنَا عَامِلُهُ يُحْذَفُ حَيْثُ عَنَا <sup>(١)</sup>

أُخِذَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (فِيمَا مَنَا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءً) <sup>(٢)</sup>

-٨ بيانه الأوجه الخلافية في التعميد، كقوله في باب التنازع: <sup>(٣)</sup>

إِنْ عَامِلَانِ اقْتَضِيَا فِي اسْمِ عَمَلٍ قَبْلُ فَلِلَّوَّاحِدِ مِنْهُمَا الْعَمَلُ

وَالثَّانِ أَوْلَى عِنْدَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَأَخْتَارَ عَكْسًا غَيْرَهُمْ ذَا أُسْرَةٍ <sup>(٤)</sup>

فأورد الخلاف المشهور بين البصريين والكوفيين في الأحق بالأعمال من

المتنازعين في العمل، حيث ذكر أن إعمال الأول مذهب أهل الكوفة وإعمال

الثاني مذهب أهل البصرة <sup>(٥)</sup>.

وقوله في باب التوكيد:

وَإِنْ يُفِيدُ تَوْكِيدًا مَثْبُورًا قَبْلُ وَعَنْ نَحْوِ الْبَصْرَةِ الْمَنْعُ شَمِلَ <sup>(٦)</sup>

وقوله في باب الوقف:

وَنَقْلُ فَتْحٍ مِنْ سِوَى الْمَهْمُوزِ لَا يَرَاهُ بَصْرِيٌّ، وَكُوفِيٌّ نَقْلًا <sup>(٧)</sup>

-٩ الاختصار بعدم تكرار حرف العطف <sup>(٨)</sup>، وذلك كقوله في باب حروف الجر:

(١) ابن مالك، الالغية، ٢٢

(٢) سورة محمد، آية ٤

(٣) الساهي، ١٤٢

(٤) ابن مالك، الالغية، ٢٦

(٥) انظر تفصيل المسألة في: ابوالبركات الانباري، الانصاف في مسائل

الخلافا، ٨٢/١ - ٩٦، مسألة رقم ١٢

(٦) ابن مالك، الالغية، ٤١

(٧) الساهي، ٦٢

(٨) الساهي، ١٤٤

هَآكَ حُرُوفِ الْجَزْءِ وَهِيَ: مِنْ إِلَى حَتَّى خَلَا حَاشَا عَدَا فِي عَنُّ عَلَى

مُدُّ مُنْدُ رَبِّ اللَّامِ كَيِّ وَاوَّ وَاوَّ وَتَا وَالكَافُ وَالْبَا وَلَعَلَّ وَمَتَى. <sup>(١)</sup>

وَقَوْلِهِ فِي بَابِ كَانَ وَأَخْوَاتِهَا:

كَكَانَ ظَلَّ بَاتَ أَضْحَى أَصْبَحَا أَمْسَى وَصَارَ لَيْسَ زَالَ بَرِحَا <sup>(٢)</sup>

وَقَوْلِهِ فِي بَابِ إِزَّ وَأَخْوَاتِهَا:

إِزَّ أَنْ لَيْتَ لَكِنَّ لَعَلَّ كَأَنَّ عَكْسُ مَا لِيكَانَ مِنْ عَمَلٍ <sup>(٣)</sup>

وَقَوْلِهِ فِي بَابِ ظَنَّ وَأَخْوَاتِهَا:

أَنْصَبَ بِفِعْلِ الْقَلْبِ جَزْأَيِ ابْتَدَا أَعْنِي رَأَى خَالَ عَلِمْتُ وَجَدَا <sup>(٤)</sup>

١٠ - ظَهُورُ شَخْصِيَّةِ النَّاطِمِ وَأَرَادِهِ فِي نَظْمِهِ أَيْبَاتُ الْفَيْتَةِ، كَقَوْلِهِ فِي بَابِ الْمَعْرِفَةِ

وَالنَّكِرَةِ: <sup>(٥)</sup>

وَصِلْ أَوْ أَفْصِلْ هَاءَ سَلِينِهِ وَمَا أَشْبَهَهُ فِي كُنْتَهُ الْخُلْفُ انْتَمَى

كَذَاكَ خِلْتَنِيهِ وَاتَّعَالَا اخْتَارَهُ غَيْرِي اخْتَارَ الْإِنْفِصَالَ <sup>(٦)</sup>

وَقَوْلِهِ فِي بَابِ نَائِبِ الْفَاعِلِ: <sup>(٧)</sup>

(١) ابن مالك ، الالفيه ، ٢١

(٢) السابق ، ١٧ ، وأغار اليه الساهي ، ١٤٤

(٣) ابن مالك ، الالفيه ، ١٦

(٤) السابق ، ٢١

(٥) الساهي ، ١٤٨

(٦) ابن مالك ، الالفيه ، ١٢ - ١٣

(٧) الساهي ، ١٤٨

في بابِ ظَنٍّ وَأَرَى الْمَنَعَ اشْتَهَرَ ولا أرى مَنعاً إذا القَصْدُ ظَهَرَ<sup>(١)</sup>

هذه سماتٌ وخصائصُ امتازتِ الألفيةُ عن غيرها ببعضها، وفاقت غيرها في بعضها، مع أن ابن مالك جعل الألفيته ثمانية وسبعين باباً، تفاوتت أبوابها بين الطول والقصر، إلا أنها جاءت شاملة تقريباً لأبواب النحو والصرف، وقدم في اختياره الأهم على المهم، كي لا يطول به الأمر.

والناظر في الملاحق (ملحق م ٢-١) يتبين أن عدد طبعات الألفية قد جاوزت الأربعين طبعةً، وليس هذا فحسب، بل إن هذه الطبعات قد اختلفت أماكنها وبلدانها، فأول طبعاتها كانت في باريس سنة ١٨٢٣م، بتحقيق

المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي وشرحه<sup>(٢)</sup>

وطبعت في الهند أربع طبعات، وفي القاهرة أكثر من عشرين طبعةً، وطبعت في إيران، وطبعت في فاس بالمغرب، وفي قطر، وفي النجف، وبغداد، وجدة، ودمشق، وبيروت، وتركيا.<sup>(٣)</sup>

هذا عن طبعات الألفية ونشراتها، أما عن نسخها المخطوطة فإنها تفوق الحصر، ولولا الجهد والمشقة وضيق الوقت لقمّت بحصر ما أمكن حصره، مع أنني في بداية عملي في الملاحق جمعتُ قدراً كبيراً منها، لكنني وجدت أن أمر

(١) ابن مالك، الألفية، ٢٤

(٢) انظر ملحق (م - ٢ - ١)، صفحة ١٦٢

(٣) انظر طبعات الألفية ونشراتها في ملحق (م - ٢ - ١) الصفحات ١٦٢ - ١٦٤



حصر نسخها لا ينتهي<sup>(١)</sup>، وحتى لو تم ذلك فإنه لا يُرجى منه كبير فائدة للباحثين والدارسين، ولذلك عدلت عن هذا الأمر.

### توابع ألفية ابن مالك:

اشتهر ابن مالك نحويًا وناظمًا، واشتهرت ألفيته شهرةً فائقةً طبقت الآفاق، فكان لها العشرات من الشروح والحواشي، ولو قُسمت هذه الشروح والتوابع على عدد السنين التي بين عصر ابن مالك وعصرنا لكان يظهر لألفية ابن مالك تابع في كل سنة بالمتوسط.

وتعددت أنماط التأليف في الكتب التابعة لألفية ابن مالك، ورأيت أن أطلق على هذه الكتب المختلفة الأنماط وصف «توابع» أو «متعلقات»، ولمزيد من التفصيل أُبين في الصفحات التالية أنواع هذه التوابع أو المتعلقات مع التمثيل:

١- الشرح: أي تناول الألفية أو بعضها بالشرح والتفسير والبيان، ويشمل شرح القواعد النحوية، وشرح الخطبة، وشرح الخاتمة، وشرح شواهد شروحيها، وبيان ذلك:

أ- الشرح العام: هو شرح وبيان لأبيات الألفية كاملةً ابتداءً بخطبتها وانتهاءً بخاتمتها، مع شرح القواعد والاستشهاد لها، مثل شرح المرادي (ت ٧٤٩هـ)،

(١) يجد الباحث نسخاً مخطوطة كثيرة للألفية في معظم مكتبات ومتاحف العالم، إضافة إلى أن كثيراً من المكتبات لم تفهرس محتوياتها

وشرح ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، وشرح ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، وشرح المكوذي (ت ٨٠٧هـ)، وشرح السيوطي (ت ٩١١هـ).<sup>(١)</sup>

ب- شرحُ خطبة الألفية: هو الإقتصارُ على شرح الأبيات السبعة الأولى من الألفية، التي هي خطبة (مقدمة) ألفية ابن مالك، مثل شرح خطبة الألفية لعلي بن محمد بن حمدون البناني (ت ١١٤٠هـ) وشرح السجاعي (ت ١١٩٧هـ) على ديباجة الألفية، وشرح محمد بن مسعود بن أحمد العثماني على خطبة الألفية (ت ١٢١٤هـ)، وشرح الخطبة لمحمد التاذفي (ت ١٢٣٤هـ)، وشرح الخطبة لمحمد ابن عبد القادر المكلاي الكردودي (ت ١٢٦٨هـ).<sup>(٢)</sup>

ج- شرحُ خاتمة الألفية: أي شرحُ الأبيات الأربعة الأخيرة من الألفية مثل شرح خاتمة الألفية للشبيني (كان حيا سنة ١٢٤٠هـ).

هـ- توضيحُ الألفية وشرحها للعسقلاني (ت ٨٧٦هـ) م-٢-١ رقم ٦٢.

و- حلُّ الألفية ويُقصدُ به حلُّ النظم أو تفكيكه أو بعبارةٍ أخرى نثرُ الألفية، مثل حلُّ

الألفية لإبراهيم بن محمد الدجوي (ت ٨٣٠هـ) ملحق م-٢-١ رقم ٤٧.

مثل: تأصيل البنا

ز- الشرحُ الجزئي: وهو تناولُ بعضِ أبياتِ الألفية بالشرح والتوضيح، في تعليل

البنا لعبيد الله بن محمد بن عبد الله الزركشي (ق ٨هـ) وهو شرحٌ للأبيات الثلاثة

(١) انظر التيسيلات في طبع م - ٢ - ١ من الجزء الثاني من الرسالة .  
(٢) قد يسمى الشرح تفسيرا كما تفسير الألفية ابن مالك ، لابن أبي العاصم ( انظر م - ٢ - ١ ) رقم ١٧٤ ص ٢٠٤

(١٥-١٧) التي أولها:

وَالأَسْمُ مِنْهُ مَعْرَبٌ وَمَبْنِيٌّ...

ومثل تعليق علي قول ابن مالك:

..... كَذَا إِذَا مَا الْفِعْلُ كَانَ الْخَبْرًا<sup>(١)</sup>

لأحمد بن محمد الشراذي الفاسي (ت ١٣٥٣هـ) ملحق م-٢-١ رقم ١٥٠.

ومن طرائق الشرح الشرح المزجي، وهو مزج كلام الألفية بعبارة الشارح بحيث يصبح الكلامان تركيباً لغوياً تاماً صحيحاً، على أن يُميّز الكلام المراد شرحه بميزة تميزه من كلام الشارح، كأن يُميّز باللون أو بنوع الخط أو برسم خطٍ مستقيم فوق الكلام المراد شرحه أو تحته أو أن يوضع هذا الكلام بين قوسين، وهذه العلامات توضع فقط لتسيير كلام المؤلف الأول وحسب، مع أنها تصبح جزءاً من التركيب النحوي لكلام الشارح.

ومن أمثلة الشرح المزجي شرح محمود بن أحمد سَمَيْسِم (ت ١٣١١هـ)<sup>(٢)</sup> وهناك شرح مزجي شعري، وهو متمثل بالألفية ابن بونة الشنقيطي (ت ١٢٣٠هـ) حيث نظم ألفية نحوية ممزوجة بألفية ابن مالك، وسُميت الألفية والاحمرار لأنه ميّز ألفاظ ابن مالك باللون الأحمر، وسُميت شرح ألفية ابن مالك، وسُميت أيضاً معارضات على ألفية ابن مالك وسُميت بتثمين أبواب الألفية<sup>(٣)</sup>.

(١) باب الابتداء - البيت الثامن عشر.

(٢) رقم ١٤١ في ملحق م-٢-١.

(٣) ملحق م-٢-١ رقم ١٢٣.

وشروح ألفية ابن مالك استأثرت بنوعي الكلام نشره وشعره، فجُلَّ الشُّروح المعروفة منشورة، وهو الأصل، أن يُشرح الشعرُ بنثر، ولكنَّ الغريب أن تجد شعراً مشروحاً بمثله، كإساعيل بن حسن بن أسد الله التُّسْتَرِي (ت ١٣٤٥هـ) الذي شرح ألفية ابن مالك نظماً، وكشرح بدر الدين محمد بن محمد الغزي العامري (ت ٩٨٤هـ) الذي شرح ألفية ابن مالك في عشرة آلاف بيتٍ وسماه: "البهجة الوفية بحجة الخلاصة الألفية".

٢- الحواشي: جسعٌ حاشية، وهي (شكلٌ آخرٌ من التأليفِ النحويِّ يستهدف فتح المغلق من عبارٍ (كذا) شروح المتون، وإضافة ما تتطلبه الفكرة من إضافة إلى جانب طرح النقد على الشرح، ومناقشته إن أُلزم منهج البحث بذلك. ولأنَّها كانت تُكتب في أطراف صفحات الكتاب من الجانبين ومن أعلى وأدنى - وأطراف الشيء: حواشيه - سُمِّيَتْ بالحواشي) (١).

وألفية ابن مالك فاقت غيرها في استنثارها بالجَمِّ الغفير من الحواشي، وذلك لأهميتها أولاً وكثرة قارئيهَا والمهتمين بها ثانياً، ومن أمثلة الحواشي على ألفية ابن مالك:

- أ- حاشية البكري على الألفية ملحق م-٢-١ رقم ١٦٢
- ب- الحواشي التوفيقية على الألفية، لمحمود الخوجة (ت ١٣٢٩هـ) ملحق م-٢-١ رقم ١٤٣.

ج- حاشية الصبان على الألفية، محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ) ملحق م-٢-١ رقم ١١٨.

د- حاشية على ألفية ابن مالك، علي نقيب الأشراف (ولد سنة ٨٥٢هـ) م-٢-١ رقم ٦٨.

٣- التعليقات: ومفردتها تعليق أو تعليقة (ويرادُ به ما يعلّق من شرحٍ مختصرٍ أو نقدٍ عابرٍ أو خلافٍ رأيٍ على مادة الكتاب)<sup>(١)</sup> ومن أمثلته:

١- الكامل (تعليق على ألفية ابن مالك لمحمد جعفر القائي (ت ١١٠٠هـ) ملحق م-٢-١ رقم ١٠٨.

ب- تعليق على ألفية ابن مالك لعبد السلام القيلوي (ت ٨٥٩هـ) ملحق م-٢-١ رقم ٥٨.

٤- التقييدات ومفردتها تقييد وهي (ما يقيده (أي يكتبه) الطالب أو المدرس من تعليقات وملاحظات على الكتاب)<sup>(٢)</sup> وذلك كتقييد محمد بن محمد المرابط الصغير الدلاني (ت ١٠٩٠هـ) على ألفية ابن مالك ملحق م-٢-١ رقم ١٠٤.

٥- إعراب الألفية: وهو أن يتناول المعرب أفعال الألفية بالإعراب، أي ببيان الموقع الإعرابي لكل لفظٍ بما يتعلّق بكلّ لفظٍ نحوياً.

ومن أشهر إعرابات الألفية إعراب الشيخ خالد الأزهرّي (ت ٩٠٥هـ) المسمّى

(١) سابق ص ١٠.

(٢) سابق ص ٩.

”تمرين الطلاب في صناعة الإعراب“ أو ”مغرب الألفية“ ملحق م-٢-١ رقم ٧٣:  
ومنها أيضا «اللوامع الشمسية في إعراب الخلاصة الألفية» لمحمد بن علي بن  
محمد الحلبي (ت ٧٨٩هـ) ملحق م-٢-١ رقم ٣٠، ومثله إعراب الشيخ محمد  
محيي الدين عبد الحميد في هوامش شرح ابن عقيل عندما حقق شرح ابن عقيل  
وسماه «منحة الجليل».

٦- وهناك أيضا النكت والطرز والفوائد التي تضاف إلى الكتاب لإضافة فائدة أو  
استدراك على المؤلف أو اختيار مسائل يعلق عليها الشارح فيسميه بالنكت  
مثلاً، وذلك مثل:

أ- نكت على الألفية في النحو لعبد الرحمن بن مخرمة (ت ٩٠٣هـ) ملحق  
م-٢-١ رقم ٧٢.

ب- كتاب السيوطي (ت ٩١١هـ) النكت على الألفية والشافية والكافية  
والشذور ونزهة الطرف ملحق م-٢-١ رقم ٧٥.

٧- تكملة الألفية لمحمد الكرمانى (ت ١٣٣٥هـ) ملحق م-٢-١ رقم ١٤٥، وكما  
يبدو من العنوان فلعلها استدراكات فاتت ابن مالك وأكملها.

٨- التشطير: وهو نوع من الشرح النظمي، حيث ينظم الشارح أبياتاً يضمها  
أشطار النظم المشروح فيأتي بشرط من الألفية ويكملها نظماً من عنده، يتضمن  
شرحاً لما في هذا الشرط من غموض أو إبهام أو ما هو بحاجة إلى شرح أو  
تلصيل.

وهذا مثلُ تشطيرِ الألفية لعبد الجليل بن محمد البغلي (ت ١١١٩هـ) ملحق م-٢-١ رقم ١١١ ومثل "الكوكب المنير في شرح الألفية" تشطير مجهول المؤلف ملحق م-٢-١ رقم ٢٠٠.

٩- الاختصار : الذي هو تلخيص للكتاب الأول، فيضمّن المختصر كتابه أهم ما ورد في الكتاب الأول وهو يشبه الخلاصة.<sup>(١)</sup>

وذلك مثل الوافية في اختصار الألفية للسيوطي (ت ٩١١هـ)، ملحق م-٢-١ رقم ٧٦.

١٠- التحقيق: (هو الاصطلاح المعاصر الذي يقصد به بذلُ عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة)<sup>(٢)</sup>.

أصبح التحقيق في هذا العصر نمطاً من أنماط التأليف، وخضعت بعض المنظومات النحوية وكثير من شروحيها إلى التحقيق الذي يتضمن :

١- تحقيق عنوان الكتاب.

٢- تحقيق اسم المؤلف.

٣- تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

٤- تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقارياً لنص مؤلفه)<sup>(٣)</sup>.

(١) سابق ١٠٠٩ بتصرف.

(٢) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ط ٤،

ص ٤٢.

(٣) سابق ٤٦٤.

وهناك من المحققين غير واحد بذلوا عناية خاصة بشروح بعض المنظومات النحوية، مثل محمد محيي الدين عبد الحميد الذي حقق شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك وسماه (منحة الجليل)، وحقق أيضاً أوضح المسالك شرح ابن هشام على ألفية ابن مالك، وسماه (هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك).

#### حصرُ توابعِ الألفيةِ ومتعلقاتِها:

الناظر في ملحق (م-٢-١): ألفية ابن مالك وتوابعها، يلحظ القدر الضخم من الكتب التي ألفت متعلقةً بألفية ابن مالك أو بما تعلق بالمتعلق. ويلحظ - أيضاً - كثرة أماكن وجود مخطوطات هذه الكتب، وكثرة طبعاتها - مع عدم الادعاء بالحصر والإحاطة - والناظر في ذلك يدرك أن إحصاء ما ذكر لا يتم إلا برحلة علمية في بطون الكتب قديمها وحديثها، مخطوطها ومطبوعها على اختلاف الأزمان والأمكنة، واختلاف اهتمامات كل كتاب من نحو ولغة وتاريخ وفهارس.

هناك من العلماء والباحثين من جمع عدداً من شروح ألفية ابن مالك كحاجي خليفة إذ ذكر أكثر من عشرين شرحاً<sup>(١)</sup>، والدكتور علي عبود الساهي ذكر نحو أربعين شرحاً ونشراً وإعراباً لها<sup>(٢)</sup>، وبروكلمان ذكر أكثر من خمسين شرحاً<sup>(٣)</sup> مع

(١) حاجي خليفة ، ١٥١/١ - ١٥٥

(٢) الساهي ، ١٣٠ - ١٣٦

(٣) محمد عبد السيد الطريل ، ١٨



أنَّ أحدًا منهم لم يكنْ غرضه الاستقصاء.

## شروع الشروع :

إضافةً إلى الكتب التي تناولت الألفية نفسها، فهناك الكتب الأخرى التي تناولت شروح الألفية، فتجد شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك عليه أكثر من ثلاثين شرحًا وحاشيةً واختصارًا، وشرح ابن هشام للألفية له ثمانية وثلاثون تابعًا، وشرح الأشموني له ثلاثة وعشرون تابعًا، وشرح ابن الناظم له سبعة عشر تابعًا، وشرح المكودي له تسعة عشر تابعًا، وشرح السيوطي له عشرون تابعًا .  
والغريب في الأمر أن تجد شرح الشرح له توابع كثيرة، وذلك مثل حاشية الصبان على الأشموني على ألفية ابن مالك التي لها أربعة توابع، فنجد كتابًا يحمل العنوان التالي: تقرير الأنبايي على حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ملحق م-٢-١ رقم ٧٧-١٠-١.

فكثرة التوابع والمتعلقات للألفية وكذلك توابع التوابع أي شروح شروح ألفية ابن مالك دليل ناصح على شهرة هذه الألفية، وفوزها بنصيب الأسد في مضارها، بحيث لا يكاد دارس للنحو العربي إلا واطلع عليها أو درسها أو حفظها أو شرحها، أو علق بذهنه بعض من أبياتها.

ومن الدلائل على شهرتها ما قيل فيها شعراً، فمن ذلك قول أحدهم: [ مجرد الرجز ]

ألفية ابن مالك      مشرقة المسالك

وكمّ بها مشتغلٍ علا على الأرائك<sup>(١)</sup>  
وقول ابن الوردي: <sup>(٢)</sup> [رجز]

يا عانبا ألفية ابن مالكٍ وغائبا عن حفظها وفهمها  
أما تراها قد حوت فضائلا كثيرة فلا تجرّ في ظلمها  
وازجرّ لمن جادل من يحفظها برابعٍ وخامسٍ من اسمها  
(يعني سه فإنه عند الاستقلال بمعنى اسكت)<sup>(٣)</sup>

## أثار النظم النحوي في النحو العربي ودرسه

### أولاً: الآثار الإيجابية:

- ١- النظم النحويّ يسهّل النحو ويُبسّطه للمبتدئين في دراسة علم النحو، لما فيه من إيجازٍ واختصارٍ وتقديم الأهمّ على المهمّ، ووجود الأمثلة، والتقليل من إيراد الخلاف النحويّ.
- ٢- المنظومات النحوية تألّف جديدة في النحو، توسّع مجال الاختيار أمام الدارس في اختيار المؤلف الذي يريد دراسة النحو فيه.
- ٣- المنظومات النحوية وما ترتب عليها من شروح واختصاراتٍ وتعليقاتٍ وحواشٍ أثار النحو العربيّ بالتأليف الكثيرة وبما تضمّنته من الفوائد الكثيرة والآراء

(١) المقرئ ، ٤٢٠/٢

(٢) السابق ، ٤٢٠/٢ - ٤٢١

(٣) السابق ، ٤٢١/٢

المتجددة، إذ يتوالى العلماء على الرأي الواحد تباعاً، فلا يكاد يخلو واحد منهم من رأي جديد أو استدراك مفيد أو احتراز أو تخصيص أو استشهاد أو تمثيل جديد مناسب لعصره أو حصر أو استقصاء، لجزئيات المسألة الواحدة، مع اختلاف طرائق الشارحين في شروحهم بما يتناسب وأذواق مختلف الدارسين.

٤- النظم النحوي فتح باباً واسعاً من أبواب المنافسة وإظهار البراعة في المقدرة على نظم دقائق النحو والتصرف فيها بين العلماء،<sup>(١)</sup> حتى إن كثيراً من العلماء -الذين شهروا بغير النحو- خاضوا غمار هذا البحر وحاولوا المنافسة فيه<sup>(٢)</sup>.

قال ابن مالك في خطبة الفيتية:

وتقتضي رضا بغير سُخْطٍ فائقة ألفية ابن معط<sup>(٣)</sup>

وجاء بعده السيوطي فقال في خطبة الفيتية (الفريدة):

فائقة ألفية ابن مالك لكونها واضحة المسالك<sup>(٤)</sup>

يقول السيوطي في شرحه لهذا البيت: (وهذه الألفية لخصت فيها جميع ما في ألفية ابن مالك في ستمائة بيت، وزدتها أربعمائة بيت، فيها من القواعد والفوائد والزوائد ما لا يستغني طالب النحو عنه، فبذلك فاقت ألفية ابن مالك. وفاققتها أيضاً بالتنبيه على قيود أهمل ابن مالك ذكرها، وبكونها أوضح عبارة من

(١) انظر نظوم المنوعات من الصرف في: السيوطي، الاشباه والنظائر، ٢١/٢ - ٢٠،

و: ابن معصوم، الحقائق الخفية، ١٧٩ - ١٨٠

(٢) ممن شهر بغير النحو ونظم فيه (الحريزي) أديب، وحازم القرطاجني (بلاغي).

(٣) ابن مالك، الألفية، ١

(٤) السيوطي، الفرائد الجديدة، ١١/١

عبارة الفَيْتَةِ، فهذه ثلاثة أمورٍ فاقَّتْها بها، والتنبيهُ على ذلك في النظمِ أحسنُ من السكوتِ عتَّةً، وقد قيلَ في قولِ ابنِ مالكٍ: (فانقَّةُ ألفيةِ ابنِ معطٍ) إنها دَعْوَى بلا دليلٍ<sup>(١)</sup>.

(وبعدَ السيوطيِّ يأتي الإمامُ الأجهوريُّ المالكيُّ ليؤلفَ ألفيةً أُخرى يقولُ عنها:  
"فانقَّةُ ألفيةِ السيوطيِّ")<sup>(٢)</sup>.

أما الآثاري (ت ٨٢٨هـ) فكانَ متواضعاً، إذ لم ينسبْ لألفيتهِ التفوقَ على سابقيه، يقولُ في وصفِ ألفيتهِ:

قائمةٌ بأوضحِ المسالكِ عَنِ ابْنِ مَعْطٍ وَعَنِ ابْنِ مَالِكٍ<sup>(٣)</sup>

وصفَ ألفيتهِ بكونِها أوضحُ المسالكِ وأنه أخذَ من ابنِ معطٍ وابنِ مالكٍ مع أنه خالفَ ابنَ مالكٍ كثيراً<sup>(٤)</sup>.

وليسَ أمرُ التنافسِ مقصوداً على المتأخرين، فهذا اليشكريُّ (ت ٣٧٠هـ) يصفُ أرجوزتهُ في مقدمتها النثريةِ بقوله: (إني اعتمدتُ تأليفَ هذه الأرجوزةِ لما وجدتُ كثيراً ممن سبقني إلى مثلها قصرَ عن مقصدي فيها بتطويلِ بعيدِ المعنى، واختصارِ نزرِ المَجْتَنِي، واخترتُ أواسطَ الأمرينِ بينَ الإيجازِ والإطالة)<sup>(٥)</sup>.

٥- المنظوماتُ النحويةُ تقربُ حفظَ النحوِ على المُبتدئينِ والدارسينِ، وهي بهذا تحقِّقُ

(١) السابق ، ٢٤/١

(٢) العمري ، شرح ملحة الاعراب ، تحقيق أحمد محمد فاس ، ص ٥

(٣) الآثاري ، ألفية الآثاري ، ٢٤

(٤) الآثاري ، مقدمة تحقيق الألفية ، ٢٢

(٥) أبو حيان الأندلسي ، ٦٢٠

واحدًا من الأهداف التي وُجدت لأجلها<sup>(١)</sup> فيحفظ المبتدئ القاعدةَ نظامًا، لما في  
النظم من ميزة تقريب الحفظ بسبب الوزن والقافية، ثم يفهمها بأمثلتها الموضحة  
والمفسرة.

## ثانياً: الآثار السلبية

١- يرى غيرُ باحثٍ أنَّ المنظوماتِ النحويةَ أثقلت «كاهل» النحو العربي بالصعوباتِ  
والتعقيدات<sup>(٢)</sup>، ويَرى أنها أخلت بالتحصيل وأدت إلى فسادِ التعليم/كونها  
تلقي الغاياتِ على المبتدئين من غيرِ أن يكونَ لديهم استعدادٌ لقبولِ ذلك<sup>(٣)</sup>.

ومنهم مَنْ رأى أنَّ لها أضراراً تربويةً وتعليميةً<sup>(٤)</sup>.

وبعضهم رأى أنها ابتعدت بالنحو عن غايته وحقيقته<sup>(٥)</sup>.

وسبقت مناقشة آرائهم في عوامل ظهور النظم النحوي<sup>(٦)</sup>.

٢- النظمُ النحويُّ يُخضعُ النحوَ إلى قيودٍ جديدةٍ تفرضُ على المصنّف فيه -نظاماً-  
شأنه في ذلك شأنُ النظمِ العليّ عامّة، فيخضعُ الناظمُ النحويُّ إلى الأوزانِ

(١) انظر عوامل ظهور النظم النحوي في هذا العمل ص ٢١

(٢) انظر: الحريري، مقدمة تحقيق شرح ملحّة الاعراب، ٣ - ٤

(٣) هذا رأى ابن خلدون، انظر المقدمة (له) ص ٥٢٢ - ٥٢٣

(٤) رأى محمد علي حمزة سعيد في كتابه (ابن الناظم النحوي) ص ٢٢

(٥) رأى زهير راهد وهلال ناجي في مقدمة تحقيق ألفية الأثرى ص ١٨

(٦) في صفحة ٢١ وما بعدها من هذا العمل.

العروضية وإجراء تعبيراته عليها، كما يخضع إلى القافية التي تقف حائلاً دون أن يقول الناظم ما يشاء كما في التأليف النثري.

فالعروض يجعل الناظم يطوع عباراته لتوافق الوزن، ويشمل هذا التطويح: (١)

أ- القواعد النحوية.

ب- الأمثلة.

ج- الشواهد.

د- اللغات.

هـ- الخلاف النحوي.

و- المصطلح النحوي.

ز- الأحكام النحوية.

وكما يفعل الوزن فعله في الأمور السابقة، تلعب القافية دوراً مهماً في التأثير في مقدرة الناظم على أداء الأمور السابقة خير أداء، ويتبين ذلك في الفصول التالية.

٣- العروض والقافية علمان يتفرع كل منهما عن علوم اللغة، ومعلوم أن لكل علم فروعاً وجزئياته، وله كذلك مصطلحاته، وليس مطلوباً من الناظم النحوي الإحاطة بالفروع والجزئيات، والمصطلحات في هذين العلمين، ولكن يلزمه معرفة ما ينفعه في تنظيمه، ويجنبه الوقوع في الأخطاء والعيوب.

(١) تجد آثار الوزن في الأمور المذكورة تالياً في الفصول الثلاثة التالية من هذا البحث.

وثمره هذه المقدمة ما تبين واتضح مما وقع فيه الناظمون من أخطاءٍ وعيوبٍ في  
نظمهم النحوي<sup>(١)</sup>، وكانوا في غنى عن الوقوع فيها في التأليف النثري.

٤- بما أن الوزن والقافية يفرضان على الناظم تطويع عباراته وأدائه بما يتناسب  
والشكل الخارجي، يجد الباحث في المنظومات كثيراً من العبارات المستغلقة  
- التي أدى إليها النظم - تحتاج إلى شرح، وهذا يعني عدم استقلال النظم

النحوي عن التأليف النثري الموضح والمفسر له.

٥- مع ما للنظم النحوي من فائدة في تسهيل النحو وتقريب حفظه على المبتدئين  
كان للمنظومات النحوية أثر سلبي في كونه يؤدي إلى جمود القرائح والحجر  
على العقول والأفهام، وهذا بالتالي يقلل من الإبداع ويفلق باب الاجتهاد.

أقول هذا ويجول بخاطري ما كان عليه العلماء - عامةً - في العصور المتأخرة  
من العهد الإسلامي الزاهر، إذ شهرت بالشروح والتعليقات والحواشي وغيرها،  
واستمر العلماء في تلك العصور عالة على سابقينهم، فقل الإبداع والتأليف  
المبتكر، وجل ما عندهم إما شرح لكتاب سابق أو اختصار له، أو جمع آراء  
وخلافات، وما أشبه ذلك.

لست أزعم بهذا القول أن هذا كله كان أثراً للنظم النحوي أو النظم العلمي، بل  
إن النظم النحوي وما انبنى عليه أو تفرع عنه كان واحداً من عوامل كثيرة أدت  
إلى ما أدت إليه من جمود وقلّة في الإبداع.

(١) انظر الفصل الثاني العروض والقافية ص ١٠٥ من هذا البحث.

الفصل الثاني  
العروض والقافية  
وأثر كل منهما  
في عرض المادة النحوية



## الفصل الثاني

### القسم الأول

#### العروض واثاره في عرض المادة النحوية

تمهيد:

لا بدّ لكلّ دارسٍ للمنظوماتِ النحويةِ عروضياً من الإلمامِ ولو قليلاً بالخارطةِ العروضيّةِ للمنظوماتِ النحويةِ، ولكنّ ذلك ليس بالمتيسّرِ ولا حتى بالممكنِ، وذلك للأسبابِ التالية :

١- إن الكثيرَ من المنظوماتِ النحويةِ لم تصل إلينا ألبتّةً، ولا بيتاً واحداً منها، ولم يصل إلينا منها وزنها وقافيتها ولو إخباراً، وإنما كان حال كثيرٍ من المنظوماتِ أنّ تنامى إلينا خبرها فقط.

٢- إنّ كثيراً من المنظوماتِ التي وصلت إلينا ما تزال مخطوطةً، والمخطوطاتُ -أوجلتها- كنوزٌ يفتن أصحابها بها، وليس متيسّراً لأيّ باحثٍ العودة إلى المخطوطِ الذي يشاء متى شاء وكيفما شاء.

٣- إن المفهرسينَ للمخطوطاتِ في مكتباتِ العالمِ ومتاحفه رّبما لا يُعنى بعضُ منهم بإيرادِ التفصيلاتِ المطلوبةِ عن كلّ مخطوطٍ، مع أنّ كثيراً منهم لم يألُ جهداً في ذلك، فنتجَ عن ذلك أنّ جزءاً -ليس يسيراً- من المخطوطاتِ الموجودةِ لا يسهلُ على كثيرٍ من الباحثين الوصولُ إلى وصفها بالتفصيلاتِ الكاملة.

٤- إنّ الرواياتِ المتعلقةً بالمنظوماتِ النحويةِ الواردةً في المصادرِ اللغويةِ والتاريخيةِ

روايات مبتورة، فيجد الباحث مؤلف الكتاب يورد بيتاً أو اثنين أو أكثر من ذلك مستشهداً على مسألة ما، فلا يدري الباحث أهذه الأبيات وحدها للناظم، أم أنّ المؤلف أخذها من منظومة للناظم، هذا في حال ذكر المؤلف اسم الناظم أو ذكره ما يمكن تمييزه به.

٥- بالرجوع إلى الملاحق المثبتة في آخر هذا البحث يجد الباحث أنّه من المتعذر وضع خارطة عروضية للمنظومات النحوية مكتملة في حال وجود هذه المنظومات مكتملة. وذلك للقدر الهائل المذكور منها والمتمثل قسم كبير منها في الملاحق -أي ما أمكن حصره والوصول إلى خبر عنه-، وهذا القدر من المنظومات التي تقارب الأربعمائة منظومة ينبيء عن الجهد الهائل الواجب بذله لدرس هذه المنظومات عروضياً أو وضع خارطة عروضية لها، ويحتاج إلى وقت طويل أيضاً مع مزيد من الإمكانيات التي تيسر العمل وتسرع في إنجازه. كل هذه الأسباب تحول دون إمكانية إجراء دراسة عروضية شاملة وواقية للمنظومات النحوية جميعها.

ولكن، بما أنّ عدداً من المنظومات وصل إلينا، وعدداً آخر وصل إلينا خبر عنه أو جزء منه، فإننا سنجري هذه الدراسة المقصودة على هذا القدر القليل الذي تيسر لنا، من حيث الوزن والقافية.

١- عدد المنظومات الذي وصل إلينا خبر عنه حوالي (٤٠٠) منظومة.

٢- عدد المنظومات التي ذكر بحرهما وقافيتها (١٣٨) منظومة، أي يزيد على

الثلث.

أما عن توزيع هذا العدد على البحور فكان كما يلي على الترتيب التنازلي :

البحر	عدد المنظومات	نسبة استعماله
١- الرجز (بفروعه)	٩٠	٦٦٪ تقريبا
٢- الطويل	٢١	١٥٪ تقريبا
٣- البسيط	١٧	١٢٪ تقريبا
٤- الكامل	٥	٤٪ تقريبا
٥- الوافر	٢	٢٪ تقريبا
٦- الرمل	١	١٪ تقريبا
٧- الخفيف	١	١٪ تقريبا
٨- السريع	١ بالاشتراك مع الرجز <sup>(١)</sup>	١٪ تقريبا

### منظومات بحر الرجز:

هذه المنظومات التي بلغت نحو التسعين، كانت على بحر الرجز، مع أن واحدة منها جاءت على بحرَيْن، الأول الرجز، والثاني السريع، وهي ألفية ابن معط (ت ٦٢٨هـ) وكلُّ هذه المنظومات الرجزية جاءت على المزدوج أي أن كل بيت له قافية مستقلة، وواحدة منها فقط جاءت على قافية واحدة، وهي قافية الحاء،

(١) في ألفية ابن معط

وهي منظومة «مدح مَنْ فاه ب (ما أعظم الله)»، وقد يكون السبب واضحاً في ذلك، إذ إن هذه المنظومة جاءت جواباً لسؤال منظوم على قافية الحاء، فاقتضى الأمر المجيب أن يجعل جوابه موافقاً للسؤال وزناً وقافية، وكذلك تقرّبط الإمام السبكي لهذا الجواب جاء نظماً على بحر الرجز وعلى قافية الحاء - أيضاً - والسبب في ذلك أن التقريظ يتبع المقرّظ من حيث الوزن والقافية.

وهذا القول منطبق على الرجز كما انطبق على غيره، فهناك عدد من المنظومات جاءت جواباً لسؤال، ويأتي الجواب موافقاً للسؤال في الوزن والقافية، فالسؤال الذي وجهه أحد الفضلاء - مثلاً - إلى تاج الدين بن مكتوم ومطلعه: (طويل).

أَيَا تَاجِ دِينِ اللَّهِ وَالْأَوْحَدِ الَّذِي      تَسْنَمُ مَجْدًا قَدْرُهُ ذِرْوَةُ الْعُلَا

تُعَدُّ لِي نَظْمًا مَوَاضِعَ حَذَفِ مَا      يَعُودُ عَلَى الْمَوْصُولِ نَظْمًا مُسَهَّلًا

جاء على بحر الطويل وقافيته اللام المفتوحة المطلقة، ومطلع الجواب: (طويل)

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْمَجَلِّي قَرِيضُهُ      إِذَا رَاحَ شِعْرُ النَّاسِ فِي الْبَيْدِ فَسَكَلَا

إلا أنه ليس هناك التزام بعدد الأبيات، فالسؤال مع المقدمة وقع في ستة أبيات أما الجواب مع المقدمة فقد وقع في ثمانية وعشرين بيتاً<sup>(١)</sup>.

(١) انظر السؤال والجواب في: السيوطي، الاشباه والنظائر، ٢/ ٤١-٤٢.

## مميزات بحر الرجز:

إنّ هذه النسبة العالية من المنظوم على بحر الرجز لم تكن هكذا لولا ما امتاز به بحر الرجز من أنه حركات وسكونات متتالية، يقول جمال نجم العبيدي: (يتألف وزن الرجز من حركاتٍ رتيبةٍ متعاقبةٍ يتخللها سكونٌ، وهذه ميزة جعلت بحر الرجز خفيفاً رشيقيّاً يسهل النظم فيه. كما جعلته سليماً في الإنشاد يتدفق على اللسان كما يتدفق الماء نحو المنحدر)<sup>(١)</sup>.

(١) جمال نجم العبيدي، الرجز نشأته، أشهر شعرائه، مطبعة الأديب البغدادية، ص ٥٥.

وبحر الرجز امتاز عن غيره من البحور بكثرة أشكاله وكثرة الزحافات الداخلة على تفعيلته، فمن حيث الأشكال:

١- يأتي تاماً ست تفعيلات (مستعلن) ثلاث منها في كل شطر.

٢- المجزوء أربع تفعيلات، ثنتان في كل شطر<sup>(١)</sup>.

٣- المشطور: نصف بيت أي ثلاث تفعيلات تشكل بيتاً واحداً<sup>(٢)</sup>.

٤- المنهوك: هو الذي حذف منه ثلثا تفعيلاته فيصبح تفعيلتين فقط<sup>(٣)</sup>.

٥- المقطع: المكوّن من تفعيلة واحدة.

يقول جمال نجم العبيدي: « ومن هنا رأينا أن جوازات بحر الرجز كثيرة، نظراً لما فيه من عذوبة ورقّة وبساطة، فجاءت أوزانه متعددة ومتفقة مع كل الأحوال والأغراض، فهو بحر طويل لمن أراد سلاماً كاملاً، وهو مجزوء لمن أراد استعماله في غرض ملائم للجزء، وهو مشطور متوسط الطول لمن أراد كذلك، وأخيراً يمكن استعماله كأقصر بحر من بحور الشعر وذلك حينما يستعمل منهوكاً، كما أصبح نوع منه يتألف من تفعيلة واحدة، وهو الذي سمّوه (المقطع) والذي نظم فيه يحيى بن علي المنجم وسلّم الخاسر<sup>(٤)</sup> .

ويقول: «والذي لوحظ بعد هذا أن بحر الرجز أصبح يحتوي على أشكال عديدة

(١) محمد سعيد اسبر ومحمد ابراهيم علي، الخليل معجم في علم العروض، ١١٥

(٢) السابق، ١٢٨

(٣) السابق، ١٢٨

(٤) جمال العبيدي، ٥٥ - ٥٦

وصورٍ متنوعةٍ، بالنسبةٍ لطولِ البيتِ وقِصرِهِ، وبهذا أصبحَ يلائمُ كلَّ الأهواءِ  
ويناسبُ جميعَ الأغراضِ تقريباً<sup>(١)</sup>.

هذا مِنْ حيثِ الأشكالِ، أمّا من حيثِ الزحافاتِ:

١- التفعيلةُ الأصليةُ التامةُ: مُسْتَفْعِلُنْ = --ب-

٢- يدخلها الزحافُ المفردُ: الحَبْنُ<sup>(٢)</sup> وهو حذفُ الثاني الساكنِ

مُسْتَفْعِلُنْ الحَبْنُ مُتَفْعِلُنْ

--ب- ب-ب-

٣- يدخلها الزحافُ المفردُ: الطَيُّ<sup>(٢)</sup> وهو حذفُ الرابعِ الساكنِ

مُسْتَفْعِلُنْ الطَيُّ مُسْتَعِلُنْ

--ب- ب-ب-

٤- يدخلها الزحافُ المركَّبُ: الخَبْلُ = الحَبْنُ + الطيِّ

مُسْتَفْعِلُنْ الخَبْلُ مُتَعِلُنْ

--ب- ب-ب-ب-

٥- يدخلها علةُ الزيادةِ: التذييلُ<sup>(٢)</sup>، وهي زيادةُ حرفٍ ساكنٍ معَ ما أخِرُهُ/مجموعٍ  
وتَرَ

عِلُنْ تصبِحُ عِلانٌ.

(١) السابق ، ٥٦

(٢) محمد سعيد أسبر ، ٥٨ - ٥٩

مستفعلن      التذييل      مستفعلان  
-- ب --      ←      -- ب - ه

وهي تقع في الرجز على قلة.

٦- ويدخلها علة النقص: القَطْع<sup>(١)</sup>، وهي حذف ساكن الوتر المجموع من آخر

التفعيلة وإسكان ما قبله. عِلْنُ تصبِحُ عِلْ

مستفعلن      القَطْعُ      مستفعل = مفعولن

-----  
-- ب --

٧- ويدخلها علة النقص: الحَذْذ<sup>(٢)</sup> وهي حذف الوتر المجموع .

آخر التفعيلة      مستفعلن      الحَذْذُ      مُسْتَفَّ

-----  
-- ب --

وهذه تقع في الرجز على قلة.

إذن فهذه سبع صور (مستفعلن)، وزخافات وعلل كثيرة تعتورها مما جعل الرجز على كل لسان، ومما جعل الرجز يقع على ألسنة الناس دون قصد إليه، كقول البائع: (مَنْ يشتري باذنجان؟).

وامتاز بحر الرجز بميزة لا تكاد توجد في غيره من البحور، ألا وهي ميزة التصريع، حيث يتفق شطرا البيت في القافية، يقول جمال العبيدي: «على أن الذي حَبَّبَ الرجز إلى نفوس الناس وجعلهم يستعملونه بهذه الكثرة هو تصريع شطري الرجز إضافة إلى خفة البحر وعذوبته»<sup>(٣)</sup>، فالتصريع إذن جعل القافية موجودة في كل أشطر القصيدة، وهذا ما يجعل موسيقى الرجز ونغمته أشد عذوبة وأكثر تأثيراً لأن النغمة الرتيبة أشد وقعاً في السمع من النغمة

(١) محمد سعيد اسبر، ٧٥

(٢) السابق، ٧٦

(٣) جمال العبيدي، ٥٧



التي لا يتحكّم فيها حسنُ الترتيبِ، والنفسُ أعظمُ تقبُّلاً لتلكِ النعمةِ. وقد  
تمثّلتِ النعمةُ المنظَّمةُ الرتيبةُ في الرجزِ من ناحيتين: الوزنِ والقافية، فالوزنُ  
تتعاقِبُ فيه الحركةُ مع السكونِ، والقافيةُ تأتي مع نهايةِ كلِّ شطرٍ، وهذا ما  
يجعلُ من الأرجوزةِ أنغاماً كثيرةً موحدةً قصيرةً يسهُلُ على السامعِ متابعتها،  
وتمكَّنُ المنشدُ من ضبطها»<sup>(١)</sup>.

إذن فالرجزُ بتعدُّدِ أشكالِهِ وكثرةِ زحافاتِهِ وتعدُّدِ قوافيهِ وامتيازهِ بالتصريحِ  
أصبحَ مطيَّبةً لكلِّ ممتطٍ، يستطيعُ كثيرٌ من الناسِ أن ينظِّمَ فيه، فضلاً عن  
اللغويينَ وعلماءِ اللغةِ والنحوِ الذين يتوافرُ لديهم قدرٌ هائلٌ من الثروةِ اللغويةِ  
والنحويةِ التي بها يستطيعونُ الإكثارَ من النظمِ والانضباطِ فيه، إضافةً إلى  
صَبِّ القواعدِ النحويةِ والصرفيةِ في قوالبِ نظميةٍ، يقولُ الدكتورُ عبدُ العزيزِ  
عتيق: ( لكثرةِ الزحافِ في الرجزِ استُعْمِلَ في نظمِ العلومِ كألْفِيَةِ ابنِ مالكٍ في  
النحوِ، والرحبيةِ في الميراثِ، والشاطبيةِ في القراءاتِ )<sup>(٢)</sup>.

والرجزُ بدخولِ التصريحِ في كلِّ بيتٍ من أبياتِهِ، وبالتالي تعدُّدِ القوافي ليوجدَ ما  
سمي في ما بعدُ بالمزدوجِ أصبحَ مرتعاً خصباً، ومضماراً للسبقِ واسعاً للغويينَ  
وبينهم، «ثم قامَ الرجزُ بمهمةِ تغييرِ قافيةِ الأراجيزِ واختلافِها بين كلِّ شطرينِ،  
حتى أصبحتِ الأرجوزةُ تحتوي على قوافٍ متعددةٍ لم يقدِّ شاعٌ هذا التغييرُ في

(١) السابق ، ٥٨

(٢) عبدالعزير عتيق ، علم العروض والقافية ، ٧٦

التعليميات التي حفظت لنا أكثر علوم العرب وفنونهم.  
والذي ساعد على إمكان هذا التغيير أمران: الأول يتمثل في بساطة وزن الرجز وخفته، والثاني يبرز في سهولة قافيته واختلافها بين كل شطرين، حتى سمي هذا النوع ب (المزدوج) ، لأن القافية ازدوجت فيه أي تساوت في كل زوج من الأشطر، وهذا يساعد كثيراً على نظم أي علم من العلوم ، لأن الناظم لا يجد صعوبة حين النظم في إيجاد كلمات متفقة في حرفها الأخير لتكون قافية، وإنما يحتاج إلى كلمتين متفتحتين فقط ، وهذا أمر بسيط لا يكلف مشقة ولا جهداً، حتى إننا نجد بعض المزدوجات - كالفية ابن مالك في النحو وغيرها - قد بلغت ألف بيت ولم تضق القافية ذرعاً بذلك<sup>(١)</sup> . يقول الدكتور عبدالعزيز عتيق في قافية الرجز: ( وبعضها [المنظومات] سار على قافية واحدة في آخر الأبيات، وبعضها جاء مزدوجاً، بمعنى أن كل بيت يشبه فيه العروض الضرب في القافية كالألفية)<sup>(٢)</sup> ، والناظر في منظومات الرجز - كما في الملاحق - يرى أنه لم يستعمل من أشكال الرجز في النظم النحوي سوى التام، أو المشطور كما سماه بعضهم . (وبسبب هذا التصريح رأى قوم أن يسموا شطر الرجز المصراع بيتاً ، واعتمدوا في ذلك على علم العروض ، حيث إن هذا النوع يطلق عليه في علم العروض ( المشطور ) ، وقد عد هذا الشطر بيتاً قائماً بذاته<sup>(٣)</sup> .

(١) جمال العبيدي ، ٥٩

(٢) عتيق ، علم العروض والقافية ، ٧٦

(٣) جمال العبيدي ، ٥٧

يقول السيوطي : ( اختلف أهل العروض في أحد مصراعي الرجز هل هو بيت كامل أو شطر بيت على قولين ، فعلى الثاني هذه<sup>(١)</sup> وألفية ابن مالك عبارة عن ألف بيت ، وعلى الأول عبارة عن ألفين ، وألفية صادقة بالقولين معا ، خلافا لمن اعترض على ابن مالك حيث قال (ألفية) قائلا: إنما يصح ذلك على القول الثاني دون الأول، وهذا الاعتراض أوجب عدم استحضار قاعدة النسب، فإن من قواعد أن النسبة إلى المفرد والمثنى والمجموع تكون بصيغة واحدة<sup>(٢)</sup> )  
إذن فالمستعمل عند الناظرين في النحو من بحر الرجز هو التام سواء عد بيتا واحدا ، أو عد كل شطر بيتا قائما بذاته.  
أما عن الزحافات المستعملة والعلة الواردة فيها فهي جلها إن لم تكن كلها ، ولناخذ أمثلة عشوائية من عدد من المنظومات :

١- من ملحّة الإعراب للحريري ، باب الجوازم ، الأبيات ( ٣٤٠ - ٣٤٩ )<sup>(٣)</sup>

واللّام في الأمرِ ولا في النهي

--ب- / -ب- / ---

ومن يزد فيها يقلّ الما

ويجزمُ الفعلُ بلم في النفي

ب-ب- / -ب- / ---

ومن حروف الجزم أيضا لما

(١) أي : منظومته الفريدة

(٢) السيوطي ، الفرائد الجديدة ، ٢٢ - ٢٤

(٣) الحريري ، ملحّة الإعراب بضم علي حين عبدالحميد ، ص ٦٦ - ٦٨

ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 ولا تُخَاصِمُ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلُ  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 وَمَنْ يُوَدُّ فَلْيُواصِلْ مَنْ يُوَدُّ  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 فليسَ غيرُ الكسْرِ والسَّلَامِ  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 ومثلهُ "لم يكن السدينا"  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 أو آخرَ الفعلِ فسَمَهُ الحذفُ  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 تَقَلُّ بِلا عِلْمٍ وَلَا تَحْسُ الطُّلا  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 وَلَا تَبِعْ إِلَّا بِنَقْدٍ فِي مَنِي  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 فَأَقْنَعْ بِإِجْازِي وَقُلْ لِي: حَشْبِي  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-

ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 تَقُولُ لَمْ تَسْعُ كَلَامَ مَنْ عَدَلُ  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 وَخَالِدٌ لَمَّا يَمِرُّ مَعَ مَنْ وَرَدُ  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 وَإِنْ تَلَاهُ أَلِفٌ وَوَلَامُ  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 تَقُولُ: لَا تَنْتَهِرِ الْمَسْكِينَا  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 وَإِنْ تَرَى الْمَعْتَلَ فِيهَا رِدْفَا  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 تَقُولُ: لَا تَأْسَ وَلَا تُؤْذَ وَلَا  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 وَأَنْتَ يَا زَيْدُ فَلَا تَزِدْ عَنَّا  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-  
 وَالْجَزْمُ فِي الْخَمْسَةِ مِثْلُ النَّصْبِ  
 ب-ب- / -ب- / -ب- / -ب-

فنجده في هذه الأبيات العشرة «مستفعلن» وصورها بالأعداد والنسب التالية:

١-	مُسْتَفْعِلُنْ	--ب-	١٩ مرة	٣٢٪ تقريباً
٢-	مُتَفَعِلُنْ	ب-ب-	١٨ مرة	٣٠٪ تقريباً
٣-	مُسْتَعِلُنْ	ب-ب-	١٠ مرات	١٧٪ تقريباً
٤-	مُسْتَفْعِلْ	---	٩ مرات	١٥٪ تقريباً
٥-	مُتَفَعِلْ	ب--	٣ مرات	٥٪ تقريباً
٦-	مُتَعِلُنْ	ب ب ب-	مرة واحدة	١٪ تقريباً

### المجموع ٦٠ تفعيلة

مع احتمال أن تكون مُتَعِلُنْ ب ب ب- في موضعها مُسْتَعِلُنْ ب-ب-

٢- من الفية ابن مالك، إعمال اسم الفاعل، ص ٣٥.

كفعلِهِ اسْمُ فاعِلٍ في العَمَلِ	إِنْ كَانَ عَن مَضِيَّهِ بِمَعْرِزِلِ
ب-ب- / ب-ب- / ب-ب-	--ب- / ب-ب- / ب-ب-
وَوَلِيَّ اسْتَفْهَامًا أَوْ حَرْفَ نِدَا	أَوْ نَفِيًّا أَوْ جَاصِفَةً أَوْ مُسْنَدًا
ب ب ب- / ب- / ب-ب-	--ب- / ب-ب- / ب-ب-
وَقَدْ يَكُونُ نَعْتًا مَحذُوفٍ عُرْفُ	فَيَسْتَحِقُّ العَمَلَ الَّذِي وَصِفُ
ب-ب- / ب-ب- / ب-ب-	ب-ب- / ب-ب- / ب-ب-
وَإِنْ يَكُنْ صِلَةً أَلْ ففِي المَضِيِّ	وغيره إعماله قد ارتضي

ب-ب-ب / ب-ب-ب / ب-ب-ب	ب-ب-ب / ب-ب-ب / ب-ب-ب
فِي كَثْرَةِ عَنْ فَاعِلٍ بَدِيلُ	فِعَالٌ أَوْ مَفْعَالٌ أَوْ فَعُولٌ
--ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب	--ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب
وَفِي فَعِيلٍ قَلَّ ذَا وَفَعِلٌ	فَيَسْتَحِقُّ مَا لَهُ مِنْ عَمَلٍ
ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب	ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب
فِي الْحُكْمِ وَالشَّرْوَطِ حَيْثَمَا عَمِلٌ	وَمَا سِوَى الْمَفْرُودِ مِثْلَهُ جُعِلَ
--ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب	ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب
وَهُوَ لِنَصَبٍ مَا سِوَاهُ مُقْتَضِي	وَأَنْصَبُ بِذِي الْإِعْمَالِ تِلْوَا وَآخِضِ
ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب	--ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب-ب
كَمَبْتَغِي جَاهٍ وَمَالاً مَنْ نَهَضُ	وَاجْرُزٌ أَوْ أَنْصَبٌ تَابِعَ الَّذِي أَنْخَفِضُ
ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب	--ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب
يُعْطَى اسْمٌ مَفْعُولٌ بِلا تَفَاضِلِ	وَكُلُّ مَا قَرَّرَ لِاسْمٍ فَاعِلٍ
--ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب	ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب / ب-ب-ب-ب

فَنَجِدُ فِي أَبِياتِ ابْنِ مَالِكِ الْعَشْرَةَ الْمُتتَالِيَةَ صَوْرَ «مُسْتَفْعَلِن» بِالْعَدَدِ وَالنَّسْبَةِ

كَمَا يَلِي:

- ١- ب-ب-ب مُتَّفَعِلِنُ ٢٦ مرة ٢٦ / ٦٠ ٤٣٪
- ٢- --ب-ب-ب مُسْتَفْعَلِنُ ٢١ مرة ٢١ / ٦٠ ٣٥٪
- ٣- ب-ب-ب مُسْتَعِلِنُ ٨ مرات ٨ / ٦٠ ١٣٪

- ٤- ب ب ب - مُتَعِلَّن ٣ مرات ٦٠ / ٣ ٥ / ٥
- ٥- ب -- مَتَّفِعِلُّ ٢ مرتان ٦٠ / ٢ ٣ / ٣
- ٣- من الفريدة للسيوطي، باب المبتدأ، ٢٠٥-٢٠٢ / ١
- |                             |                            |
|-----------------------------|----------------------------|
| اسم عن العامل لفظاً جرداً   | لا زائداً أخبر عنه المبتدأ |
| --ب- / -ب- / -ب- --ب-       | --ب- / -ب- / -ب- --ب-      |
| ومنه وصف رافع لما كفى       | يسبقه مستفهم أو ما نفى     |
| ب-ب- / -ب- / -ب- --ب-       | ب-ب- / -ب- / -ب- --ب-      |
| لكونه قام مقام الفعل لا     | يخبر له ومفرداً قد جعلاً   |
| ب-ب- / -ب- / -ب- --ب-       | --ب- / -ب- / -ب- --ب-      |
| فإن يطابق فلما بعد خبر      | في مفرد ونحوه الأمران قر   |
| ب-ب- / -ب- / -ب- --ب-       | --ب- / -ب- / -ب- --ب-      |
| والابتدا رافع مبتدأ يرى     | جعلك الاسم أولاً لتخبراً   |
| ب-ب- / -ب- / -ب- --ب-       | ب-ب- / -ب- / -ب- --ب-      |
| بالمبتدا ارفع خبراً ومن يقل | ترافعا صوب ومفرداً يحل     |
| --ب- / -ب- / -ب- --ب-       | ب-ب- / -ب- / -ب- --ب-      |
| فجامد خال وينوي المضمرة     | في ذي اشتقاق ووجوباً يظهر  |
| ب-ب- / -ب- / -ب- --ب-       | --ب- / -ب- / -ب- --ب-      |
| حيث جرى على الذي ليس له     | ورافع الظاهر لا يحمله      |





أما في الضرب فهي (متفعل = فعولن).

ونجد عنده في قوله:

ونصبوه وهو مفعول به      لامع حرف عامل أو مشبه<sup>(١)</sup>

ب ب ب - ب / ب - ب / ب - ب - / ب - ب -

نجد      التفعيلة الأولى من البيت (متعلن) - على قلبها عنده.

### منظومات البحر الطويلة:

البحر الطويل يختلف عن الرجز في أمور، وما يقال في الطويل يقال في غيره:  
١- لا يجوز في الطويل أن يأتي مزدوجاً كالرجز، بل إن أبياته تشترك في قافية واحدة، وقد يأتي مصرعاً وذلك في البيت الأول (مطلع القصيدة) على الأغلب، مع أنه لا مانع من تضمن القصيدة أبياتاً مصرعةً في ثناياها. وسبب التصريح كما يذكر ابن رشيق مبادرة الشاعر القافية ليعلم أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منشور<sup>(٢)</sup>.

فمنظومة العطار (ت ١٢٥٠هـ) التي تبلغ أبياتها (٥٧) بيتاً ليس فيها بيت مصرع إلا مطلعها حيث يقول:

[طويل]

(١) السيوطي، الغرائد الجديدة، ٤٠٧/١

(٢) ابن رشيق، العمدة، ١٧٤

بِحَمْدِكَ يَا مَوْلَايَ أَبْدَأُ فِي أَمْرِي

وَمِنْكَ أَرْوُمُ الْعَوْنِ فِي كُلِّ ذِي عُسْرٍ<sup>(١)</sup>

وفي الأبيات الأربعة التي رواها لنا السيوطي في الأشباه والنظائر<sup>(٢)</sup> لأبي القاسم الشاطبي صاحب (الشاطبية في القراءات)، التي جمع فيها موانع الصرف، ورد البيت الأول منها مصرعاً، وهو:

[ طويل ]

دَعُوا صَرَفَ جَمْعٍ لَيْسَ بِالْفَرْدِ أَشْكَلا

وَفَعْلانَ فَعَلِي ثَم ذِي الوَصْفِ أَفَعلا

والقصيدة التي تضمنت جواب ابن أم مكتوم لسائله، وهي ثمانية وعشرون

[ طويل ]

بيتاً، ليس فيها أي بيت مصرع، ومطلعها:

أَلَا أَيُّهَا المولى المجلِّي قَرِيضُهُ إِذَا راح شَعْرُ الناسِ فِي البِيدِ فَسُكْلا<sup>(٣)</sup>

وكذلك قصيدته في الابتداء بالانكسار وهي أربعة عشر بيتاً، ليس فيها أي بيت

[ طويل ]

مصرع، وأولها:

إِذَا ما جَعَلْتَ الإِسْمَ مَبْتَدَأً فَقُلْ بِتَعْرِيفِهِ إِلاَّ مواضِعَ نَكْرا<sup>(٤)</sup>

وأبيات سراج الدين الدمهورى الستة في الجمل التي لها محلٌّ من الإعراب

والتي ليس لها محلٌّ، لم يأت أيٌّ منها مصرعاً، وأولها:

[ طويل ]

(١) عبدالله الانباري، مجمع مهمات المتون، ٤٩٢

(٢) السيوطي، الأشباه والنظائر، ٤٢/٢ - ٤٣

(٣) السابق، ٤٢/٢

(٤) السابق، ٥٤/١

وَحَذَّ جُمْلًا عَشْرًا وَسِتًّا فَانصَفَهَا      لها موضع الإعرابِ جاءَ مُبَيَّنًا<sup>(١)</sup>  
وأبياتُ الحريري الثلاثة في التمييزِ بين ذواتِ الواوِ والياءِ في الأفعالِ كُلِّها غيرُ  
مصرَّعٍ، وأولُها: [طوبى لـ]

إذا الفعلُ يوماً غمَّ عنكَ هِجَاؤُهُ      فألحقْ به تاءَ الخطابِ ولا تَقِفْ<sup>(٢)</sup>

### أسبابُ قلةِ التصريحِ في منظوماتِ البحرِ الطويلِ:

يقولُ ابنُ رشيِّقِ القيرواني: (وأكثرُ شعرِ ذي الرِّمَّةِ غيرُ مصرَّعِ الأوائلِ، وهو  
مذهبُ الكثيرِ من الفحولِ، وإنَّ لم يُعَدَّ فيهم لقلَّةُ تصرُّفِهِ، إلاَّ أَنَّهُم جعلوا  
التصرُّعَ في مهمَّاتِ القصائدِ فيما (كذا) يتأهَّبُونَ له من الشعرِ، فدلَّ ذلكَ على  
فَضْلِ التصرُّعِ).<sup>(٣)</sup>

إذنْ فالتصرُّعُ قليلٌ عندَ الفحولِ، ويَرِدُ أكثرَ ما يَرِدُ في مهمَّاتِ القصائدِ، ولعلَّ  
النظمَ العلميَّ يفتقرُ إلى أن يُعَدَّ من مهمَّاتِ القصائدِ، كونه خرجَ من بابِ الشعرِ  
الذي هو شعورٌ وعاطفةٌ وخيالٌ، إلى بابِ التأليفِ العلميِّ، ففقدَ عنصراً مهمَّاً  
من عناصرِ البناءِ الشعريِّ، الذي يكونُ فيه الفضلُ والسبقُ عظيمًا، ألا وهو  
التصرُّع.

والتصرُّعُ -أيضاً- قيدٌ جديدٌ يضافُ إلى الصعوباتِ التي تواجهُ الناظمَ، الذي

(١) السيوطي، الاشباه والنظائر، ٢١/١

(٢) الحريري، المقامات، المقامة السادسة والاربعون، الحلبية.

(٣) ابن رشيِّق، ١٢٦/١

يغلبُ عليه أنه نحويّ وليس أدبيّاً، كما أنّ البحرَ الطويلَ طويلٌ في تفعيلاته، قليلٌ في جوازاته -نسبياً-، فالتصرُّعُ عقبةٌ جديدةٌ تُضَافُ إلى صعوباتِ البحرِ الطويلِ، وبما أنه ليسَ بلازمٌ فإنَّ الناظمَ النحويَّ يحاولُ اجتنابَ الصعابِ والعقباتِ التي من الممكنِ أنْ تحدَّ من أدائه وقدرتهِ على التعبيرِ.

سببٌ ثالثٌ يضافُ إلى ما سبق؛ قلةُ الاكتراثِ بالشعرِ وأهميتهِ، يقولُ ابنُ رشيقي: (ومن الناسِ من لم يصرِّعْ أولَ شعره قلةً اكتراثٍ بالشعرِ، ثم يصرِّعُ بعدُ ذلك)<sup>(١)</sup>، هذا بالنسبةِ للشاعرِ، فما بالكُ بالناظمِ العلميِّ الذي تُهمُّه المادَّةُ النحويةُ وعرضها بأيسرِ سبيلٍ؟

وسببٌ أخيرٌ -في ما أرى- لقلَّةِ التصرُّعِ في المقطعاتِ والمنظوماتِ ذواتِ البحرِ الطويلِ يعودُ إلى عدمِ وصولِ جميعِ المنظوماتِ إلينا كاملةً، وخاصَّةً منها ما وردَ في كتبِ اللغةِ والنحوِ، ولم يصلِ إلينا عن غيرِ هذا الطريقِ، فالكتابُ اللغويُّ أو النحويُّ يوردُ من المنظومةِ ما يستشهدُ به أو يحتاجُ إليه في موضوعه الذي يتحدَّثُ عنه، وأكثرُ ما يكونُ المستشهدُ به أو المحتاجُ إليه غيرَ مصرِّعٍ، لأنَّ التصرُّعَ أغلبُ ما يوجدُ في الأوائِلِ، وليستِ الأوائِلُ -عادةً- موضعَ استشهادٍ، بل موضعُ افتتاحٍ وبسلسلةٍ وحمدٍ وغيره.

## منظومة حازم القرطاجني والتصريع:

لوحظ أن منظومة حازم القرطاجني في النحو قد خالفت أخواتها ذوات القافية الواحدة من حيث التصريع، والمنظومة على البحر البسيط، وعدتها مائتان وسبعة عشر بيتاً، وهي ميمية مفتوحة مشبع فتحها ألفا (ها).

المنظومة وردت فيها ثمانية عشر بيتاً مصرعاً، وقد أسلفت أن التصريع قيد جديد يضاف إلى القيود التي يرزح تحتها الناظم، فما تفسير كثرة التصريع في منظومة حازم؟

يلاحظ على هذه المنظومة كثرة التكرار فيها، فهو يكرر كلمات بعينها، ويكرر جملاً بأكملها، فمن ذلك:

١- يقول في باب رافعات الأسماء: [البسيط]

ورافع الإسم فعل أو مشابهه وما غدا معه في الحكم مُستهما<sup>(١)</sup>

ويقول في باب ناصبات الأسماء:

وناصب الإسم فعل أو مشابهه فكن لمعرفة الأشباه ملتهما<sup>(٢)</sup>

٢- يقول في باب اللفظ المعرب والمبني:

فالإسم بالخفض مختص ويدخله رفع ونصب ومنه الجزم قد عدما

والفعل بالجزم مختص ويدخله رفع ونصب كما في الإسم قد رسما<sup>(٣)</sup>

(١) حازم القرطاجني ، ديوانه ، ١٢٦

(٢) السابق ، ١٢٥

يقول في البيت رقم ١٤٧ :

وبعضها رافعُ اسمٍ ناصبٍ خبراً

ويقول في البيت رقم ١٤٨ :

وبعضها ناصبُ اسمٍ رافعٍ خبراً

ويقول في البيت رقم ١٦٣ :

وكلُّ ما جعلوا من جملةٍ خبراً

ويقول في البيت رقم ١٦٤ :

فجملةُ الأبتداءِ استُعِيلَتْ خبراً

ويقول في البيت رقم ١٦٩ :

وإنَّ جَعَلْتَ اسمَ موصولٍ له خبراً

ويقول في البيت رقم ١٨٩ :

ولا تُعرَّفُ لما نكَّرْتَهُ خبراً

كمثلِ كانَ وما في بابِها ارتسماً<sup>(١)</sup>

كمثلِ إنَّ وما في شُعْبِها اقتحماً<sup>(٢)</sup>

فالمضمراتُ غَدَّتْ في رَبِّطِها عُصماً<sup>(٣)</sup>

تقولُ: زيدٌ أبوهُ كاسِبٌ خَدماً<sup>(٤)</sup>

لم تَلَفِ فيه لِحرفِ الفاءِ مُقتَحَماً<sup>(٥)</sup>

فالقولُ منهُ بعكسِ الوضعِ قد عُصِماً<sup>(٦)</sup>

فانظر كيف تكررت كلمة (خبراً) منصوباً في أعاريض الأبيات الستة السابقة

عدا عن الأبيات التي وردت كلمة (خبر) بالرفع في أعاريضها، ومثل ذلك

تكرار كلمة (إذا) في أعاريض أربعة أبيات أخرى:

(١) السابق ، ١٢٠

(٢) السابق ، ١٢١

(٣) السابق ، ١٢١

(٤) السابق ، ١٢٢

- ١٩٢ وَأَضْمِرِ الْمَبْتَدَأَ لِلِإِخْتِصَارِ إِذَا مَا شَتَّتْ وَاحْذِفِ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا عَلِمَا  
١٩٥ وَالْحَالُ عَنُّ خَيْرٍ مِمَّا تَنَوَّبُ إِذَا إِضْمَارًا إِذْ وَإِذَا مِنْ قَبْلِهَا لُزِمَا  
١٩٧ وَالْعُرْبُ قَدْ تَحْذِفُ الْأَخْبَارَ بَعْدَ إِذَا إِذَا عَنَّتْ فَجَاءَ الْأَمْرُ الَّذِي دَهَمَا  
١٩٨ وَرَبَّمَا نَضَبُوا بِالْحَالِ بَعْدَ إِذَا وَرَبَّمَا رَفَعُوا مِنْ بَعْدِهَا رَبَّمَا<sup>(١)</sup>

وهناك أيضاً تكراراً لأكثر من شطر بيتٍ وردَّ عنده في موضعين:

الأول: قوله في المسألة الزنبورية:

- ٢٠٤ وَغَاظَ عَمْرًا عَلِيٌّ فِي حُكُومَتِهِ يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِهِ حَكَمًا  
٢٠٥ كَفَيْضِ عَمْرٍو عَلِيًّا فِي حُكُومَتِهِ يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِهِ حَكَمًا

مع اختلاف المقصودين في كلٍّ من البيتين، فعمرٌو وعليٌّ في البيت الأولٍ منهُما هما عمرو بن عثمان سيبويه، وعليٌّ بن حمزة الكسائي، وعمرو وعليٌّ في البيت الثاني هما: عمرو بن العاص وعليٌّ بن أبي طالب يشير في ذلك إلى قصة التحكيم.

الثاني: قوله في المسألة نفسها:

- ٢٠٦ وَفَجَّعَ ابْنَ زِيَادٍ كُلَّ مُنْتَخَبٍ مِنْ أَهْلِهِ إِذْ غَدَا مِنْهُ يَفِيضُ ذَمًّا  
٢٠٧ كَفَجَعَةِ ابْنِ زِيَادٍ كُلَّ مُنْتَخَبٍ مِنْ أَهْلِهِ إِذْ غَدَا مِنْهُ يَفِيضُ ذَمًّا

فابن زيادٍ في الأولٍ منهُما هو الفراء، يحيى بن زيادٍ، وابن زيادٍ في البيت الثاني منهُما هو ابن زيادٍ بن أبيه الذي هو ابن مرجانة المرسلُ في قتلة الحسين

ابن عليّ - رضي الله عنهما -<sup>(١)</sup>

إذن فالتكرار سمة ظاهرة وغالباً ما تظهر في هذه المنظومة، وكثرة التصريح  
تصبّ في قناة التكرار، يتأكد ذلك بالنظر في الأعراب المصرعة أبياتها،  
حيث يتجلى التكرار فيها واضحاً، يُبين ذلك في ما يلي:

الأبيات المصرعة بلغت ثمانية عشر بيتاً موزعة كما يلي:

١- ثمانية أبياتٍ منها كانت في أعرابها (ما) الموصولة.

٢- خمسة أبياتٍ منها كانت في أعرابها (ما) ضميراً للمثنى.

٣- أربعة أبياتٍ منها جاءت الميم في آخر أعرابها أصلية في الكلمة مفتوحة مشبعة.

٤- واحدة منها جاءت (ما) في آخر عروضها حرف نفي.

فيكون المجموع ثمانية عشر بيتاً.

فليس القصد من هذه التصريعات التصريح بعد ذاته الذي هو مظهر جمال في  
الشعر بقدر ما هو اضطراراً للتكرار كما تبدى واضحاً في أمثلة التكرار  
السابقة.

وهذا القول لا ينفي كون بعض هذه التصريعات كان مقصوداً لذاته، كتصريح

أول بيت في المنظومة مثلاً:

١ الحمد لله معلي قدر من علما وجاعل العقل في سبيل الهدى علماً<sup>(٢)</sup>

(١) ابن هشام ، معني الطبيب ، ١٢٤/١

(٢) حازم القرطاجني ، ١٢٢



ومثله أيضاً أول بيت في باب تقسيم الكلام:

٣٤ وكلُّ قولٍ إذا قَسَّمْتَهُ انْقَسَمَا      اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ ثالثٌ لهُمَا<sup>(١)</sup>

ومثله قوله في أول بيت من باب حد الكلام والنحو:

٣١ فاسْمَعْ إِلَى الْقَوْلِ فِي طُرُقِ الْكَلَامِ وَمَا      عِلْمُ اللِّسَانِ بِهِ قَدْ حُدَّ أَوْ رُسِمَا

٣٢ النَّحْوُ: عِلْمٌ بِأَحْكَامِ الْكَلَامِ وَمَا      مِنَ التَّغَايُرِ يَعْرِوُ اللَّفْظَ وَالْكَلِمَا<sup>(٢)</sup>

وعندما قلت: التصريح عند حازم يصب في قناة التكرار، لم أقصد بهذا القول الذم أو أنه سمة سلبية، بل ذلك يعود تقديره للنقاد، فابن رشيقي يقول: (وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ، والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه)<sup>(٣)</sup>. فموقع القبح في التكرار أن يتكرر اللفظ والمعنى، ويحسن إذا تكرر اللفظ دون المعنى، فيمنح الكلام جرساً موسيقياً يقع من النفوس مواقعته، وليس أدل على استحسان التكرار من وروده في القرآن الكريم، الذي هو الكلام المعجز، بحيث يؤدي التكرار قيمة تعبيرية بيانية، (والقرآن الكريم قد خاطب العرب بما يالفون من الأساليب)<sup>(٤)</sup>، ويقول الدكتور ماهر مهدي هلال: (لعل من أبرز صور التناسق الجمالي في ظواهر

(١) السابق ، ١٢٥

(٢) السابق ، ١٢٤

(٣) ابن رشيقي ، ٧٢/١ - ٧٤

(٤) ماهر مهدي هلال ، جرس الالفاظ ، ٢٤٠

الأشياء هو الانسجام في تكرار الوحدات الجزئية المكونة للكل، والتكرار في التعبير الأدبي هو تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تُشكّل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره أو نثره<sup>(١)</sup>.

### منظومة ابن مالك في ما ورد بالواو والياء من الأفعال.

ربما لا يرد مثل القول السابق في منظومة ابن مالك في ما بالواو والياء من الأفعال، فهذه المنظومة ورد فيها ثمانية أبيات مصرعة، فجاء التصريح في منظومته من جهة أنه التزم في قوافي قصيدته إسناد الأفعال الماضية المعتلة الآخر إلى تاء المتكلم (ضمير الرفع المتحرك)، فكل قوافي أبيات المنظومة تنتهي كذلك، (دَعَيْتُهُ، تَلَيْتُهُ، مَنَيْتُهُ، كَنَوْتُهُ، قَنَوْتُهُ، حَنَيْتُهُ...) من أولها إلى آخرها. فيأتي التصريح في هذه المنظومة طبيعياً غير متكلف، من جهة الالتزام السابق الذكر، وإسناد إلى ضمير الرفع المتحرك في قوافي القصيدة كلها آت للكشف عن الحرف الأخير المعتل من الفعل كونه واواً أو ياءً يقول الحريري:

إذا الفعل يوماً غمّ عنك هجاؤه      فألحق به تاء الخطاب ولا تقف

فإن تر قبل التاء ياءً فكتبه      بياءً وإلا فهو يكتب بالألف<sup>(٢)</sup>

فقصد بتاء الخطاب ضمير الرفع المتحرك (المرفوع أو المأسور أو المضموم

(١) السابق ، ٢٣٦

(٢) الحريري ، المقامات ، ٢٧٥

وابن مالك كونه التزم ما التزم مما سبق ذكره، التزم أيضاً أن يعدد في كل بيتٍ فعلاً أو اثنين ويسنده إلى تاء المتكلم، فجاء التصريح عنده طبيعياً مستحباً له موقعه في النفس.

٢- البحر الطويل يُستعمل تاماً على الأغلب وندز استعماله مجزوءاً<sup>(١)</sup> فهو بذلك يختلف عن بحر الرجز من جهة قلة منظومات البحر الطويل بالنسبة إلى بحر الرجز.

٣- البحر الطويل قليلة جواراته، فمن حيث عروضه وضرره له عروضٌ واحدة (مفاعِلن = ب-ب-) ولها ثلاثة أضرب:

أ- مفاعيلن = ب - - -

ب- مفاعِلن = ب - ب -

ج- مفاعي = ب - -

أما في الحشو،

١- فعولن لها ثلاثة زحافات:

أ- القبض، فتصبحُ فعولُ = ب-ب

ب- الحرْم، فتصبحُ عولنُ = - -

ج- الثرم، فتصبحُ عولُ = ب -

والحرْم والثرم لا يقعان إلا في التفعيلة الأولى من كل شطر.

٢- مفاعيلُنْ، لها زحافان:

أ- القَبْضُ، فتصبح مفاعِلن = ب - ب -

ب- الكَفّ، فتصبح مفاعيلُ = ب - - ب<sup>(١)</sup>

٤- تعدّد التفعيلة في البحر الطويل عقبة جديدة تعترض طريق الناظم اللغوي،

بخلاف بحر الرجز الذي هو تكرار لتفعيلة واحدة هي (مستفعلن) على اختلاف

صُورِها، فالبحر الطويل مكوّن من تكرار (فعلون مفاعيلن) أربع مرّات،

وتكرار تفعيلتين مختلفتين أشقّ من تكرار تفعيلة واحدة جوازاتها كثيرة.

٥- البحر الطويل طويل بعدد حروفه، ولذلك سُمّي طويلاً، ففي العمدة لابن رشيق:

"ذكر الزجاج أنّ ابن دريد أخبره عن أبي حاتم عن الأخفش قال: سألت الخليل

بعد أن عمِلَ كتاب العروض: لم سمّيت الطويل طويلاً؟ قال: لأنه طال بتمام

أجزائه..."<sup>(٢)</sup>

أما بقية البحور التي جاء عليها النظم النحوي، فمنها ما ينطبق عليه ما انطبق

على الطويل من حيث تعدّد التفعيلة كالبيسط والوافر والخفيف والسريع، ومن

حيث الطول كالبيسط والكامل والوافر، ومنها ما ينطبق عليه بعض ما انطبق

على الرجز من حيث تكرار تفعيلة واحدة كالكمال والرمل.

(١) السابق، ١٥٢

(٢) ابن رشيق، ١٣٦/١

## المداخل من الأبيات:

هو (ما كان قسيمه متصلاً بالآخر غير منفصل عنه قد جمعتهما كلمة واحدة، وهو المدمج أيضاً)<sup>(١)</sup> ويقال له - أيضاً - المدور<sup>(٢)</sup>.

وهو غير موجود في المنظومات المتعددة القوافي، لأن كل صدر يجب أن ينتهي بقافية موافقة لقافية العجز حتى يتم التصريح، ويمكن وجوده - عقلاً - لكنه لم يوجد عسلياً، والسبب في عدم وجوده عملياً - كما يبدو لي - أنه يحتاج إلى مشقة بالغة لإجاده، والناظم العلمي ليس بحاجة إلى صعوبات جديدة فوق ما هو فيه من قيود كثيرة بنوء بها.

لكن مثار الغرابة قلته في المنظومات ذوات القافية الواحدة، إذ هو جائز لاجرح فيه، ومع ذلك خلت المنظومات التالية من أي بيت مدور:

١- منظومة الشبراوي.

٢- منظومة حازم القرطاجني.

٣- منظومة ابن مالك في ما ورد بالواو والياء من الأفعال.

أما منظومة حسن العطار فورد فيها بيت واحد مدور، وهو قوله في فصل الإعراب: (طويل)

وللأسم إعراب إذا لم يشابه الـ حروف وللفعل البناء غير «يستدري»<sup>(٣)</sup>

(١) ابن رشيقي ، ١٢٢/١

(٢) محمد سعيد اسبر ، ١١٦

(٣) عبد الله الانماري ، ٤١٢

انقسمت كلمة (الحروف) بين الشطرين، فكانت (ال) التعريف في نهاية الصدر، وسائر الكلمة في بداية العجز.

أما منظومة ابن مالك (لامية الأفعال) وعدتها مائة وأربعة عشر بيتاً على البحر البسيط فقد خالفت مثيلاتها في ذلك، إذ بلغ عدد الأبيات المدورة فيها سبعة وثلاثين بيتاً. وسبب ذلك - كما أرى - يعود إلى أمرين:

١- أن المنظومة في الصرف، وفي الأفعال خاصة، ولا يجهل كثرة الأحكام الصرفية المتعلقة بالقاعدة الواحدة، كما أن تعداد الأوزان والأفعال يعدّ صعوبة أخرى تضاف إلى الصعوبات الكثيرة.

٢- أن ابن مالك التزم في منظومته الإيجاز، فكان بهذا قد أضاف على نفسه قيوداً جديداً.

أما الأربعة الآخرون فلم يلتزموا الإيجاز، بل توسّعوا كثيراً، ونظرة عجيلى إلى نظمهم وأمثلتهم تبين توسّعهم في التمثيل، وإكثارهم من الحشو، وهذه بعض الأمثلة من كلّ منهم:

أولاً: منظومة الشبراوية:

والجزمُ للفعلِ فالأنواعُ أربعةٌ	وليسُ للحرفِ إعرابٌ فلا تُطلِ
والرفعُ أبوابهُ سبعٌ ستسَعُها	تتلى عليك بوضعٍ للعقولِ جلي
الفاعلِ اسمٌ لفِعْلٍ قد تقدّمه	كجاء زيدٌ فقصرِيا أخوا العذلِ
كنيلٌ خيرٌ وصيمٌ الشهرُ أجمعه	وقيل قولٌ وزيدٌ بالوشاةِ بلي

في الدار وهو أبوه غير ممثّل  
يرجو رضاك ومنه القلب في وجل  
عند الأمير وقنطاراً من العسل

والمبتدا نحو زيد قائم وأنا  
والحال نحو أتاك العبد مبتسماً  
وإن تميّز فقل عشرون جارية

(مهملات المتون ٤٨٩ . ٤٩١)

### ثانياً: منظومة العطار:

كماس بقده يزدرى عادل السمر  
وفي خبر رفع له دائماً يجري  
له مقلّة تعزى إلى بابل السحر  
حبيبي مفري بالتباعد والهجر  
لحالي يرثي علّ يشفي جوى الصدر  
كخلت حبيبي مفرد الآن والدهر

وفعلّ على قسسين ماضٍ مضارع  
وللمبتدا رفع بنفسٍ تقدّم  
كقولك هذا أغيد قد عشقته  
وتنصّبهُ أشباه كان كلم يزل  
وإن بعكس نحو لیت معذبى  
وأشباه ظنّ النصبّ تعسل فيهما

(مهملات المتون ٤٩٣)

### ثالثاً: منظومة حازم القرطاجني:

أخبارها، أحرف قد عدّها العلما  
معنى لكسر حروف يورث السأما  
أثنى وعظّم أو من ذم أو رحما

والناصبات لأسماء قد ارتفعت  
وهي التي ذكرت في باب إن فلا  
وينصبّ الإسم من نادى وخصّ ومن

والنصبُ كذاك بحاشا أو عدا وخلا  
والنصبُ في ما عدا أو ما خلا اقضِ به  
ولا تكونن في ما قلتُ متَّهما  
فكلَّهم لهما بالنصبِ قد جَزَما  
تقولُ عمرو أبوهُ أو أخوه أتى  
فافتَرَّ فوه من السراءِ وابتسما  
وخولةٌ هامٌ ذو مالٍ بها وَصبا  
وَجداً فغارَ حموها منه واحتسما

(ديوانه ص ١٢٨-١٢٩)

رابعاً: منظومة ابن مالك في ما ورد بالواو والياء من الأفعال:

وقلوتُهُ بالنارِ مثلُ قليتُهُ ورثوتُ جِلاً ماتَ مثلُ رثيتُهُ  
وأثوتُ مثلُ أثيتُ قلتهُ لمن وَشى وشأوتُهُ كسبقتُهُ وشأيتُهُ  
وصغوتُ مثلُ صغيتُ نحوَ مَحَدَّثي وخلوتُهُ بالحليِّ مثلُ حليتُهُ

(مهجات المتون ص ٥٨٠)



## الأثر العروضي في النظم النحوي

أولاً : الآثار السلبية للعروض في النظم النحوي:

الأثر السلبي الأكثر أهمية هو وقوع الناظم اللغوي في ضرورات لا يمكنه تجاوزها، فمن ذلك من ألفية ابن مالك:

١- وصل همزة القطع كقول ابن مالك في باب الاستثناء: <sup>(١)</sup>

ما استثنيت إلا مع تمام ينتصب وبعد نفي أو كفي أنتخب

فحول همزة القطع في ( إلا ) إلى همزة وصل، وحرك تاء التانيث إلى الكسر لالتقاء الساكنين، حتى تستقيم التفعيلة (مستفعلن).

٢- قطع همزة الوصل، وذلك كقول العطار في منظومته:

وللأسم إعراب إذا لم يشابهه الـ حروف ولل فعل البنا غير يستدري <sup>(٢)</sup>

حيث جعل همزة ( اسم ) التي هي وصل جعلها همزة قطع لضرورة الوزن، وفي هذا البيت أيضاً قصر ( البناء ) لضرورة الوزن.

٣- قصر الممدود كقوله في باب حروف الجر:

مذ منذ رب اللام كي واو وتا والكاف والبا ولعل ومتى <sup>(٣)</sup>

فقصر التاء والباء، الأولى للقافية والوزن، والثانية للوزن فقط.

وكقوله في باب الإضافة:

(١) ابن مالك، الألفية، ٢٨،

(٢) عبدالله الانصاري، ٤٩٢،

(٣) ابن مالك، الألفية، ٣١،

فصلُ يمينٍ واضطراباً وُجِداً      بأجنبيٍّ أو بنعتٍ أو نِداً  
فقصر (نداء).

وكقوله في فصل ما ولا ولات وإن المشبهات بليس:  
إعمال ليس أعملت ما دون إن      مع بقاء النفي وترتيب زكن<sup>(١)</sup>  
فقصر (بقاء).

٤-      حذف حرف أصلي من الكلمة كحذف همزة (يجيء) في قوله:  
وقد يُجاء بخلاف الأصل      وقد يجيء المفعول قبل الفعل<sup>(٢)</sup>

وكقوله في باب النائب عن الفاعل:  
واكسِرَ أو اشْمِمَ فا ثلاثي أعِلُّ      عيناً، وضَمَّ جا كبوع فاحتمِل<sup>(٣)</sup>  
فحذف همزة جا.

وكحذف ياء الذي في قوله في باب أفعل التفعيل:  
صُعُ من مصوغٍ منه للتعجب      أفعل للتفضيل وأب اللذُّ أبي<sup>(٤)</sup>  
وكحذف ياء النسبة المشددة كقول ابن مالك:

ونقلُ فتحٍ من سيوى المهسوز لا      يراه بَصْرِيٌّ وكوفٍ نُفُلا  
فحذف ياء النسبة من (كوفي) وعوض التنوين عنها للدلالة عليها.

(١) السابق ، ١٨

(٢) السابق ، ٢٣

(٣) السابق ، ٢٤

(٤) السابق ، ٣٩

(٥) السابق ، ٦٣

٥- مخالفة الإعراب، وأمثلة ذلك:

أ- قول السيوطي في الفريدة في فصل الإعراب المقدّر:

وَالْحَرَكَاتُ كُلُّهَا يُقَدَّرُ  
فِي مَا يُضَفُّ لِلْيَاءِ أَوْ مَا يُقْصَرُ<sup>(١)</sup>

فإنّ الفعل (يُضَفُّ) هنا حقه الرفع، لكنّه سَكُنَ آخره فالتقى معه ساكنان فاضْطُرَّ إلى حذف الألف تخلصاً من التقاء الساكنين في غير موضعه، وكلّ ذلك ليستقيم له وزن البيت وهو لَحْنٌ.

ب- قول الحريري في باب الترخيم:

وَاحْذِفْ إِذَا رَحَّمْتَ آخِرَ اسْمِهِ  
وَلَا تُغَيِّرْ مَا بَقِيَ عَنْ رَسْمِهِ<sup>(٢)</sup>

فإنه سَكُنَ آخر الفعل (بقي) وحقه الفتح بناءً، والوزن جعله يسكّنه.

٦- التغيير في الشاهد لملاءمة الوزن والقافية، كقول النودهي في منظومته (الشامل للعوامل):

شَاعِرٌ هُمْ قَدْ قَالَ فِي إِنْسَانٍ  
عَلَّ أَبِي الْمَغْوَارِ مِنْكَ دَانِي<sup>(٣)</sup>

فغَيَّرَ فِي الشَّاهِدِ مِنْ (لَعَلَّ) إِلَى (عَلَّ)، وَمِنْ (قَرِيبٍ) إِلَى (دَانِي).

وَهُنَاكَ أُمُورٌ لَا تَكَادُ تَقَعُ فِي سَعَةِ الْكَلَامِ الْمَشُورِ، بَلْ اقْتَضَاهَا الْوِزْنُ، فَمِنْ ذَلِكَ:

(١) السيوطي، الفرائد الجديدة، ١٢٠/١.  
(٢) الحريري، ملحة الإعراب ضبط علي عبدالحميد، ١٥.  
(٣) النودهي، الأعمال الكاملة، ٢٠٥/٢، وأصل الشاهد: لعلّ أبي المغوار منك قريب، والشاعر كعب بن سعد الغنوي، انظر: ابن عقيل، شرح الغية ابن مالك، ٤/٢، وانظر: حنا حداد، معجم شواهد النحو الشعرية، رقم ١٢٢.

١- استعمالُ عباراتِ وألفاظِ تخرُجُ عن الاستعمالِ المألوفِ في الاصطلاحاتِ النحويةِ، فمن ذلك:

أ- التعبيرُ عن ياءِ المتكلمِ بياءِ النفسِ في قوله:

وقَبِلَ يا النفسِ مع الفعلِ التزمَ نونُ وقايةٍ وليسي قد نُظِمَ<sup>(١)</sup>

ب- استعمالُ الفعلِ (اعتقدَ) كحكمِ نحويٍّ، في قوله:

والنصبُ إن لم يَجْزِ العطفُ يَجِبُ أو اعتقدَ إضمارَ عاملٍ تُصِبُ<sup>(٢)</sup>

وقوله:

والحالُ إن عُرِفَ لفظاً فاعتقدَ تنكيره معنى كوخدك اجتهد<sup>(٣)</sup>

ومعلومٌ أنَّ الأحكامَ النحويةَ ليستُ من بابِ الاعتقاداتِ، وإنما هي أمورٌ علميةٌ تكفي فيها غلبةُ الظنِّ، ولم يُسَمَّعْ أنَّ عالماً يعتقدُ أنَّ الفاعلَ مرفوعٌ، مع أنَّ شواهدَ رفعِ الفاعلِ تفوقُ حدَّ التواترِ عندَ العربِ قديميهمُ وحديثهمُ.

ج- تعبيره عن أداة الاستثناء (لا يكون) ب (يكون بعد لا) في قوله:

واستثنى ناصباً بليسٍ وخلا وَيَعْدَا وَيَبِينُكُونُ بَعْدَ لَا<sup>(٤)</sup>

د- وفي قوله:

كفعله اسمُ فاعلٍ في العملِ إن كانَ عن مضيِّه بمَعزِلٍ<sup>(٥)</sup>

(١) ابن مالك ، اللغية ، ١٢ ، باب النكرة والسعرفة

(٢) السابق ، ٢٨ ، باب المفعول معه

(٣) السابق ، ٢٩ ، باب الحال

(٤) السابق ، ٢٦ ، باب الاستثناء

(٥) السابق ، ٣٥ ، باب أعمال اسم الفاعل

فَعَبَّرَ عَنْ عَدَمِ دِلَالَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ عَلَى الْمَاضِي بِقَوْلِهِ (إِنْ كَانَ عَنْ مُضِيِّهِ بِمَعزِلٍ).

٢- الاكتفاء ببعض الشاهد، كقوله:

وَالنَّصْبُ بَعْدَ مَا أُضِيفَ وَجِبًا      إِنْ كَانَ مِثْلُ مَلَأَ الْأَرْضَ ذَهَبًا<sup>(١)</sup>

فَاقْتَصَرَ مِنْ ذِكْرِ الشَّاهِدِ - وَهُوَ الْآيَةُ هُنَا - بِمَوْضِعِ الشَّاهِدِ لِضَرُورَةِ الشَّعْرِ وَعَدَمِ سَعَةِ الْوِزْنِ لِلشَّاهِدِ كَامِلًا.

وكقوله:

وَمَا لِتَفْصِيلِ كَأَمَّا مَنَّا      عَامِلُهُ يَحْذَفُ حَيْثُ عَنَّا<sup>(٢)</sup>

فَاكْتَفَى بِقَوْلِهِ (إِمَّا مَنَّا) مِنَ الْآيَةِ مِنْ أَجْلِ الْوِزْنِ.

٣- التقديم والتأخير غير المألوفين، كقوله:

وَمَا بَتَا وَأَلْفٌ قَدْ جُمِعَا      يُكْسَرُ فِي الْجَرِّ وَفِي النِّصْبِ مَعًا<sup>(٣)</sup>

فَالْمَأْلُوفُ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ هُوَ الْأَلْفُ وَالتَّاءُ، وَلَيْسَ التَّاءُ وَالْأَلْفُ، لَكِنَّ الْوِزْنَ لَهُ تَحْكُمُهُ.

٤- الاستغناء عن حروف العطف، كقوله:

هَآكْ حُرُوفُ الْجَرِّ وَهِيَ مِنْ إِلَى      حَتَّى خَلَا حَآشَا عَدَا فِي عَنْ عَلَى

مُنْذُ مِنْذُ رَبِّ اللَّامِ كَيِّ وَآوَتْ وَتَا      وَالْكَافُ وَالْبَا وَلَعَلَّ وَمَتَى<sup>(٤)</sup>

(١) السابق ، ٢١ ، باب التمييز  
(٢) السابق ، ٢٧ ، باب المفعول المطلق  
(٣) السابق ، ١١ ، باب المعرب والمبني  
(٤) السابق ، ٢١ ، باب حروف الجر

فاستعملَ واوَ العطفِ في مواضع، وتركها في مواضع، والذي حتمَّ ذلك هو الوزن. ومثل هذا كثير في ألفية ابن مالك.

٥- الاستعاضة عن الشيء، بمثاله، كقوله:

أُوبِكَ كَابْنَيْنِ وَزَيْدَيْنِ فُذِي  
جميعها اليا بعد فتحها احتذي<sup>(١)</sup>

فاستعاضَ عن المثني بـ (ابنَيْنِ) وعن الجمع بـ (زَيْدَيْنِ).

وكقوله:

واجعلْ لنحوِ يفعالنِ النونا  
رفعاً وتدعينَ وتسالونا<sup>(٢)</sup>

فاستعاضَ بالأمثلة عن شرح القاعدة، والذي أجهأ إلى هذا هو الوزن، ولم يُعهدْ مثله في الكلام المنثور لسعته.

٦- الإتيان بحشو كلام لإتمام الوزن، وذلك كقوله:

كشِبْرٌ أَرْضًا وَقَفِيرٌ بَرًّا  
ومنويْنِ عَسَلًا وَتَمْرًا<sup>(٣)</sup>

فقوله: (وتمراً) زيادة لإتمام الوزن، ولإتيان بقافية موافقة لقافية الصدر، وهي في الوقت ذاته قافية مُستدعاة.

٧- الإكثار من الأمثلة لإكمال الوزن، ومثل هذا كثير عند الحريري<sup>(٤)</sup>، ومنه عند ابن

مالك:

(١) السابق ، ٢٤ ، باب السفاف الى ياء المتكلم

(٢) السابق ، ١١ ، باب السعرب والسبني

(٣) السابق ، ٢١

(٤) الحريري ، ملحة الاعراب ، الصفحات ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٠ - ٤١ ، ٦٩ .

والخبرُ الجزءُ المتِمُّ الفائدةُ كاللَّهُ بَرٌّ والأَيادي شاهدة<sup>(١)</sup>

فجاءَ بِمثالين على الخبرِ لأجلِ الوزنِ.

## الآثارُ الإيجابية للعروض في النظم النحويِّ:

١- يستطيعُ الناظمُ النحويُّ الاستفادةَ من طولِ البحرِ وقصرِهِ بحسبِ قصده، فإذا أرادَ الإطنابَ وجدَ أمامه مَتسَعاً في البحورِ الطويلةِ كالطويلِ والكاملِ والبسيطِ، وإذا أرادَ الإيجازَ لجأَ إلى البحورِ القصيرةِ كالرجزِ والرملِ والسريعِ.

٢- الإيقاعُ الشعريُّ المترتبُ على الوزنِ العروضيِّ يقعُ في الأذنِ موقِعَهُ، ونظراً لأنَّ النحوَ قواعدٌ محددةٌ جامدةٌ لا موضعٌ للعاطفةِ فيه، فإنَّ الإيقاعَ الشعريَّ يؤدي إلى كسرِ شيءٍ من الجمودِ في القواعدِ، مما يَحَبِّبُ هذه القواعدَ إلى السامعِ والقارئِ، فتقعُ منه موقِعاً لطيفاً مقبولاً.

٣- وضعُ القواعدِ النحويةِ في قوالبٍ عروضيةٍ موزونةٍ تسهِّلُ على الطالبِ والمتعلِّمِ حفظَ القواعدِ النحويةِ، فبدلاً من أنْ يحفظَ عباراتٍ منشورةً لا وزنَ يجمعُها، ولا إيقاعَ يزينُها، فإنه يحفظُ بيتاً أو أبياتاً ينتظمُها قالبٌ عروضيٌّ محددٌ، يترنُّمُ بتردادِها، ويتسَّعُ بتكرارِها لوقعِها في النفسِ.

٤- الوزنُ العروضيُّ يؤدي بالناظمِ إلى الإبداعِ في الأمثلةِ، وهذا الإبداعُ في الأمثلةِ يجعلُ الناظمَ يُجرِي نظمه النحويَّ مُجرى الشعرِ العاديِّ المؤثرِ المحبَّبِ إلى النفسِ، وإذا أحسنَ الشاعرُ في اختيارِهِ الأمثلةَ وألفاظَها الموافقةَ للوزنِ فإنه يؤثرُ في مشاعرِ المتلقِّي، ويشيرُها ويستميلُها، فيكونُ هذا عاملاً آخرَ

(١) ابن مالك، الالفة، ١٦.

مؤثراً في كسرِ جمودِ القواعدِ وحدثها.

لنأخذُ مثلاً قولَ الشبراوي في بابِ منصوباتِ الأسماء:

وإن تنادِ مضافاً أو مُشاكِلَه قَلْ يا رَحِيماً بنا يا غافِرَ الزلِ (١)

فقد ربطَ بين القاعدةِ النحويةِ ومثالها المؤثرِ في النفس.

وكقوله في بابِ مخفوضاتِ الأسماء:

عواملُ الخفضِ عندَ القومِ جُمِلتْها ثلاثة إن تردَّ عثيلها فقل

غلامُ زيدٍ أتى في منظرٍ حسنٍ فانظُرْ واحذِرْ سِهَامَ الأَعْيُنِ النُّجْلِ (٢)

وكقولِ حسنِ العطارِ في بابِ التوابع:

وعندهمُ أنَّ التوابعَ أربعٌ على نَسَقٍ للإسْمِ في عَمَلٍ تجري

فنعَتٌ وتوكيدٌ وعطفٌ كذا بَدَلٌ وتفصيلها يأتيك متضحَ الذكر

كقولك: إنَّ تعشَّقَ فدونك أهيفاً من التركِ بدرأ كلَّه صيغٌ من دَرِّ

له مُقلَّةٌ كحلى وخذَّ مورِّدٌ وثغرٌ لماهُ حازَ للراحِ والعِطرِ (٣)

فانظرْ إلى الصفاتِ التي أضفاها على المعشوقِ الذي يستحقُّ أنْ يُعشَّقَ في

نظريه، حيثُ جرى في ذلكَ مَجْرَى الشعراءِ المُبدِعين، وانظرْ إلى الاستعارةِ في

عَجْزِ البيتِ الأخيرِ وموقعِها في نفسِ متلقِّيها، فربطَ بين القاعدةِ النحويةِ

-التي هي تفصيلُ التوابعِ- وأمثلتها بأسلوبٍ أقربَ ما يكونُ إلى الوجدانِ،

(١) عبدالله الانصاري ، ٤٩١

(٢) السابق ، ٤٩١

(٣) السابق ، ٤٩٥



داعياً إلى الاستتاع.

والغالب في هذه الميزة أن تكون في البحور الطويلة التي يتسع فيها المجال للمقابلة والمثال، ولكن لا نعدم وجودها في منظومات بحر الرجز، فقد أحسن النودهي تطويع الأمثلة في منظوماته الرجزية لتجعل قواعد النحو قريبة من النفس مؤثرة فيها، ففي منظومته (الإغراب نظم قواعد الإعراب) جعل جل أمثله في مدح المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وهذه أمثلة منها:

يقول في باب شرح الجملة، وذكر أقسامها وأحكامها:

إِنْ بُدِئَتْ بِاسْمٍ يُسَمَّى اسْمِيَّةً	مِثْلُ النَّبِيِّ أَفْضَلُ الْبَرِيَّةِ
وَأَنْ أَرَى طَلْعَتَهُ فِي الرُّؤْيَا	أَحَبُّ مِنْ مَلِكِ جَمِيعِ الدُّنْيَا
مَنْ بَمَدِيحِهِ الْأَمِينُ نَازِلٌ	هَيْهَاتَ أَنْ يُعْصَى لَهُ فُضَائِلٌ
مَا قَائِلٌ فِي أَبِيهِ الْعُلَمَاءُ	إِلَّا بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْيَاهُمَا
مَنْ حَجَّةَ الْوُدَاعِ لَمَّا رَجَعَا	فَأَمَّنَا بِهِ، حَدِيثٌ رُفِيعَا
إِنَّ لَهُ عَلَى الْأَنَامِ شَرْفَا	هَلْ أَحَدٌ مَنَكَرٌ فَضْلِ الْمَصْطَفَى
مَا أَحَدٌ مِنْ جُودِهِ بِخَائِبٍ	لِجُودِهِ أَهْمَى مِنَ السَّحَائِبِ <sup>(١)</sup>

فمثل بهذه الأبيات السبعة لأحوال الجملة الاسمية:

- ١- الجملة المبدوءة باسم صريح.
- ٢- الجملة المبدوءة بمصدر مؤول.
- ٣- الجملة المبدوءة باسم مبني.
- ٤- الجملة التي يتقدم فيها الجار والمجرور على المبتدأ.

٦- الجملة المبدوءة بمبتدأ يستغني عن الخبر بمعموله.

٧- الجملة المبدوءة بالضمير.

٨- الجملة المبدوءة بحرفٍ يغيّر الإعراب فقط.

٩- الجملة المبدوءة بحرفٍ يغيّر المعنى فقط.

١٠- الجملة المبدوءة بحرفٍ يغيّر المعنى والإعراب كليهما.

١١- الجملة المبدوءة بحرفٍ لا يغيّر المعنى ولا الإعراب<sup>(١)</sup>.

وجاءت هذه الأمثلة في مدح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتعداد مناقبه وفضله، فهي أمثلة تُحفظ لكونها في مدح الرسول، وفي الحين ذاته تتضمن قواعد نحوية يفصل فيها أحوال الجملة الاسمية، وهذه سمة إيجابية.

وكقوله في جملة خبر كان:

محلّها نصبٌ كأن يُقالا      كان النبي يلبس النعالا.

ولم يكذّ أت إلى فنائه      يبغى سدى يخيب من عطائه<sup>(٢)</sup>

وغير ذلك كثيرٌ جدًا في منظومته تلك.

(١) انظر حواشي الصفحات ١٥٦ - ١٥٨ من الجزء الثالث من النودهي السابق .  
(٢) النودهي ، ١١٢/٣ .

## القسم الثاني

### القافية وأثرها في عرض المادة النحوية

#### القافية:

«ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأَشْطُرِ أو الأبيات من القصيدة، وتكرؤها هذا يكون جزءاً أصحراً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن»<sup>(١)</sup>.

فالقافية أصوات أو مقاطع صوتية تتكرر بعد كل دفقة شعرية، تأتي لتضع حداً لتيك الدفقة، ثم لتبدأ من جديد وهكذا دواليك، والقافية بلا ريب قسيمة الوزن في الشعر، وصفوة في البناء الشعري، فالشعر يقوم على أمرين لفظيين: الوزن، والقافية، ولذلك فإنها اختصت بنصيبها الوافر من الدرس والبحث، شأنها في ذلك شأن الوزن، لأنهما ركنان أساسان يبني عليهما النظم الشعري، «القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً حتى يكرر له وزن وقافية»<sup>(٢)</sup>.

وموضوع تحديد القافية كان مجالاً خصباً للخلاف بين العلماء، فقد قيل إنها حرف الروي الذي يبني عليه الشعر، ولا بد من تكريره في كل بيت<sup>(٣)</sup>، وهي

(١) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ٢٧٢

(٢) ابن رشيق، ١٥١/١

(٣) أبو يعلى التنوخي، كتاب القوافي، ٤٢

عند الأخفش الكلمة الأخيرة من البيت<sup>(١)</sup> والذي عليه جُلُّ العلماء هو رأي الخليل بن أحمد، الذي يقول إن القافية هي مجموع الحروف التي تبدأ من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن<sup>(٢)</sup> فابن رشيق وصف هذا الرأي بأنه الصحيح<sup>(٣)</sup>.

فالقافية في هذا البيت الذي هو مطلع لامية الأفعال لابن مالك:

الحمد لله لا أبغي به بدلا      حمداً يُبلِّغ من رضوانه الأَملاً<sup>(٤)</sup>

هي (هـ الأَملاً) حيث اللام من حرف التعريف هي الساكن الأول قبل الحرف الأخير من البيت، ويضاف إلى ذلك المتحرك الذي قبل الساكن، وهو هاء (رضوانه) حيث إن همزة حرف التعريف همزة وصل، فلا اعتبار لها، وعليه فإن القافية هي (هـلاً ملاً) المكونة من ستة أحرف.

والقافية على هذا الرأي قد تكون بعض كلمة كقول ابن مالك في ألفيته في باب أسماء الأفعال والأصوات:

كذا رُويد بلة ناصبين      ويعملان الخفض مصدرين<sup>(٥)</sup>

فالقافية هي (بين) من قول: ناصبين، و (رين) من قوله: مصدرين.

وقد تكون كلمة، كقول حسن العطار في مطلع منظومته:

بحمدك يا مولاي أبدأ في أمري      ومنك أروم العون في كل ذي عُسر

(١) ابن رشيق ، ١٥٢/١ ، والتنوخي ، ٤٢

(٢) التنوخي ، ٤٢

(٣) ابن رشيق ، ١٥١/١

(٤) عبدالله الأنصاري ، ٥٧٠

(٥) ابن مالك ، الالعية ، ٤٨

فالقافية فيه (عُـر) وقد تكون كلمتين ، كقول ابن مالك في لامية الأفعال :  
فَالضَّمُّ مِنْ فَعْلٍ الزَّمُّ فِي الْمَضَارِعِ وَأَفَّ تَحْمُضُ الْكَسْرِ فِي الْمَبْنِيِّ مِنْ فَعْلًا<sup>(١)</sup>  
فالقافية فيه (مِنْ فَعْلًا) .

وقد تكونُ كلمةً وبعضُ كلمةٍ ، كالمثال الأول من لامية الأفعال لابن مالك (هَلَا  
مَلَا)

أما عن أساء حروف القافية، فهي كما يلي:

١- الروي: وهو الحرف الذي يتكرر في آخر كل بيت، وإليه تنسب القصيدة:

يقول الناظم العروضي ياسين بن حمزة الشهابي: (رجز)

حازت رويًا وهو حرف قد نسب قصيدةً إليه أربابُ الأدب<sup>(٢)</sup>

فيقال لا سية ابن مالك، بائية ذي الرمة، تائية ابن الفارض، عينية ابن سينا،  
همزية البرصيري، وغير ذلك

فلامية الشبراوي (ت ١٠٧٢ هـ) مثلاً، نجد حرف اللام هو المتكرر في آخر كل  
بيت من أبياتها، فهو رويها، وهو قافيتها من باب الإطلاق المجازي، من جهة  
أن الروي هو أشهر حروف القافية وأهمها وبه تسمى القصيدة، فالكلمات  
الأخيرة من هذه اللامية آخرها حرف اللام (الجميل، زللي، ملل، علي،  
منتقل، ...) وكذلك لامية الأفعال لابن مالك.

٢- التأسيس: وهو ألف يكون بينها وبين حرف الروي حرف متحرك<sup>(٣)</sup>، وذلك مثل

قول أحمد جابر جبران في نظمه للمقصود في باب أبنية اسم الفاعل:

(١) عبدالله الانصاري ، ٤٩٢  
(٢) ياسين بن حمزة الشهابي ، الجوهرة في العروض والقافية ، ص  
(٣) التنوخي ، ٤٢

أَوْ كَسِرَتْ عَيْنٌ فَغَيْرُ اللَّازِمِ عَلَى وَزَانِ فَاعِلٍ كَعَالِمٍ<sup>(١)</sup>

فألف (عالم) في آخر البيت تأسيساً وألف (اللازم) تأسيساً، وهي ملتزمة في كل أبيات القصيدة في البحور المعتادة - غير الرجز المصراع - أما في الرجز المصراع فهي ملتزمة في شطري البيت الواحد ذي الروي الواحد، مثل هذا البيت، بيت أحمد جابر جبران السابق.

ففي الرجز المصراع يلتزم الروي في البيت الواحد، ويلتزم أيضاً التأسيس، والإخلال به في أحد شطري البيت يعد عيباً من عيوب القافية، مثل قول أحمد جابر جبران في فصل تعدية الفعل ولزومه:

ككَلِّ مَا دَلَّ عَلَى لَوْنٍ مَعَا فَعَلَ السَّجَايَا أَوْ كَفَعَلَ طَاوَعَا<sup>(٢)</sup>

فالألف في (طاوعا) ألف تأسيس، والأصل التزامها في الشطر الأول أيضاً، لكنه لم يلتزمها فهو عيب.

٣- الدخيل: وهو الحرف الواقع بين الروي والتأسيس، والمهم فيه أن يكون متحركاً (تلافياً لالتقاء الساكنين) ولا بأس بتغييره، وحركته تسمى الإشباع عند الخليل<sup>(٣)</sup>.

يقول الشيخ معروف النودهي (ت ١٢٥٤هـ) في منظومة ترصيف المباني نظم ترصيف الزنجاني:

وَمَعَهُمَا آخِرُ فَعْلٍ غَانِبَةٌ وَوَاحِدٌ يَفْتَحُ وَالْمَخَاطِبَةُ<sup>(٤)</sup>

- (١) أحمد جابر جبران ، فتح الودود شرح اللؤلؤ المنضود نظم متن المقصود ، ٥٢
- (٢) السابق ، ٦٤
- (٣) ابن رشيقي ، ١٦١/١
- (٤) النودهي ، الاعمال الكاملة ( منظومة ترصيف المباني نظم ترصيف الزنجاني ) ، ٤٩

فحرف الهزة في الصدر دخيلٌ، وحركته الكسر التي هي إشباعٌ، وحرف الطاء في العجز دخيلٌ، وحركته الفتح التي هي إشباعٌ، والملاحظ أن حركتي الحرفين الدخيلين قد اختلفتا، فالأولى مكسورةٌ، والثانية مفتوحةٌ.  
وكقوله في فصل المعتل:

يُدعى مثلاً إذ صحيحاً مثلاً في كونه للحركات قابلاً<sup>(١)</sup>

فالثاء من (مثلاً) دخيلٌ، وحركته الفتح، والباء من (قابلاً) دخيلٌ، وحركته الكسر.

- ٤ -

الردف: هو أحد حروف المد واللين، الياء والواو والألف، يدخل قبل حرف الروي، وحركة ما قبل الردف بالفتح إذا كان الردف ألفاً، وبالضم إذا كان واواً، وبالكسر إذا كان ياءً<sup>(٢)</sup> أي أن حركة ما قبل الردف تكون من جنس الردف، والردف ملتزم في القصيدة كلها - عدا الرجز المصروع - وقد تجتمع الياء والواو في شعر واحد، ففي الرجز المصروع حكمه حكم الروي، فما ينطبق على الروي ينطبق على التأسيس وينطبق على الردف، فيجب التزامه في شطري الرجز المصروع كما يلتزم فيهما الروي، مثل قول النودهي في منظومة الشامل للعوامل:

وانتهاء غاية موضوعه حتى وعى لغة مسموعه<sup>(٣)</sup>

فالواو في الشطرين ردف ملتزم فيهما.

وقد تعاقب كل من الواو أو الياء الأخرى، كقول النودهي:

(١) السابق ، ٦١

(٢) التنوخي ، ٤٤

(٣) النودهي ، الاعمال الكاملة ، ( منظومة الشامل للعوامل ) ، ١٢١ .

وهو بصدر الأنبياء مذكور جملة (هل هذا) له تفسير<sup>(١)</sup>

فعاقب في الردف بينهما (مذكور، تفسير)

وكون الردف ألفاً كقول النودهي في المنظومة الظرفية:

فمبهم الزمان كالحين أن حين أن آخر الزمان<sup>(٢)</sup>

٥- الوصل: حرف مد ناشئ عن إشباع حركة الروي، وهو إما الواو إشباعاً للضمّة، وإما الألف إشباعاً للفتحة، وإما الياء إشباعاً للكسرة، وألحق بها الهاء الساكنة<sup>(٣)</sup>.

كقول السيوطي في فريدته:

وفي ضمير الشأن حتماً يفرد<sup>(٤)</sup> والطبق في التانيث قالوا أجود<sup>(٥)</sup>

وقوله:

مبتدأ أو كانه ثم تلا معرفة أو مالأل قد حظلا<sup>(٦)</sup>

وعين الفصل إذا نصب يلي تالي مظهر وأن يتصل

إشباع  
ففي الأول إشباع الضمة ينتج الواو، وفي الثاني/الفتحة ينتج الألف، وفي الثالث إشباع الكسرة ينتج الياء...

وكون الهاء وصللاً كقول الشيخ النودهي في منظومة الإعراب نظم قواعد

(١) السابق، (منظومة الإعراب نظم قواعد الإعراب) ، ١٨٦

(٢) السابق، (المنظومة الظرفية) ، ٢٩٦

(٣) التنوخي ، ٤٤ مع شيء من التصرف في عبارته .

(٤) السيوطي ، الفرائد الجديدة ، ١٤٧/١

(٥) السابق ، ١٥٠/١



الإعراب:

يا مَنْ عَنِ الدِّينِ هَوَاهُ شَغَلَهُ لَا تَنْتَهَ عَنْ مُسْتَهْجِنٍ وَتَفَعَّلَهُ<sup>(١)</sup>

وكقول الحريري في ملحمة الإعراب في باب جمع المذكر السالم:

وكلُّ جَسَعٍ سَحَّ فِيهِ وَاجِدُهُ ثُمَّ أَتَى بَعْدَ التَّنَاهِي زَائِدُهُ<sup>(٢)</sup>

٦- الخُروج: هو إشباعُ هاءِ الوصلِ بالفتحِ أو الضمِّ أو الكسرِ، إذا كانت تلك الهاءُ متحركةً بهذه الحركاتِ الثلاثِ، وحروفُ الخُروجِ هي الألفُ والواوُ والياءُ الناجمةُ عن الإشباعِ<sup>(٣)</sup>.

من ذلك قولُ ابنِ معطٍ في موضوعِ أسماءِ الأفعال:

مَناعِها من إِبِلٍ مَناعِها وَقِيلَ يُحْتَاجُ إِلَى سَماعِها<sup>(٤)</sup>  
وقوله في المعتلِّ:

وَإِنْ يَكُنْ ياءٌ وَكسراً قَبْلَهُ سُمِّيَ مَنقوصاً لِنَقصِ حَلَّةِ<sup>(٥)</sup>

وقولُ الحريري في الملحمة في باب الترخيم:

وَاحذِفْ إِذَا رَحُتْ أَخْرُ اسِيهِ وَلَا تَغْيِرْ ما بَقِيَ عَنِ رَسْمِهِ<sup>(٦)</sup>

ففي البيتِ الأولِ كانتِ العَيْنُ رويّاً وهي مكسورةٌ، والهاءُ وصلًا، والألفُ خُروجًا،

وفي البيتِ الثاني كانت اللامُ رويّاً، وهي مفتوحةٌ، والهاءُ وصلًا، وإشباعُ

- 
- (١) الشودهي ، ( منظومة الإعراب نظم قواعد الإعراب ) ٢٧٦
  - (٢) الحريري ، ملحمة الإعراب ، ٢٥
  - (٣) التنوخي ، ٤٤
  - (٤) عبدالعريز بن جسة الموطلي ، شرح ألفية ابن معط ، تحقيق الشوملي ، ٧٩
  - (٥) السابق ، ٧٨
  - (٦) الحريري ، ملحمة الإعراب ، ٥١

ضممتها أنتج الواو التي هي الخروج، وفي البيت الثالث كانت الميم رويًا وهي مكسورة، والهاء وصلًا، وإشباع كسرتها أنتج الياء التي هي الخروج، ومثل ما سبق منظومة ابن مالك فيما ورد من الأفعال بالواو والياء، التي مطلعها:

حَمْدًا لِرَبِّي وَالصَّلَاةَ لِأَحْمَدٍ      مَن قَدْ دَعَوْتُ إِلَى الْهُدَى وَدَعَيْتُهُ<sup>(١)</sup>

نوعا القافية من حيث حركة الروي وسكونه:

القافية باعتبار حركة الروي أو سكونه نوعان:

١- القافية المطلقة: وهي ما تحرك رويها بفتح أو ضم أو كسر.<sup>(٢)</sup>

مثالها لامية الشبراوي المكسورة:

يا طالب النحرِ خذْ مِنِّي قواعِدَهُ      منظومةً جملةً من أحسنِ الجُمَلِ<sup>(٣)</sup>  
ولامية الأفعال لابن مالك المفتوحة:

الحمدُ لِلَّهِ لا أُبغِي بِهِ بَدَلًا      حمدًا يُبَلِّغُ مِن رِضْوَانِهِ الْأَمَلَا<sup>(٤)</sup>

ورائية حسن العطار:

بِحَمْدِكَ يَا مَوْلَايَ أَبْدَأُ فِي أَمْرِي      وَمِنْكَ أرومُ العونِ فِي كلِّ ذِي عُسْرٍ<sup>(٥)</sup>  
وقصيدة ابن مالك في ما ورد بالواو والياء من الأفعال، منها:

(١) عبدالله الأنصاري ، ٥٨٠

(٢) التنوحي ، ٤٧

(٣) عبدالله الأنصاري ، ٤٨٨

(٤) السابق ، ٥٢٠

(٥) السابق ، ٤١٢

وَصَفَوْتُ مِثْلَ صَفِيَّتٍ نَحْوَ مَحْدَثِي وَحَلَوْتُهُ بِالْحَلِيِّ مِثْلَ حَلِيَّتِهِ<sup>(١)</sup>

وَقَوْلُ ابْنِ سَالِكٍ فِي الْفَيْتَةِ فِي بَابِ أَعْلَمَ وَأَرَى:

إِلَى ثَلَاثَةٍ رَأَى وَعَلِمَا عَدَّوْا إِذَا صَارَا أَرَى وَأَعْلَمَا<sup>(٢)</sup>

-٢- القافية المقيدة: وهي ما كان رويها ساكناً<sup>(٣)</sup>

كأبيات الحريري الثلاثة في المقامة السادسة والأربعين (الحلبية)، والأبيات في

بيان كتابة الألف قائمة بأركانها في آخر الفعل وهي:

إِذَا الْفَعْلُ يَوْمًا غَمَّ عَنْكَ هِجَاؤُهُ فَالْحَقُّ بِهِ تَاءُ الْخَطَابِ وَلَا تَقِفْ

فَإِنْ تَرَ قَبْلَ التَّاءِ يَاءً فَكُتِبَتْ بِيَاءً وَإِلَّا فَهُوَ يُكْتَبُ بِالْأَلْفِ

وَلَا تَحْسَبِ الْفَعْلَ الثَّلَاثِيَّ وَالَّذِي تَعَدَّاهُ وَالْمَهْمُوزَ فِي ذَاكَ يَخْتَلِفُ<sup>(٤)</sup>

فالروى فيها الفاء الساكنة، فهي قافية مصيدة.

ومثل ذلك قول ابن مالك في باب الاستثناء:

مَا اسْتَثْنَيْتَ إِلَّا مَعَ تَمَامٍ يَنْتَسِبُ وَبَعْدَ نَفْيٍ أَوْ كُنْفِي أَنْتُخِبَ

إِتْبَاعُ مَا اتَّصَلَ وَانْصَبَ مَا انْقَطَعَ وَعَنْ قِيمٍ فِيهِ إِبْدَالٌ وَقَعُ

وغير نصب سابق في النفي قد يأتي ولكن نصبه اختر إن ورد<sup>(٥)</sup>

فمع اختلاف روي الأبيات على أن الرجز المصروع - ويلحق به السريع المصروع -

كسا في الفية ابن سعط - رويته يحتسب للبيت الواحد بشطريه، فالبيت الأول

(١) السابق ، ٥٨٠

(٢) ابن مالك ، اللغية ، ٢١

(٣) التنوخي ، ٤٧

(٤) الحريري ، المقامات ، الحلبية ، ٢٢٥

(٥) ابن مالك ، اللغية ، ٢٨

روية الباء الساكنة، فالقافية مقيدة، والبيت الثاني روية العين الساكنة فقافيته مقيدة، والبيت الثالث روية الدال الساكنة فالقافية مقيدة.

ومثل أبيات المهلبى في معاني من ومواضعها:

معانٍ لا (من) سبعة قد أنت لتبعيض كل ومعنى البدل

ومعنى من أجل فلان ولا بد تداء مدى وانتهاء عدل

وزيدت لتوكيد جنس وقد اتنا بياناً لنوع فدل<sup>(١)</sup>

فرويتها اللام الساكنة، وهي قافية مقيدة.

## عيوب القافية:

مما تبين في قسم حروف القافية كثرة حروف القافية وكثرة حركات هذه الحروف. فالتزام ما يلتزم منها أمر لا مفر منه لكل شاعر، ومخالفة ما يجب التزمه يعد عيباً من عيوب القافية.

وما يلزم الشاعر يلزم الناظم لتعاطيه الشعر وزناً وقافية، وكما وقع الشعراء في الضرورات وفي عيوب القافية وقع الناظمون كذلك في مثل تلك المخالفات، إلا أن مقدارها غير ثابت نسبياً، فمن عيوب القافية ما لا يوجد في النظم ذي القافية الواحدة إلا قليلاً مع كثرتة في متعدد القوافي، ومن العيوب ما ينعكس حاله قياساً مع سابقه، وسيتبين - إن شاء الله - كل في موضعه.

وهناك من عيوب القافية ما انعدم وجوده في النظم النحوي، مثل الإقواء والإكفاء والإصراف والإجازة. وهي كلها مرتبطة إما باختلاف حرف الروي بين بيت وآخر، أو بين شطر وآخر في المصراع، وإما باختلاف حركة الروي.

ويبدو أن انعدام مثل هذه العيوب في النظم عائد إلى أن النظم صناعة لفظية، والصانع يجتنب الوقوع في عيب لافت للنظر في صنعته، بخلاف ما وقع فيه الشعراء المطبوعون، لأن الشعر ينهال عليهم، ويغلبهم، وينساب منهم انسياً بطبعهم، فاحتسأ وقوعهم في مثل هذه العيوب أكبر من احتمال وقوع الصانع في مثلها.

وقد ينشأ سؤال هنا، وهو أن الصانع وهو يصنع بإتقان، ما باله لم يقع في مثل هذه العيوب ووقع في غيرها من إبطاء، وتضمين وسناد، وقد كانت لديه القدرة على اجتناب مثل هذه العيوب؟

فالجواب عن ذلك يكمن في أهمية العيب أو المخالفة، فبعضها صغير وبعضها كبير لا ينتشر، ألا ترى إلى ما أخذ على النايفة في إقوائه بين الكسر والضم، فلا تجد كتاب عروض أو كتاباً في النقد القديم إلا وقد ذكر إقوائه في قصيدته التي مطلعها:

أَمِنْ أَلِمِيَّةٍ رَاغٍ أَوْ مَغْتَدِي عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرِ مَزُودٍ

فالقسيده رويها بالكسر، ولكنه يقول:

زعم البوارح أن رحلتنا غداً      وبذاك نبأنا الغراب الأسود<sup>(١)</sup>

فحفظ له هذا العيب، وأخذ عليه، ويتكرر التمثيل بهذا العيب عند كل من  
بحث في الإقواء، لأنه عيب كبير ظاهر.

ولكن لم يؤخذ على النابغة عيوب أخرى وقع فيها من إبطاء أوسناد، أولم  
يشتهر بها كما الإقواء، والسبب في ذلك واضح وهو أهمية العيب المرتكب،  
وكما يقول طرفة بن العبد:

حنانيك بعض الشر أهون من بعض<sup>(٢)</sup>

وكما تقع عيوب القافية في المنظومات ذوات القافية الواحدة تقع في المنظومات  
المتعددة القوافي (المصرعة)، يقول ابن رشيق: (التصريح يقع فيه من الإقواء  
والإكفاء والإبطاء والسناد والتضمين ما يقع في القافية)<sup>(٣)</sup>.

بقي أمر هو أن الباحث ربما رأى في بعض المنظومات ما يشتبه في أنه إقواء  
أو إجازة، فمن ذلك قول ابن مالك في باب المفعول له:

وهو بما يعمل فيه متخذ      وقتاً وفاعلاً وإن شرط فقد<sup>(٤)</sup>

فهذا موهم بأنه عيب قافية، ويتبين الأمر لدى مراجعة أحد شروح الألفية، إذ إن  
البيت الصحيح هو:

- 
- (١) النابغة الذبياني، ديوانه، ٢٨.  
(٢) عبدالحال سالم مكرم، شراهد سيبويه من المملكات، ٤٢، وانظر: طرفة  
بن العبد، ديوانه، ٦٦.  
(٣) ابن رشيق، ١٧٦/١.  
(٤) ابن مالك، الألفية، ٢٧.

وهو بما يعمل فيه متَّحِدٌ وقتاً وفاعلاً وإن شرطَ فُقدَ<sup>(١)</sup>

فلا إشكال في كونه خطأ طباعياً، ولكن لننظر إلى البيت التالي الذي هو أحد أبيات منظومة «الحصن الرصين في علم التصريف» للأستاذ عبدالله بن فودي النيجيري في باب (فعل) المكسور:

(ذَابَ) رَحِبَ رَطِبَ صَلِبَ قَيْسَ شَسِبَ شُئِبَ تصحيف له كذا شَيْبَ<sup>(٢)</sup>

ويقول المحقق في الحاشية: (في ب شسب في أول العجز، في أ، ج، د: شسب في آخر الصدر)<sup>(٣)</sup>، مع أن المحقق يضع النسخة (ب) المشار إليها - والمعتمدة في الخلاف هنا - يضعها في المركز الأخير من الأهمية - كما يقول -<sup>(٤)</sup>، ثم يقول في نهاية الحاشية المذكور بعضها: (التخريج: على ما ورد في ب لاستقامة الوزن)<sup>(٥)</sup>!

ومن الجدير ذكره قبل البدء بمناقشة القضية أن هذا التحقيق لهذه المنظومة كان لنيل درجة الماجستير فهي عمل علمي، والعروض من آلات المحقق اللغوي. ثم ألم يتبين المحقق أن هذا البيت بالشكل الذي وضعه عليه صار غير مصرح، والتصريح واجب لا مندوحة عنه؟ فكان الأولى به أن يضع الصواب حتى لو أذاه الأمر إلى مخالفة نسخة المخطوطة ويشير إلى ذلك، أو أنه في حال إثباته

(١) ابن عقيل ، ٤٨٥/١

(٢) عبدالله بن فودي ، الحصن الرصين في علم التصريف ، بتحقيق وشرح : محمد صالح حسين ، ٤٦

(٣) السابق ، حاشية صفحة ٤٦

(٤) السابق ، ص ٢٦ - ٢٧ من مقدمة التحقيق

(٥) السابق ، حاشية صفحة ٤٦



الخطأ يشير إلى ذلك، أمّا أن يُثبت الخطأ ويعلله في الحاشية بخطأ أكبر منه  
فهنا يكمن الخطأ الكبير الضارّ.

نعم إنّ هناك من المحققين من يحتفظ لنص المخطوط بالقدسيّة، ولكن أولئك  
النفر منهم لا يدعون الخطأ يرمّ هكذا، بل يُنبّهون عليه في الحاشية بما هو  
صواب، فكان الأولى بالمحقق ما يلي:

١- يلحق كلمة (شسب) في نهاية الصدر، ويؤيده في ذلك نسخه المرموز إليها بـ  
(أ، ج، د).

٢- يشير إلى مخالفة النسخة المرموز لها بالرمز (ب) في الحاشية، ويعلّل سبب  
عدوله عما فيها لمخالفتها القواعد العروضية.

فحقّ البيت أن يكون على الشكل التالي مصحوباً بالتقطيع العروضي  
وتفعليلات كل شطر - علماً بضرورة تسكين أواخر الأفعال ضرورةً شعرية حين  
القراءة والتقطيع، ماعدا شُب في أول العجز:

ذأب رحب / رطب صلب / قيس شسب

ب - ب - ب / - ب - ب / - ب - ب - ب

متفعلن متفعلن متفعلن

شُب تصحيف له / كذا شيب

ب ب ب - / - - ب - ب - ب - ب - ب

متعلن / مستفعلن / متفعلن

وبهذا يستقيم البيت وزناً وقافيةً .

وقريباً من هذا بيت في نظم تصريف الزنجاني للنودهي :

بالهمز نحو صائن وبناع ومن مزيد فيه كالمضارع<sup>(١)</sup>

حيث ضبطه محققو المنظومة كما سبق، ولم يسنبه المحققون إلى أنهم أوقعوا الناظم في الإقواء وكان حقهم أن يسكنوا آخر الصدر وآخر العجز ولا ينكسر الوزن هكذا.

بالهمز نحو صائن وبناع ومن مزيد فيه كالمضارع

ب ب - ب - ب - ب - ب / - ب - ب - - / - ب - ب - -

مستفعلن متفعلن متفعل متفعلن مستفعلن متفعل  
 (فعولن) (فعولن)

حيث تدخله علة مركبة، حذف الثاني الساكن، وحذف السابع الساكن، وتسكين ما قبله، وبذلك نجنب إيقاع الناظم في الإقواء الذي يعدُّ ذنباً أكثر منه عيباً.

ولنأت الآن إلى عيوب القافية التي تقع في النظم النحوي - كما تقع في غيره :-

أولاً : الإيقاع

وهو أن يتكرر لفظ القافية في غير بيت، ومعناها واحداً، ويكونان متقاربان

(١) النودهي ، ( نظم تصريف الزنجاني ) ، ٧٢ .

في حدود سبعة أبيات وما دون ذلك<sup>(١)</sup>، للإيطاء؛ على هذا التعريف يتضمن الشروط التالية:

- ١- تكرار لفظ القافية في غير بيت.
- ٢- وحدة المعنى في اللفظين المتكررين.
- ٣- قرب اللفظين (أو البيتين اللذين فيهما اللفظان) بما لا يزيد عن سبعة أبيات. فلو زاد البعد بينهما أكثر من ذلك فلا يعد عيباً، وذلك مثل قول العطار في باب الإعراب في البيت الخامس عشر:  
ورفع ونصب ثم جرّ وجازمٌ      أصولٌ ووزعٌ فرعها فزت بالبشر<sup>(٢)</sup>  
ثم يقول في باب المنادى في البيت الحادي والثلاثين:  
ومثل مضافٍ ما تنكسر مثل يا      غزلاً بلا قصد له، فزت بالبشر<sup>(٣)</sup>  
فهذا ليس بإيطاء لأن بين البيتين خمسة عشر بيتاً، فلا حرج من تكرار لفظ القافية.  
ولو تكرّر لفظ القافية مع اختلاف المعنى بينهما فلا ضير في ذلك، ولا يعد عيباً، وذلك مثل قول العطار في خاتمة منظومته:  
وأل وصحبٍ ما تغنت حمامةً      على غصنٍ بانٍ أملدٍ طيبٍ النشْرِ

(١) انظر جريبات التعريف في: ابن رشيق ١٦٩/١، التنوخي ١٢٥، اسبر ٦١،

وانظر أيضاً ابن رشيق ١٨٨/١ - ١٨٦

(٢) عبدالله الأنصاري، ٤٩٢

(٣) السابق، ٤٩٤

وما حَسَنَ العَطَارُ يَرجو سَلامَةً      بدينِ ودنيا ثمَّ في الحشرِ والنشر<sup>(١)</sup>  
فكر كَلمة (النشر) في قافيتين متتاليتين، وليس بعيب، لأنَّ النشرَ الأولى تعني  
الرائحة، والنشر الثانية تعني البعث.  
ومن ذلك قولُ الحريري في مُلَحَّتِهِ في فصل التمييز:  
وإنَّ تردُّ معرفة التمييز      لكي تُعدَّ مِنْ ذوي التمييز<sup>(٢)</sup>  
فليس بإيطاء لأنَّ التمييز الأول هو، المصطلح النحوي، والتمييز الثاني العقل،  
فاختلاف معنَي اللفظين المتكررين نفى كونه عيباً.  
ومن الإيطاء قولُ ابن مالك في باب إنَّ وأخواتها:  
وتصحَّب الواسطَ معمولَ الخبرِ      والفصل، واسماً حلَّ قبلَهُ الخبر<sup>(٣)</sup>  
فكرو الخبر في قافيتي الشطرين، ولا يعني إلاَّ خبر إنَّ، فكان إيطاء.  
وليس من الإيطاء قول النودهي:  
وحذفُ فالكونها واواً ثبت      والياء في جميع الأحوالِ ثبت<sup>(٤)</sup>  
لأنَّ الشبوتَ الأول هو التيقن، أي تيقن الحذف، وأما الثاني فهو الثبات أي عدم  
الحذف، فليس إيطاءً. ومما لا يُعدُّ من الإيطاء قولُ ابن مالك في باب لا التي

(١) السابق ، ٤٩٢

(٢) الحريري ، ملحة الاعراب ، ٢٦

(٣) ابن مالك ، اللغية ، ٢٠

(٤) النودهي ، ( نظم تصريف الرنجاني ) ، ٦٤

لنفي الجنس:

وَأَعْطِ لَامَعَ هَمْزَةَ اسْتِفْهَامٍ ما تستحقُّ دونَ الاستفهام<sup>(١)</sup>

يقولُ القاضي أبو يعلى التنوخي: (فإن جاءَ في بيتِ «رجلٍ» وفي بيتِ آخرِ

«الرجلِ» بالألفِ واللامِ لم يكن ذلكَ عندهم إيطاءً)<sup>(٢)</sup>.

ومن الإيطاءِ أيضاً قولُ ابن مالك في لاميته:

زيادةُ التاءِ أولاً وإن حصلتْ له فما قبلَ الآخرِ افتحنَ بُولاً<sup>(٣)</sup>.

ثم يقولُ بعده بيتين:

ثالثُ ذي همزٍ وصلِ ضَمَّ مَعَهُ وَمَعَ تاءِ المطاوعةِ اضْمَمَ تَلَوْهَا بُولاً<sup>(٤)</sup>

فكرَّ الجارَّ والمجرورَ (بولا) في بيتين ليسَ بينهما إلا بيتان فهو إيطاء.

ومما ليسَ إيطاءً قولُ حازم القرطاجني:

يا أيُّها الملكُ المنصورُ ملككُ قدَّ شَبَّ الزمانُ به من بعد ما قرماً

ويقولُ في البيتِ الذي يليه:

فلو شأى من مَضَى أدنى مكارمِكُم لم يذكروا بالندى مَعْنًا ولا هَرَمًا<sup>(٥)</sup>

لأن (هَرَمَ) الأولى من الهَرَم وهو كَبُرُ السنِّ ، والثانية عَلِمَ وهو هَرَمُ بنِ سِنان،

المشهور بالكرم.

(١) ابن مالك ، الامية ، ٢١

(٢) التنوخي ، ١٢٦

(٣) عبدالله الانماري ، ( لامية الافعال ) ، ٥٧٤

(٤) السابق ، ٥٧٤

(٥) حازم القرطاجني ، ديوانه ، ١٢٢

وكذلك قولُ الشبراوي في باب الإعراب:

لكلِّ نوعٍ علاماتٌ مفصَّلةٌ فالرفعُ أربعةٌ في قولِ كلِّ وُلِيٍّ<sup>(١)</sup>.

ويقول بعدهُ بسبعةِ أبياتٍ في مرفوعاتِ الأسماءِ:

وكانَ ترفعُ ما قد كانَ مبتدأً اسماً وتنصبُ ما كانَ بعدَ وُلِيٍّ<sup>(٢)</sup>

فَ (وُلِيٍّ) الأولى مخففة الياء وأصلها (وَلِيٍّ) بالتحديد وهو واحدُ الأولياءِ،

و(وُلِيٍّ) الثاني فعلٌ ماضٍ بمعنى تَبِعَ أو تَلَا.

ومن الإيطاءِ في نظمِ حازمِ قوله في المسألة الزنبورية:

وغاظُ عمراً عليٍّ في حكومتهِ يا ليتَه لم يكنُ في أمرِه حكماً

كفيظِ عمروٍ علياً في حكومتهِ يا ليتَه لم يكنُ في أمرِه حكماً<sup>(٣)</sup>

وكذلك قوله:

وفجعَ ابنُ زيادٍ كلَّ منتخبٍ من أهلهِ إذ غدا منه يفيضُ ذماً

كفجعةِ ابنِ زيادٍ كلَّ منتخبٍ من أهلهِ إذ غدا منه يفيضُ ذماً<sup>(٤)</sup>

وهناك ملاحظةٌ لا بدُّ من تسجيلها هنا، وهي كثرةُ الإيطاءِ في المنظوماتِ ذاتِ

القافيةِ الواحدةِ، وقلتهُ في المنظوماتِ المصَّرفةِ المتعددةِ القوافي، ولعل سببَ

ذلك يعودُ إلى الضيقِ والسَّعةِ، فمن ينظِّمُ على قافيةٍ واحدةٍ تضيقُ عليه

(١) عبدالله الانباري ، ٤٩٠

(٢) السابق ٤٩١

(٣) حازم القرطاجني ، ٤٢٢

(٤) السابق ، ١٢٢

القوافي، ومن ينظم على أكثر من قافية يكن الأمر متسعاً عليه، فلا ضيق عليه حيث يجبر على قافيتين فقط، واحدة لكل شطر، ثم يغير هذه القافية في البيت التالي. لكن من ينظم على قافية واحدة - وقد يطول الأمر به فتكون منظومته عشرات أو مئات من الأبيات - مقيد بقوافٍ محددة الوزن والحرف الآخر فيضطر للتكرار، وربما لا يتيسر له أن يكون التكرار مختلف المعنى عن الأول فيقع في الإبطاء.

### ثانياً: التضمين:

عرّفه القاضي أبو يعلى التنوخي بأنه (تمام وزن البيت قبل تمام المعنى) <sup>(١)</sup> وعرّفه مؤلف كتاب (الخليل، معجم في العروض) بأنه: (ألا يستقل البيت بل يكون المعنى مقسوماً بين بيتين) <sup>(٢)</sup>.

ولكن ما مقياس تمام المعنى أو عدم تمامه؟ وهل المعاني كلها يمكن أداؤها ببعض بيت أو بيت من الشعر؟ أوليس هذا إغلاقاً لباب واسع من أبواب الفصاحة؟ إن للعربي - المتكلم باللسان العربي - أن يؤدي معانيه بالقدر الذي يريد من الألفاظ والتعابير ما دام متفقاً وقواعد اللغة - بفروعها - ، فيتفنن في التعبير عن معانيه بأساليب مختلفة ومتعددة - تقصر وتطول - بحسب ما يراه

(١) التنوخي ، ١٢٥

(٢) اسبر ، ٦١

مؤدياً المقصوده. وكذلك الشاعر والناظم، فمع أنه مقيد بالوزن والقافية إضافة إلى قواعد اللغة، فهل نضيق عليه الخناق أيضاً ليضغط المعنى الواحد أو يوسعه ليكون على قدر البيت ويأتي منضبطاً بهذا العدد من الحركات والسكنات المقيدة بالبيت، فإذا زاد عنه أوقعناه في عيب اسمه التضمين، وإذا انتهى به المعنى قبل انتهاء البيت أوقعناه في عيب اسمه القافية المستدعاة.

الأمر كما يبدو مرتبط بالتعريف، أي تحديد مفهوم المصطلح، فتعريف التضمين على ما ذكره القاضي التنوخي يوقع في الإشكال المذكور، فالأصل في التعريف أن يكون جامعاً مانعاً أي جامعاً لكل الجزئيات التي تدخل في التعريف، مانعاً من دخول غيره فيه، فتعريف التضمين على أنه انقسام المعنى بين بيتين، أو أنه تمام البيت قبل تمام المعنى تعريف غير مانع، إذ كلمة ( المعنى ) غير مقيدة بوصف، وليست المعاني كلها بحيث يمكن أن تؤدى بالفاظ معدودة ولناخذ قول امرئ القيس في مطلع معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل      بسقط اللوى بين الدخول فحومل  
فتوضح بالمقراة لم يعف رسمها      لما نسجتها من جنوب وشمأل<sup>(١)</sup>

فالوقوف في مكان واحد أو اثنين أو خمسة أماكن يبكيها الشاعر، هل يعد معنى واحداً أو أكثر؟ وتراه لو وقف في عشرين مكاناً هل يعني معنى واحداً أو أكثر؟ أو كقول ابن مالك في ألفيته:

(١) محمد أبو الغضل إبراهيم ، ديوان امرئ القيس ، ٨



واجْعَلْ لِنَحْوِ يَفْعَلَانَ النُّونَا رَفْعًا وَتَدْعِينَ وَتَسْأَلُونَا

وحذفها للجزم والنصب سمة كلمة تكوني لترومي مظلمة<sup>(١)</sup>

أيعد هذا الكلام معنى أم معاني كثيرة؟ إن في هذين البيتين شرحاً لباب كامل من أبواب الإعراب الفرعي.

هناك تعريف يبدو أنه أدق من التعريفين الأولين، وهو تعريف ابن رشيق حيث يقول: (التضمين: أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها)،<sup>(٢)</sup> حيث خصّ التضمين في هذا التعريف بالتعلق اللفظي، أو التعلق النحوي، أي اكتمال أركان الجملة، وعدم الاضطرار إلى إتمام أحد أركان الجملة أو أحد متعلقاته في بيت آخر، وذلك كقول النابغة:

هُمْ وَرَدُوا الْجَفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عِكاظٍ إِنِّي

شَهِدْتُ لَهُ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ بِخَيْرِهِمْ بِنَصْحِ الصِّدْرِ مِسْنِي<sup>(٣)</sup>

فانتهى البيت الأول مع نقص الجملة الأخيرة منه تركيباً، حيث بقي خبر (إن) إلى البيت الثاني، فهذا يعدّ تضميناً، وهو الأولى، لأن القافية في كل بيت كأنها محطة استراحة، يأخذ بعدها الشاعر نفساً لبدأ بيتاً آخر، فليس من المستحسن الوقف والاستراحة في نصف جملة، أو الوقف على كلام غير تام التركيب والتعلق اللفظي، ولكن لا حرج من الوقف على جملة تامة التركيب ولو

(١) ابن مالك، الافية، ١١

(٢) ابن رشيق، ١٧١/١

(٣) التنوخي، ١٢٥، وانظر: النابغة الذبياني، ١٢٢ - ١٢٤ مع اختلاف يسير

بين رواية الديوان وما أورده التنوخي.

لم تكن هذه الجملة مستقصية للمعنى أو المعاني المراد التعبير عنها.

ومن التضمين قول ابن مالك في الألفية:

وفعلُ أمرٍ ومُضِيٌّ بُنِيَا وأَعْرَبُوا مَضَارِعًا إِنْ عَرِيَا

من نونٍ توكيدٍ مباشرٍ ومن نونٍ إناثٍ كيرُعنُ من فتنٍ<sup>(١)</sup>

لأن الوقف على القافية (عريا) غير متم للجملة، حيث بقي متعلق الفعل وهو

الجار والمجرور، وأتمه في البيت التالي له.

ومثله أيضا قوله في باب النكرة و المعرفة :

وليتني فشا وليتي ندرا ومع لعل اعكس وكن مخيرا

في الباقيات واضطرارا خففا مني وعني بعض من قد سلفا<sup>(٢)</sup>

فهنا تضمين، لأن متعلق اسم المفعول - الذي هو خبر كن - جاء في البيت

الثاني.

ومن التضمين قول ابن مالك في لامية الأفعال:<sup>(٣)</sup>

وشطت الدار نس الشيء حررها والمضارع من فعلت إن جعلها

عينا له الواو أو لاما بجاء به مضموم عين، وهذا الحكم قد بدلا

لما يدل على فخر وليس له داعي لزوم انكسار العين نحو قلا

فهناك تضمينان متتاليان :

(١) ابن مالك ، الألفية ، ١٠ ، باب المعرب والمبني

(٢) السابق ، ١٣

(٣) عبدالله الأثاري ، ٥٧٢

الأول: الإتيان بالفعل في قافية البيت الأول، وإكمال جملته المتمة له في البيت الثاني وهي المفعول الثاني المقدم ونائب الفاعل المؤخر.

الثاني: الإتيان بالجملة في آخر البيت الثاني، وإكمال متعلق فعلها في البيت الثالث، ومتعلق فعلها هو الجار والمجرور.

ومن التضمين قول الشبراوي في باب مخفوضات الأسماء:

عوامل الخفض عند القوم جملتها      ثلاثة إن ترد تمثيلها فقل

غلام زيد أتى في منظر حسن      فانظره واحذر سهام الأعين النجل<sup>(١)</sup>

فختم البيت الأول بالفعل والفاعل المستتر، وجاء بالمفعول به (مقول القول) في البيت الثاني، فوقع في عيب القافية (التضمين)، ولكنه لو قال مثلاً:

عوامل الخفض عند القوم جملتها      ثلاثة هاكها مني على عجل

لما وقع في التضمين - على التعريف الأخير - الذي يعد فيه التضمين لفظياً وليس معنوياً، ولا يقع في الإيطاء لعدم ورود هذه القافية في منظومته.

يقول ابن رشيق: (وكلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة من القافية كان أسهل عيباً من التضمين)<sup>(٢)</sup>.

فمثال ذلك قول الحريري في باب قسمة الأفعال:<sup>(٣)</sup>

وإن أردت قسمة الأفعال      لينجلي عنك صدا الإشكال

(١) عبدالله الانصاري ، ٤٩١ ، ( منظومة الشبراوي ) .

(٢) ابن رشيق ، ١٧١/١ .

(٣) الحريري ، ملحة الاعراب ، ١٨ .

فهي ثلاث ما لهنّ رابع ماضٍ وفعلُ الأمرِ والمضارعُ

ومثلُ قوله في باب الإعراب: (١)

وإن تُردّ أن تعرّف الإعراباً لتقتضي في نطقك الصواباً

فإنه بالرفع ثم الجرّ والنصب والجزم جميعاً يجري

فإنه في المثالين جاء بجواب الشرط في البيت الثاني في كل من المثالين،

وحرف الشرط في كل من المثالين كان في أول البيت الأول في كل منهما، فهذا

- على رأي ابن رشيق - أخفّ عيباً من التضمنين.

ومثله قولُ الشبراوي في باب منصوبات الأسماء: (٢)

وبعد ذكرى لمرفوعات الأسم على ترتيبها السابق الخالي من الزلل

أقول جملة منصوباته عدداً عشرَ وسبع وهذا أوضح السبل

فتعلق الظرفُ الكائنُ في أول البيت الأول بالفعل الكائن في أول البيت الثاني.

ولست هنا بصدد استقصاء ماورد من تضمينات المنظومات النحوية المتيسرة،

فليس هو المقصود، ولكن لا بد من الإشارة إلى أمرٍ يلفت انتباه من يستعرض

تضمينات المنظومات، ألا هو كثرة التضمنين في المنظومات المتعددة القافية

بالنسبة للمنظومات ذوات القافية الواحدة.

فهناك منظومة ابن مالك «ماورد بالواو والياء من الأفعال» وهي مؤلفة من

(١) السابق ، ٢١

(٢) عبدالله الانصاري ، ٤٩١ ، ( منظومة الشبراوي ) .

ثمانية وستين بيتاً ليس فيها أي تضمين، وهناك أيضاً منظومة حسن العطار في النحو، وهي مؤلفة من سبعة وخمسين بيتاً ليس فيها أي تضمين، ومنظومة الشبراوي في النحو مؤلفة من خمسين بيتاً فيها تضمينان اثنان فقط، أحدهما كان بإمكانه تلافيه، والثاني من النوع السهل - برأي ابن رشيق - ومنظومة حازم القرطاجني المؤلفة من مئتين وسبعة عشر بيتاً فيها تضمينان اثنان فقط. وكل هذه المنظومات من ذوات القافية الواحدة.

أما المنظومات المتعددة القوافي فكثرت فيها التضمين - نسبياً - كملحة الإعراب للحريري وألفية ابن مالك ومنظومات النودهي وغيرها.

ولكن هذه الملاحظة أنخرمت في لامية الأفعال لابن مالك، المؤلفة من مائة وأربعة عشر بيتاً، فقد ورد فيها أربعة عشر تضميناً.

لعل الأمر مرتبط بالطول والقصر، فالمنظومات ذوات القافية الواحدة بحورها طويلة وفيها من المتسع ما يكفي لإتمام الجمل إلا ما ندر، والمنظومات المتعددة القوافي بحورها قصيرة فليست دائماً تتسع لكل أنواع الجمل ومتعلقات أركانها، فيضطر الناظم على البحور القصيرة، لإتمام جملة ولا يكون ذلك إلا بسوقه في التضمين.

أما لامية الأفعال لابن مالك فإنها منظومة صرفية جاءت على البحر البسيط، ورويتها اللام المفتوحة، ولم أجد سبباً لخروجها عن المنظومات ذوات القافية الواحدة في انفرادها عنها في كثرة التضمينات إلا كونها في الصرف،

فالمنظومات التي بين يدي وجاءت على قافية واحدة هي:

- ١- منظومة الشبراوي في النحو بسيط
- ٢- منظومة حسن العطار في النحو طويل
- ٣- منظومة حازم القرطاجني في النحو بسيط
- ٤- منظومة ابن مالك فيما ورد بالواو والياء من الأفعال كامل
- ٥- لامية الأفعال لابن مالك بسيط

فالثلاثة الأولى كلها في النحو، والرابعة التي لما ورد بالواو والياء من الأفعال، وعدتها ثمانية وستون بيتاً مع المقدمة والخاتمة، نظمها ابن مالك لإيراد الأفعال التي لامها معتل ويكون بالواو والياء، فهي بمثابة تعداد لهذه الأفعال فكان يضع في كل بيت فعلاً أو اثنين ويورده بالحالين : حال كونه بالواو مرة وحال كونه بالياء أخرى، مثل:

مالي فما ينمو وينمي زاد لي وحشوت عدلي يا فتى وحشيتة<sup>(١)</sup>

والقصيدة كلها على هذا النمط فلا مجال للتضمنين فيها.

فبقيت لامية الأفعال لابن مالك ذات التضمنات الكثيرة، ولكأن سبب ذلك كونها في الصرف، وذلك لأن قواعد الصرف كثيرة الفروع والجزئيات، فلكل متغيرات كثيرة يحتاج لضبط كل متغير منها في كل قاعدة مثل:

١- عدد الحروف

- ٢- موقع كل حرف .
- ٣- حركة كل حرف .
- ٤- حروف العلة وموقعها وتغييراتها .
- ٥- الصيغة أو الوزن .
- ٦- الدلالة .

فمثلاً : اشتقاق اسم الفاعل واسم المفعول مما زاد على الثلاثة أحرف، يقول ابن مالك في لاميته: <sup>(١)</sup>

وباسم فاعل غير ذي الثلاثة جىء وزن المضارع لكن أولاً جعلاً  
ميم تضم وإن ما قبل آخره فتحت صار اسم مفعول وقد حصل  
فهناك لاسم الفاعل:

- ١- كونه زاد على ثلاثة أحرف.
- ٢- وزن مضارعه.
- ٣- حذف حرف المضارع ووضع ميم مضمومة مكانها.
- ٤- كسر ما قبل الآخر.
- ولاسم المفعول يبدل رقم ٤ بما يلي:
- ٤- فتح ما قبل الآخر.

ففي المنظومات الأخرى - المتعددة القوافي - لم أجد أحداً نظمها من غير أن يقع

في التضمين، إلا السيوطي، فقد نظمها من غير تضمين إلا أنه وقع في إخلال بالقواعد، يقول: (١)

وغير ذي الثلاث كالمضارع مع ضمّ ميم ثم كسر رابع  
وإن فتحت فاسم مفعول، وذو - - - - -

فهو أولاً : قال (مع ضمّ ميم) ولم يبين أنها المبدلة من حرف المضارعة.  
ثانياً: قال كسر رابع، مع أنه قد يكون ثالثاً (أكرم اسم فاعل مكرم)، وقد يكون خامساً (استخرج اسم فاعل مستخرج).

إذن فكثرة المتغيرات التي تخضع لها قواعد الصرف تحول دون نظمها مع ضبط كل المتغيرات، ودون الوقوع في خطأ أو إخلال بالقواعد مع الحفاظ على الوزن والقافية إلا نادراً.

السناد: مع كثرة التعريفات التي وضعها العلماء للسناد إلا أن جُلّ هذه التعريفات تدور حول شيء واحد، هو اختلاف في حروف وحركات القافية مما هو قبل الروي، وخالف

هنا الرماني إذ قال: (... قبل حرف الروي أو بعده) (٢) فهذه الاختلافات في حركات القافية قبل حرف الروي منها ما ليس بمعيب، ومنها المعيب، وهو الأكثر. فما ليس بمعيب تعاقب الواو والياء في الردف بشرط كون كل منها

(١) السيوطي، الخرائد الجديدة، ٨٠٤/٢

(٢) ابن رشيق، ١٦٩/١



مسبوقة بحركة من جنسه.<sup>(١)</sup>

والسناد أنواع كثيرة، تفصيلها في ما يلي مع التمثيل من المنظومات - ما وجد منها فيها:-

١- سناد الردف: وهو اختلاف القافية بالردف، كأن يكون بيت ذو قافية مردفة، وبيت آخر قافيته خالية من الردف.<sup>(٢)</sup>

ولم أقع في المنظومات التي بين يدي إلا على سناد ردف واحد، وقع في الدرّة البهية نظم الأجرومية للعنبري وهو قوله في باب منصوبات الأسماء:-  
فكلها تأتي على ترتيبه أولها في الذكر مفعول به<sup>(٣)</sup>

فأردف قافية الصدر بياء مسبوقة بكسر، ولم يردف قافية العجز، فوقع في سناد الردف.

وهناك موضع في منظومة النودهي (نظم تصريف الزنجاني) يوهم أن فيه سناد ردف، والموضع هو:

ويأذب أودب ويجوز في سأل يسأل وأسأل سأل مع يسأل<sup>(٤)</sup>

فالبيت بهذه الصورة يوهم أن فيه سناد ردف، إذ وقعت الألف قبل الروي في العجز فكانت ردفاً، ولم يقع مثلها في قافية الصدر. ولكن بعد إعادة النظر

(١) انظر تعاريف السناد في: ابن رشيقي، ١٦٩/١، التنوخي، ١٢٠، اسير، ٦١، الشهابي ١٢٥.

(٢) اسير، ٦١.

(٣) ابو محمد السالمي، النواهب السنية على الدرّة البهية، ٥٠/٢.

(٤) النودهي، ٩٤ (نظم تصريف الزنجاني).

في وزن العجز تبين أن ضربه يأتي على (مُتَفَعٌ) = (فَعُولٌ)، وليست هذه التفعيلة مما يقع في الرجز بحال.

وبالنظر في البيت الذي يلي هذا البيت، وهو :

سل وآب ساء مثل صانَ جائي ككال وهو جاء سائي<sup>(١)</sup>

تبين أن فيه خطأين عروضيين:

١- كون كلمة سل زائدة في وزن الصدر.

سل وآب ساء مثل صان جائي

- /ب-ب-ب-ب- /ب-ب-ب-ب-

٢- العجز بصورته المذكورة ليس مستقيماً:

ككال وهو جاء سائي

ب-ب-ب-ب- /ب-ب-ب-ب-

فمعالجة الخطأ الأول تزيل الإيهام الذي أوقع فيه البيت السابق، حيث تعاد

كلمة (سل) إلى عجز البيت الأول فيصبح على الوجه التالي:

ويأدب اودب ويجوز في سأل يسأل واسأل سال مع يسأل سل

فيستقيم وزن العجز، ويزول الإيهام بوجود سناد ردف في البيت، ويستقيم وزن

صدر البيت الثاني.

أما الخطأ الثاني الذي هو في عجز البيت الثاني فيستقيم برده (جاء) إلى

أصلها لتصبح (جايئ) وإضافة واو بينها وبين (سائي) وتضبط (وهو) على تسكين الهاء، وليس على تحريكها كما ورد في المنظومة، فتكون صورة العجز الأخيرة كما يلي:

ككأل وهو جايئ وسائي

ب-ب- ب-ب- ب-ب-

فالصورة الأخيرة للبيتين بعد تصويب المخالفات فيها تصبح كما يلي :

ويأدب اودب ويجوز في سأل يسأل واسأل سال مع يسال سل

وآب ساء مثل صان جائي ككأل وهو جايئ وسائي

وهناك ملاحظة وردت في منظومة ابن مالك «في ما رود بالواو والياء من الأفعال»، حيث جاءت قافية القصيدة تاء مضمومة مسبوقة بياء أو واو ساكنة مفتوح ما قبلها، ما عدا بيتاً واحداً، وهو :

وجثوت تجثو أي جلست فقله مع تجثي كذاك عنى أتى فنظمته<sup>(١)</sup>

وليس هذا بسناد ردف، لأن الياء هنا حرف لين وليس حرف مد، أي ليست مسبوقة بحركة من جنسها - أي الكسرة - بل مسبوقة بفتح، فليس الياء هنا ردفًا، ولا تعد القافية مردفةً، وبالتالي فليس هناك سناد ردف، وإنما وجبت الإشارة إلى هذا البيت لشذوذه عن القصيدة كلها.

وهناك سناد ردف آخر وقفت عليه في منظومة «الحصن الحصين في علم

التصريف» لعبدالله بن فودي النيجيري في باب (فعل المضموم وتصاريفه):

يكثر فيه فعل وفعل<sup>١</sup> وبعضهم قياسه يقول<sup>١١</sup>

فهو أردف قافية العجز بالواو المسبوقة بضمّ، ولم يردف قافية الصدر، فوقع في سناد الردف.

ويذكر هنا أيضا أنّ ملحّة الإعراب للحريري وعدتها ثلاثمائة وسبعة وسبعون بيتاً ليس فيها سناد ردف، مع أنّ فيها مائة وعشرة أبيات مردفة - أي ما يقارب ثلثها -.

وسبب ندرة هذا العيب في المنظومات - الخاضعة للدراسة - هو استقباح هذا العيب، وكون الناظمين يصنعون صناعةً لفظيةً منظّمةً، فالصانع يتجنب العيب الظاهر والمستقبح في صنّعه، مع أنه قد يفلت منه من العيوب البسيطة التي لا تكاد تبين.

-٢- سناد التوجيه:

ويقع في القوافي المقيدة، وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي الساكن. وذلك كقول النودهي في نظمه تصريف الزنجاني:

(١) ابن فودي ، ٤٩ ، البيت رقم ١٤

ثانيةً من همزتيه قد نبذ وقيل تيه مشبهاً له بخذ<sup>(١)</sup>

فقد تحركت الباء التي قبل الروي (الذال الساكنة) في الصدر بالفتح، وتحركت الخاء التي قبل الروي في العجز بالضم، فسمي سناداً توجيه. وكقول ابن مالك في باب إعمال المصدر من ألفيته:

إن كان فعل مع أن أو ما يحل محله ولاسم مصدر عمل<sup>(٢)</sup>

فتحرك الحرف الذي قبل اللام الساكنة بالضم في الصدر، وتحرك نظيره في العجز بالفتح، فكان سناداً توجيه.

- ٣ -

سناد التأسيس؛ والتأسيس - كما مر - وجود ألف قبل الروي بحرف، وهي ملتزمة، والإخلال بها في قافية يعد سناداً تأسيس، فمن ذلك قول الحريري في باب البناء:

وكل مبني يكون آخره على سواء؛ فاستمع ما أذكرة<sup>(٣)</sup>

فجاءت الألف قبل الروي بحرف في الصدر فكانت تأسيساً، ولم يأت الناظم بمثلها في العجز فوق في سناد التأسيس. ومثل ذلك قول النيجيري:

كفعل وقل كالفراية حلم وخفض حمق رفهنيه<sup>(٤)</sup>

فأسس الصدر ولم يؤسس العجز. ومثله قول أحمد جابر حمدان في نظم متن

(١) النودهي ، ٦٥

(٢) ابن مالك ، اللغية ، ٢٥

(٣) الحريري ، ملحة الاعراب ، ٧١

(٤) ابن قودي ، ٤٦

المقصود في باب تصريف أحمر وعطشان:

واجمعهُما على عِطاشٍ وانقل لها السماع غير وزن فاعل<sup>(١)</sup>

حيث أسس قافية العجز ولم يؤسس قافية الصدر. والأبيات التالية من مواضع

متعددة في نظم متن المقصود:

كذا اللفيف مطلقاً والأجوف ومثله المهموز والمضاعف<sup>(٢)</sup>

جملة ما جاء لكل واحد أربعة مع عشرة فاعتمد<sup>(٣)</sup>

ككل ما دل على لونٍ معاً فعل السجايا أو كفعل طاوعا<sup>(٤)</sup>

-٤- سناد الإشباع:

وهو اختلاف حركة الدخيل، وهو الحرف المتوسط بين حرف الروي وحرف

التأسيس، وليس بمستقبح. كقول ابن مالك في باب إعمال اسم الفاعل:

وكل ما قرّر لاسم فاعل يعطى اسم مفعول بلا تفاضل<sup>(٥)</sup>

فحركة الدخيل في الصدر كسر وهي في العجز ضم.

وكقوله أيضاً في باب جمع التكسير:

فواعل لفوعل وفاعل وفاعلاء مع نحو كاهل

(١) أحمد جابر جبران ، فتح الودود ، ٥٢

(٢) السابق ، ٥٦

(٣) السابق ، ٥٧

(٤) السابق ، ٦٤

(٥) ابن مالك ، اللغية ، ٢٥

وحائضٍ وصاهلٍ وفاعله<sup>(١)</sup> وشذ في الفارسي مع ما ماثله<sup>(٢)</sup>

وكقول النودهي في نظم تصريف الزنجاني:

يُدعى مثالا إذ صحيحاً ماثلاً في كونه للحركات قابلاً<sup>(٣)</sup>

٥- سناد الحذو: وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الرفع بين بيت وآخر. فالأصل في الرفع أن يسبق بحركة من جنسه، فإذا أردت القصيدة أو البيت المصروع، وجاءت إحدى القوافي بردف مسبق بحركة من غير جنسه فهو سناد حذو. ولم أجده - في ما بين يدي من المنظومات - إلا في موضع واحد عند الحريري إذ يقول في باب التصغير:

فَصَغَّرَ النَّارَ عَلَى نُؤِيرِهِ كَمَا تَقُولُ: نَارُهُ مُنِيرُهُ<sup>(٤)</sup>

فجاء الرفع في العجز ياءً مكسوراً ما قبلها، ولكنه في الصدر فتح ما قبل الياء، فكان سناد حذو.

### القافية المستعملة:

ومما أخذ على القوافي اجتلابها لذاتها دون أن يكون لها صلة بالسياق التعبيري، يقول محققا كتاب القوافي: (وأخذ على الشعراء غير هذه الأعراض، كمثّل ما جاء في الفقرة المتقدمة، وهو أن يجتلب الشاعر قافية لا صلة لها

(١) السابق، ٥٦

(٢) النودهي، ٦١، وانظر فيه المواضع التالية: ٤٩، ٥٦، ٦٧، ٨٠، ١٠٥.

(٣) الحريري، ملحة الاعراب، ٥٢

بالمعنى، أو منبته من العملية الشعرية احتاج الشاعر إليها لتابعة قصيدته فإذا هو يغلط<sup>(١)</sup>.

يقول أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين: (ومن عيوب القوافي أن تكون القوافي مستدعاة لا تفيده معنى وإنما أوردت ليستوي الروي فقط)<sup>(٢)</sup>.  
فمثل ذلك قول حازم القرطاجني في باب رافعات الأسماء:

ومصدر، واسم فعل بين مرتجل، وذي اشتقاق غدا ينقاس أو عقم<sup>(٣)</sup>

فقوله: (أو عقمًا) اجتلبها لإتمام البيت، واجتلبها قافيةً أيضاً، وتفصيل ذلك أنه يعدد رافعات الأسماء أي عوامل الرفع في الأسماء فذكر المصدر، ثم ذكر اسم الفعل، وقسمه إلى قسميه:

١- المرتجل مثل هيهات، شتان، سرعان، أف،

٢- المقيس المشتق مثل نزال تراك حذار،

فقصد بقوله: (أو عقمًا) أنه غير مشتق ولا مقيس، أي المرتجل الذي عقم من الاشتقاق، فهو أولاً عبّر عن الجمود بالعقم، وثانياً أنه بعد أن قسم أسماء الأفعال إلى قسمين: المرتجل والمشتق المقيس، كرر معنى المرتجل بقوله (أو عقمًا) وذلك لإتمام البيت، ولإلتيان بقافية موافقة لقوافي القصيدة. ومثله قول

(١) التنوخي، مقدمة التحقيق (عمر الاسعد، ومحبي الدين رمضان).  
(٢) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ٤٥٠.  
(٣) حازم القرطاجني، ديوانه، ١٢٦.



الحريري في ملحته في باب إعراب الاسم المقصور:

وليس للإعراب في ما قد قُصِرَ من الأسمي أثرٌ إذا ذُكِرَ<sup>(١)</sup>

فإن القاعدة تَمَّتْ عند قوله (أثر) أي أنه ليس للإعراب أثرٌ ظاهرٌ في الأسماء المقصورة، وجاء قوله: (إذا ذكر) إتماماً للبيت والقافية.

ومثله قول ابن مالك في باب المعرب والمبني.

وما بتا وألفٍ قد جُمِعَا يكسُرُ في الجرِّ وفي النصبِ معاً<sup>(٢)</sup>

فإن القاعدة النحوية قد تَمَّتْ عند قوله وفي النصب، إلا أن الوزن لم يكتمل، ويحتاج إلى كلمة تنتهي بعين مفتوحة لتكون قافيةً تأتي بكلمة (معاً) لذلك.

ومن القافية المستدعاة قول الشبراوي في الأبيات الثلاثة التالية متتالية من باب "في الإعراب اصطلاحاً":

والجزمُ للفعلِ فالأنواعُ أربعةٌ وليس للحرفِ إعرابٌ فلا تُطلِ

وقد تبين أن الإسم ليس له جزمٌ وليس لفعلٍ جرٌّ متصلٌ

لكلِّ نوعٍ علاماتٌ مفصَّلةٌ فالرفعُ أربعةٌ في قولِ كلِّ وُلِيٍّ<sup>(٣)</sup>

فالأبيات الثلاثة السابقة للشبراوي اضطر فيها الناظم لاستدعاء واجتلاب قوافٍ

ليس فيها مزيدٌ فائدة بعد تمام القاعدة المقصودة، وتفصيل ذلك:

١- البيت الأول انتهت قواعده عند قوله ( وليس للحرفِ إعرابٌ )، فجاء قوله

(١) الحريري ، ملححة الاعراب ، ٢٤

(٢) ابن مالك ، الالفية ، ١١

(٣) عبدالله الانصاري ، ٤٨٩

(فَلَاتُطَلِّ) لإتمام الوزن والقافية، وليس فيه مزيدُ فائدة.

-٢- البيت الثاني آخره : (وليس لفعلٍ جرٌّ متصلٍ) ولكن يا ترى، هل له جرٌّ منفصل؟ فكلمة (متصلٍ) مُجتَلَبَةٌ فقط لإتمام الوزن والقافية .

-٣- قوله في عجز البيت الثالث: (فالرفع أربعة في قولٍ كلٍّ ولي)، ما علاقة الأولياء بالنحو وقواعده؟ فقوله ( في قولٍ كلٍّ ولي) جاءت كلها لإتمام الوزن والقافية، إذ الأصل أن أي زيادة في المبنى يرافقها زيادة في المعنى.

بقي أن أشير إلى المنظومات ذات القافية الواحدة وما تتضمنه من القوافي المستدعاة نظراً لطول البيت فيها، لكن هذا مدحوض بكون الطول والسعة يفتح أمام الناظم باب التصرف في التمثيل والإكثار منه، وإن حدث أن ضاق البيت الواحد بالقاعدة ومثالها فإن الناظم يسلك إحدى الطرق التالية:

-١- استعمال كلماتٍ وجملٍ توكيدية، حيث يؤكد معنى سبق بلفظٍ جديدٍ موافقٍ للقافية، وذلك مثل:

أ- قول ابن مالك في لاميته في باب أبنية أسماء الفاعلين والمفعولين:

وفاعِلٌ صالحٌ للكلِّ إن قصِدَ الـ      حدوثٌ نحو غداً ذا جاذلٍ جَدلاً<sup>(١)</sup>

ف (جدلاً) مفعول مطلق يؤكد اسم فاعله الدال على الاستقبال.

ب- قول العطار في باب المبتدأ والخبر ونواسخهما:

وأشبهه ظنَّ النَّصَبَ تعملُ فيهما كخلتُ حبيبي مفردُ الآنِ والدهرِ<sup>(١)</sup>  
فكلمة (الدهر) بمعنى (الآن) إلا أن بينهما عمومًا وخصوصًا، فأتى بالخاصِّ  
أولاً ثم عطفَ عليه العامَّ لموافقةِ الوزنِ والقافية.

ج- قول الشبراوي في مرفوعات الأسماء:

وخذ بقية أبواب النواسخِ إذْ كانت ثلاثاً وذاك الثلثُ لم يُقل<sup>(٢)</sup>  
فمعروفٌ بعد أن ذكر (كان) وأخواتها، وإنَّ وأخواتها، أنه لم يذكر الأفعالَ  
التي تنصبُ مفعولينِ الناسخةَ للابتداء، فجاء قوله (إذ... لم يقل) توكيداً  
وتفصيلاً احتاج إليه ليقيم به البيتَ والقافية.

د- قول حازم القرطاجني:

إن الكلامَ هو القولُ الذي حصلتْ به الإفادةُ لما تمَّ والتأماً<sup>(٣)</sup>.

استعمال عباراتٍ وجملٍ تنبيهيةٍ وتحذيريةٍ: -٢

أ- كقول الشبراوي في منصوبات الأسماء:

وبعد نفيٍ وشبهِ النفيِ إنَّ وقعتْ «إلا» يجوزُ لك الأمرانِ فامتثل<sup>(٤)</sup>.

فنبه بقوله (فامتثل) إلى الالتزام بالقاعدة المذكورة، من حيث جواز إعراب ما  
بعد (إلا) بعد النفي إما استثناءً وإما بحسب الموقع.

(١) السابق ، ٤٩٣

(٢) السابق ، ٤٩٠

(٣) حازم القرطاجني ، ١٢٥

(٤) عبدالله الانصاري ، ٤٩١

ب- قول العطار في تعريف الكلام والكلمة والكلم:

ومصطلح النحوي أن كلامه إفادة تركيب بوضع له، فأدري<sup>(١)</sup>

وقوله في باب حروف النصب والجزم:

وأن ثم كي لام الجحود ولن إذاً وحتى لها نصب المضارع، فاستدّر<sup>(٢)</sup>

ج- قول ابن مالك في لاميته في باب أبنية الفعل المزيد فيه:

واعلوط اعثو ججت بيظرت سنبل زم سلق اضممن تسلقى واجتنب خللاً<sup>(٣)</sup>

د- قول حازم في ناصبات الأسماء:

وناصب الإسم فعل أو مشابهه فكن لمعرفة الأشباه ملتتهما<sup>(٤)</sup>

فعجز البيت أمر وتنبية لضرورة معرفة ما أشبه الفعل.

استعمال عبارات أخرى كمدح مثلاً أو أمر أو تفسير كلمة وردت في البيت، أو

غير ذلك. فمن ذلك قول ابن مالك في لاميته: <sup>ح</sup>رَّ

تَرَّتْ وَطَرَّتْ وَدَرَّتْ جَمَّ شَبَّ حِصَا نَ عَنَّ أَوْ شَدَّ شَحَّ أَي بَخِلَا<sup>(٥)</sup>

وكقوله:

مَزَلَةٌ مَفْرِقٌ وَمَضِلَّةٌ وَمَدْبٌ مَبٌّ مَحْشَرٌ مَسْكَنٌ مَحَلٌّ مَن نَزَلَا<sup>(٦)</sup>

(١) السابق ، ٤٦٢

(٢) السابق ، ٤٩٥

(٣) السابق ، ٥٧٢

(٤) حازم القرطاجني ، ١٢٦

(٥) عبدالله الانصاري ، ٥٧٢

(٦) السابق ، ٥٧٨

وقول العطار في باب المنادى:

ومثلُ مضافٍ ما تنكَّرُ مثلُ يا      غزالاً بلا قصدٍ له، فزَّتْ بالبشر<sup>(١)</sup>

وقول الشبراوي في الإعراب اصطلاحاً:

فالرفعُ والنصبُ في غيرِ الحروفِ وما      يختصُّ بالجرِّ إلاَّ الإِسْمُ فاحتفل<sup>(٢)</sup>

وقول حازم في باب أصناف العوامل:

وعاملُ الرفعِ قَدَمُهُ ومنهُ إلى      عواملِ النصبِ والخفضِ انقلِ القَدَمَا<sup>(٣)</sup>

وقول ابن مالك في منظومته في ما ورد بالواو والياء من الأفعال ، ولعله

البيتُ الوحيدُ في هذه المنظومة الذي احتاج فيه ابن مالك إلى أن يورد شيئاً

يتمم به الوزن والقافية:

نَغَوٌّ وَنَغْيٌ لِلْكَلامِ وَهَكَذَا      مَغَوٌّ وَمَغْيٌ فَأَذِرْ ما أَبْدَيْتَهُ<sup>(٤)</sup>

أثار القافية في عرض المادة النحوية:

أولاً: الآثار الإيجابية:

١- القافية مستراحٌ ومنتهى للدفقة الموسيقية المتكررة في كل بيت، فتقع في الأذن

موقعها، وتصل في النفس إلى مكانها فتؤثر فيها، فحسن اختيار القافية

(١) السابق، ٤٩٤

(٢) السابق ، ٤٨٩

(٣) حازم القرطاجني ، ١٢٦

(٤) عبدالله الانماري ، ٥٨٢

يُوجدُ الأثرُ الحسنُ في النفس.

٢- القافية مظهرٌ من مظاهر الجمال التعبيري إذا التزمَ فيها ما يلتزمُ واجتنَبَ فيها ما يجتنَبُ، فإن كانت كذلك كان لها أثرٌ في كسر جمود القواعد العقلية البحتة وتحبيبها إلى النفس.

٣- في المنظومات المتعددة القوافي (المصرّعة) متسعٌ للناظم للإتيان بما شاء من القوافي، فليس ملزماً بحشدٍ عددٍ كبيرٍ من الكلمات المشتركة في الحرف الأخير والصيغة والموقع الإعرابي، بل إنه لا يحتاج في البيت الواحد إلا إلى قافيتين متفقتين وهذه ميسورة التناول للناظمين، ولعلّ هذه الميزة تفسرُ غلبة المنظومات المتعددة القوافي كثرةً وانتشاراً بالنسبة للمنظومات ذوات القافية الواحدة.

٤- المنظومات ذوات القافية الواحدة أسهل حفظاً من جهة التزام قافية واحدة في كل أبياتها، مع أن طول هذه البحور قد يبطل هذا الأثر، أو يقلل من أهميته. وكثرة القوافي في المنظومات المتعددة القوافي تقلل من هذا الأثر، أي سهولة الحفظ، مع أن قصر البحر وخفته وتوالي الحركات والسكنات فيه - خاصة الرجز - يزيد هذا الأثر ويقربه.

### ثانياً: الأثر السلبي:

١- القافية قيدٌ جديدٌ يُضاف إلى القيود المفروضة على الناظم، يجب عليه التزامها في كل بيت.

٢- التلصیلات التي يخضع لها علم اللوامي كثيرة، فالناظم مفقلاً بالإحاطة بهذه التفصیلات، من حروف وحركات، وما يلتزم منها وما لا يلتزم، فجهله بذلك أو ببعضه يوقعه في عيوب القافية التي تصبح مأخذاً يؤخذ عليه.

٣- في المنظومات ذوات القافية الواحدة يلتزم الناظم بحشد كلمات بعدد أبيات منظومته تنتهي كلها بحرف واحد، ويكون كثير منها على صيغة واحدة وتكون كل واحدة منها لها موقع إعرابي محدد ينتج حركة إعرابية واحدة، في كل هذه الكلمات، ويلزم بعدم تكرار الكلمة الواحدة قافية في مالا يقل عن سبعة أبيات، وكون كل كلمة خاتمةً لجملة تامة. فمخالفة شيء من الأمور السابق ذكرها يصبح عيباً، وتفصيل ذلك:

- أ- اختلاف الحرف الأخير (الروي) يوقع في عيب الإجازة والاكفاء.
- ب- اختلاف حركته يوقع في الإقواء والاصراف.
- ج- اختلاف الصيغة يوقع في السناد ( اختلاف حركات ما قبل الروي).
- د- تكرار الكلمة ثانية في أقل من سبعة أبيات يوقع في الإبطاء.
- هـ- واحتياج القافية إلى ما بعدها تركيباً يوقع في التضمن.

٤- القافية والوزن العروضي الملتزمان في كل بيت من أبيات القصيدة - في المنظومات ذوات القافية الواحدة - يشكلان عقبةً وحائلاً دون استمرار الناظم في أدائه النظمي، بخلاف تعدد القافية وقصر البحر اللذين يفتحان أمام الناظم باب الإطالة كما يريد بحسب ما يقتضيه الموضوع المنظوم فيه.

ولعل هذا يفسر طول المنظومات المتعددة القوافي، وقصر المنظومات ذات القافية الواحدة، أي أنّ عدد الأبيات يختلف من هذه إلى تلك. فهذه موازنة سريعة بينهما في عدد الأبيات:

المتعددة القوافي  
ذوات القافية الواحدة

- ١- الشافية الكافية لابن مالك أكثر من  
ثلاثة آلاف بيت.  
لامية الأفعال لابن  
مالك ١١٤ بيتاً
- ٢- ألفية ابن مالك ١٠٢٢ بيتاً  
منظومة الشبراوي ٢١٧ بيتاً
- ٣- ألفية الأثاري ١٠٢٠ بيتاً.  
منظومة الشبراوي ٥ بيتاً
- ٤- ملحّة الأعراب ٣٧٧ بيتاً  
منظومة العطار ٥٧ بيتاً
- ٥- الفريدة للسيوطي أكثر من ١٠٠٠ بيت  
منظومة ابن مالك فيما ورد بالواو والياء  
من الأفعال ٦٨ بيتاً

٥- القافية تُضطرّ الناظم لاستعمال مصطلحات غير مستعملة في التعبير النحوي، أو أن يبدل ببعض المصطلحات كلمات يرى أنّها تحل محلّها في المعنى والقافية، فمن ذلك قول الحريري في باب إن وأخواتها :

وستة تنتصبُ الأسماءُ بها كما ترتفعُ الأنباء<sup>(١)</sup>

فعتبر عن (الأخبار) بكلمة (الأنباء)، ولو أنّ هذا الإبدال في غير المصطلح لجاز

(١) الحريري ، ملحّة الاعراب ، ٤٥



له ذلك، فالنباُ خبرٌ والعكس صحيح، لكن الخبر في المصطلح النحوي الذي هو الاسم المرفوع المتم الفائدة يختلف عن الخبر الذي هو النبا، والذي اضطره لذلك هو القافية .

٦- القافية مضافة إلى الوزن، تحدُّ من قدرة الناظم على الأداء التعبيري في كل ما يريد التعبير عنه، أما الأمور التي يعبر عنها الناظم النحوي - عادةً - والآثار النظامية الظاهرة فيها فهي :

أ- القواعد النحوية:

عندما يعبر العالم عن القواعد النحوية نثراً تجده يختار من الألفاظ والتراكيب ما يشاء مما يراه محققاً لمقصوده، لكنه إذا أراد أداءها نظماً فليس له من التصرف إلا ما يوافق الوزن والقافية، وهذا يؤدي بالناظم إلى تعدد أسلوب التعبير، ويؤدي به إلى التقديم والتأخير، ومن التقديم والتأخير ما لا يكون معتاداً أو مألوفاً - كقول ابن مالك :

وما بتا وألف قد جمعاً يكسر في الجر وفي النصب معاً<sup>(١)</sup>

فوقع في ما يلي:

١- لم يستطع التعبير عن جمع المؤنث السالم بلفظه .

٢- الأصل في استعمال النحويين (ألف وتاء) على ترتيبها في الكلام، لكن الوزن اضطره إلى التقديم والتأخير غير المألوفين .

(١) ابن مالك ، الالفية ، ١١

اضطرّ إلى إكمال عجز البيت بقوله (معا)، وليس فيها من فائدة، إلا أنه استدعاها لتمام الوزن، وكونها قافيةً موافقةً لقافية الصدر.

ب- الأمثلة التي يوضح بها الناظم القاعدة النحوية: "يتحكم النظم -وزناً وقافيةً- في أداء الناظم أمثله فربما ضاق به النظم فلا يجد متسعاً للتمثيل، وربما اتسع معه المجال فتجده إما أن يطيل في مثاله وإما أن يعدد الأمثلة، فلا يسير على نمط واحد في تمثيله، وربما ضاق به التمثيل نظماً فجاء بأمثلة غير مألوفة، أو يضطر إلى التكلف والصنعة في المثال.

ج- الشواهد النحوية :

الشواهد النحوية نصوص مسموعة من عصور الاحتجاج، وهذه النصوص لا يجوز التغيير فيها، لأن الاستشهاد بها آت من جهة ائتلاف أجزائها لتكون كلاماً فصيحاً محتجاً به على هيئته التي هو عليها، إضافة إلى أن منها ما هو مقدس لا يجوز التصرف فيه بتغيير الشواهد القرآنية، ومنها ما هو شعر جاء على بحرٍ معيّن وقافيةٍ محددة، فكيف بالناظم الذي يريد الاستشهاد بهذه النصوص على كيفية معينه لاتوافق - في الغالب - الهيئة أو الكيفية التي جاءت عليها تيك النصوص أو الشواهد ؟

فالناظم أمامه الخيارات التالية:

١- أن يستشهد بالشاهد الشعري الموافق لبحره وقافيته كما هو عليه - وهذا

نادرًا، إذ لم يقع إلا في شاهدين اثنين<sup>(١)</sup> في المنظومات التي أخضعتها للدراسة .

٢- أن يستشهد بالشاهد الشعري المخالف في البحر والقافية إما بمعناه مع محاولته الإتيان بموضع الشاهد كما هو، وإما التصرف في الشاهد بتغيير الفاظ منه أو تجزئته، أو ما أشبه ذلك .

٣- أن يشير إلى الشاهد إشارة دون أن يذكر منه شيئاً .

٤- الشواهد القرآنية، يقتصر الناظم على إيراد جزء من الشاهد منها الذي هو موافق لوزن بحره وقافيته - إن وقع آخرًا-، أو يجزئه ليوافق وزنه وقافيته .

فالوزن والقافية يحولان دون أن يأتي الناظم بالشاهد الذي يريد على الوجه الأكمل.<sup>(٢)</sup>

د- اللغات :

أغلب ماجرى عليه الناظمون الاقتصار على لغة واحدة إقليلاً، لأنّ للنظم تحكّمه في الناظم، فلم يأت الناظمون من اللغات إلا بالقدر الذي أسعفهم فيه النظم على ذلك، ويتبين ذلك تفصيلاً في القسم المخصص للغات من الفصل الرابع من هذا البحث .

ه- الخلاف النحوي:

أثر الوزن والقافية في تصرف الناظم في التعبير عن الخلاف النحوي بين

(١) انظر القسم الأول من الفصل الثالث من هذا البحث .

(٢) انظر القسم الأول من الفصل الثالث .

المذاهب، أوبين العلماء، فتجد كثيراً من مواضع الخلاف المعهودة بين النحاة لم يُشَرَّ إليها في النظم مع أن خلافاً أقل منها شهرةً أُشيرَ إليها .

وكذلك فطرائق التعبير عن الخلاف مختلفة من موضع لآخر، فمرة يذكر الناظم المذهبين البصري والكوفي في مسألة، وفي مسألة أخرى يشير إلى أن فيها خلافاً دون التصريح بالمتخالفين أو المخالفين، وثالثة يذكر اسم العالم المخالف، ورابعة لا يذكره بل يشير إلى رأيه، وهكذا، ويدرك الباحثون أن لو كان هذا الأمر في التأليف النثري لكان مختلفاً<sup>(١)</sup> .

و- المصطلح النحوي :

اضطرَّ الناظمون إلى بعض التصرف في بعض المصطلحات النحوية حين لم يسعفهم النظم في الإتيان بها على هيئتها الاصطلاحية، ومن التصرف ما كان مقبولاً غير مؤثر في دلالة المصطلح على مفهومه، ومنها ما كان مُلبساً<sup>(٢)</sup> .

ز- الأحكام النحوية :

يُعنى بها الأحكام النحوية المعهودة، لكن النظم - وزناً وقافيةً - أظهر للنحو العربي ألفاظاً وعبارات قصداً بها التعبير عن الحكم النحوي، كالتعبير عن الجواز بـ (لاملامه)<sup>(٣)</sup> وغير ذلك .

(١) انظر القسم المعقود لمذاهب الناظمين ومسائل الخلاف في الفصل الرابع من هذا البحث .

(٢) انظر القسم المعقود للمصطلحات والعبارات النحوية في الفصل الرابع .

(٣) انظر تفصيل ذلك في قسم الاحكام النحوية من الفصل الرابع .

الفصل الثالث  
الاستشهاد والتمثيل  
في المنظومات النحوية

### الفصل الثالث

## الاستشهاد والتمثيل في المنظومات النحوية

القسم الأول :

الاستشهاد في المنظومات النحوية

القسم الثاني :

التمثيل في المنظومات النحوية

## الفصل الثالث

القسم الأول - الاستشهاد في المنظومات النحوية

المنظومات النحوية لم تختلف كثيراً عن المؤلفات النحوية المنشورة في كون الاستشهاد ركناً أساساً في التععيد النحوي فيها، ولكنها تختلف عنها في كونها تلزم الناظم مالا يلزم الناثر، وذلك أمران:

١- إلزام الناظم بوزن عروضي محدد، فهو ملزم بالإتيان بالشاهد - مهما كان - موافقاً لهذا الوزن، ولذلك فقد يأتي الناظم ببعض الشاهد، وقد يشير إليه إشارة، وقد يجرى الشاهد، وقد يصوغ الشاهد أو بعضه بلغته، كل ذلك من أجل الوزن، وقد يأتي بالشاهد - قرآناً أو شعراً - كاملاً غير منقوص ولا يغير فيه.

٢- إلزام الناظم بقافية محددة، ربما تضطر الناظم لأن يغير في الشاهد أو يحذف بعضه، أو غير ذلك.

وسنعرض بالتفصيل - إن شاء الله - إلى طرائق الاستشهاد في المنظومات النحوية في موضعها .

وقبل دراسة طرائق الاستشهاد لابد من معرفة أنواع الشواهد المستشهد بها في المنظومات النحوية. وهل شملت المنظومات النحوية أنواع الشواهد النحوية كلها؟ وإن كان كذلك فما درجة ذلك الشمول؟

إذن هناك أمران متعلقان بالاستشهاد في المنظومات النحوية هما :

١- أنواع الشواهد النحوية المستشهد بها في المنظومات النحوية، ودرجة شمولها لكل نوع منها .

٢- طرائق الاستشهاد في المنظومات النحوية .

فكان لابد من استقراء عدد من المنظومات النحوية لدراسة الأمرين السابقين.

ووقع الاختيار من المنظومات المتعددة القوافي على المنظومات الثلاث التالية مبيناً عدد أبياتها ووفاء ناظميها :

- |                                 |          |          |           |
|---------------------------------|----------|----------|-----------|
| ١- ملحّة الإعراب                | الحريري  | ت ٥١٦ هـ | ٣٧٧ بيتاً |
| ٢- ألفية ابن مالك               | ابن مالك | ت ٦٧٢ هـ | ١٠٢ بيتاً |
| ٣- "الإعراب نظم الإعراب النودهي | النودهي  | ١٢٥٤ هـ  | ٧٨٧ بيتاً |

عن قواعد الإعراب

وكانت أسباب اختيار هذه المنظومات الثلاث كما يلي :

١- ملحّة الإعراب للحريري :

(١) أول منظومة (أرجوزة) نحوية تصل إلينا كاملة.

(٢) القصّر والشمول-٣٧٧ بيتاً .

٢- ألفية ابن مالك في النحو والصرف لابن مالك :

أ- ألفية - ألف بيت أو أكثر .

ب- تشمل النحو والصرف.



ج- أشهر منظومة .

د- اختصار لألفيه سابقة .

٣- أرجوزة النودهي :

أ- التأخر الزمني ق١٣هـ

ب- نظم لكتاب نحوي سابق .

ج- ليست ألفية ولكنها طوياسة (٧٨٧ بيتاً).

أما المنظومات ذوات القافية الواحدة فهي :

أولاً: قليلة بالنسبة للمنظومات المتعددة للقوافي .

ثانياً: ما وصل إلينا منها أقل .

ثالثاً : ما استطعت الحصول عليه أقل من ذلك .

ورابعاً: ندرة الاستشهاد في هذه المنظومات، فكثير منها خلا من أي شاهد ما

وبعضها حوى شاهداً واحداً فقط. وتفصيل ذلك :

١- المنظومات التالية لم تحو أي شاهد:

أ- منظومة الشبراوي.

ب- لامية الأفعال لابن مالك .

ج- منظومة ابن مالك في ماورد بالواو والياء من الأفعال .

د- المقتطفات التي أوردها السيوطي في الأشباه والنظائر من ذوات القافية

الواحدة لم يحو أي منها شاهداً واحداً .

٢- منظومة حازم القرطاجني (٢١٧ بيتاً) ورد فيها شاهدٌ واحدٌ صاغه بلغته وهو قولُ العربِ المرويِّ في المسألةِ الزنبورية ( كُنْتُ أَظُنُّ الْعَقْرَبَ أَشَدَّ لِسْعَةً مِنَ الزَّنْبُورِ فَإِذَا هُوَ إِبَاهَا ) أو (فإذا هو هي ) ،<sup>(١)</sup> حيثُ صاغه في البيتين التاليين :

قَدْ كَانَتْ الْعَقْرَبُ الْهَوْجَاءُ حَسْبَهَا      قَدَمَا أَشَدُّ مِنَ الزَّنْبُورِ وَقَعَ حُمَا

وفي الجوابِ عليها هل إذا هو هي      أو هل إذا هو إياها قد اختصما<sup>(٢)</sup>

٣- منظومة العطار (٥٧ بيتاً) تمثّل بشاهدٍ قرآنيٍّ غيّرَ فيه ليوافقَ الوزنَ في قوله

وَبِالْقَسَمِ اخْصُصْ بَا وَتَا ثُمَّ وَأَوْهَ      كَ (وَالْعَصْرِ إِنْ) الْعَاشِقِينَ (لَفِي خُسْرٍ)<sup>(٣)</sup>

فالمنظوماتُ ذواتُ القافيةِ الواحدةِ تكادُ تخلو من الشواهدِ النحويةِ، ولعلَّ سببَ ذلك في الأمرين التاليين :

١- وحدة القافيةِ في القصيدةِ كلّها تجعلُ الناظمَ منشغلاً في كل بيتٍ بالتهيئةِ للقافيةِ الخاليةِ من العيوبِ الموافقةِ للوزن.

٢- تعدُّدُ التفعيلةِ في الطويلِ والبسيطِ يشكّلُ قيداً إضافياً يحدُّ من تصرفِ الناظمِ في الكلامِ بخلافِ الرجزِ - مثلاً - حيثُ يكونُ مجالُ التصرفِ أوسعَ - كما سيتبينُ معنا في المنظوماتِ المتعددةِ القوافي - .

(١) انظر القول والمسألة في : السيوطي ، الانبأ والنظائر ، ٦٥/٢ - ٦٦

(٢) حازم القرطاجني ، ١٢٢

(٣) عبدالله الانصاري ، ٤١٦ ، ( منظومة العطار ) .

أنواع الشواهد في المنظومات ودرجة الإستمالة على حدها منها :  
أولاً : الشواهد القرآنية :

اشتركت الأراجيز الثلاث في كونها استشهدت بالشواهد القرآنية، ولكنها  
تفاوتت في ما بينها في عدد الشواهد، وبيان ذلك :

- ١- ملحمة الإعراب ٣٧٧ بيتاً ٦ شواهد.
- ٢- ألفية ابن مالك ١٠٢٠ بيتاً ٥ شواهد.
- ٣- الإعراب للنودهي ٧٨٧ بيتاً «١٠٠» مائة شاهد.

وأشار النودهي في عدة مواضع إلى القراءات القرآنية. وذكر في ثلاثة مواضع  
عدم ورود القاعدة التي يتحدث عنها في القرآن .

ثانياً : الشواهد الشعرية:

خلت ملحمة الإعراب من الشواهد الشعرية، أما ألفية ابن مالك فورد فيها  
استشهاد شعري في خمسة مواضع، وإشارات إلى ورود القاعدة في الشعر في  
أربعة مواضع.

أما منظومة (أرجوزة) النودهي فورد فيها الاستشهاد في أربعة عشر موضعاً  
. وسيأتي بيان ذلك كله في طرائق الاستشهاد - إن شاء الله-.

ثالثاً: الشواهد النثرية

وتشمل الأمثال والأقوال الفصيحة، والأحاديث النبوية -غاضين النظر عن  
الخلاف بين العلماء في الاحتجاج بالحديث في اللغة والنحو-.

أ- أما الأمثال فلم يرد شيءٌ منها في المنظوماتِ الثلاث، لكن وردَ في منظومةِ حازمٍ مثلٌ واحدٌ ليس فيه شاهدٌ نحوي، ولكنه تمثّل به على الجورِ في الحكم على سبويه في مناظرته مع الكساني في المسألة الزنبورية، يقول:

قَضَتْ عَلَيْهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ طَائِفَةٌ  
حَتَّى قَضَى هَدْمًا مَا بَيْنَهُمْ هَدْمًا

من كلِّ أجورٍ حكماً من سدوم<sup>(١)</sup> قضى عمرو بن عثمان بما قد قضى سدما

وابن مالك في بابِ نعمٍ وبئسَ وما جرى مجراهما يشيرُ إلى أن جملة المدح والذم في التزامها تركيباً محدداً تشبهُ المثلُ في إتيانه على حاله بلا تغيير، يقول :

وَأَوَّلِ ذَا الْمَخْصُوصِ أَيًّا كَانَ لَا  
تَعْدَلُ بَذَا فَهُوَ يُضَاهِي الْمَثَلَا<sup>(٢)</sup>

ب- أما الأقوال الفصيحة فلم يستشهد الحريري بشيءٍ منها ، واستشهد ابن مالك منها في موضعين ، واستشهد النودهي منها بأربعة شواهد.  
ج- أما الأحاديث النبوية -بغض النظر عن حجّيتها في اللغة والنحو- فلم يستشهد بها إلا النودهي، وكان ذلك في ثلاثة مواضع.

نلاحظُ بما سبقَ أنّ الشواهدَ القرآنيةَ استأثرتْ بأعلى درجةٍ من درجاتِ الشمول، فكان أكثرُ ما استشهدَ به الناظمون الثلاثة هو الآياتِ القرآنيةُ ، ونلاحظُ كذلك عدمَ الاستشهادِ بالأمثالِ عند الناظمين الثلاثة، وعدمَ استشهادِ الحريري

(١) المثل ( أجور في الحكومة من سدوم ) في اللسان ٢٨٥/١٢ مادة ( سدوم ) .

(٢) ابن مالك ، الالغية ، ٢٦ .

بشيء غير القرآن الكريم، وابن مالك لم يستشهد بأيّ من الأحاديث النبوية مع أنه من الذين أجازوا الاحتجاج بالحديث في كتبه النثرية .

### طرائق الاستشهاد :

قلت قبل إن الناظم النحويّ يخضع لقيدين يحدان من تصرفه في صياغة القواعد النحوية، والقيدان هما الوزن العروضي والقافية الملتزمة، وهذان القيذان يتجلى أثرهما حين يريد الناظم الاستشهاد بنص يتوجب عليه نقله، فليس له مطلق التصرف في النص المنقول، بل إن تصرفه قد يفقد الشاهد قيمته الاستشهادية، ولذلك نجد الناظمين مقيدين في نقلهم الشواهد بطرائق لا يتجاوزونها، وتتضح هذه الطرائق بالاستقراء، فكانت كما يلي مدعومة بالأمثلة المنقولة من المنظومات الثلاث المستقراة :

أولاً : إيراد الشاهد كاملاً بلا نقص أو تغيير فيه :

هذا يكون في الاستشهاد بالشعر، أما في القرآن الكريم فممكن إذا عددنا موضع الشاهد هو الشاهد فقط وليس الآية كلها، أوحى تمام الكلام .

أ- أما الشعر، فلم يُورد كاملاً إلا في موضعين :

١- قول ابن مالك في باب المفعول له :

وقل أن يصحبها المجرد والعكس في مصحوب «أل» وأنشدوا<sup>(١)</sup>

لا أقعد الجبن عن الهيجاء ولو توالى زمر الأعداء<sup>(١)</sup>

فأورد الشاهد على لحوق الألف واللام للمفعول له، وهي إحدى حالاته، والشاهد على بحر الرجز ولولم يكن كذلك لم يكن لابن مالك الاستشهاد به كاملاً .

٢- قول النودهي في الجملة المعترضة :

وبين حرفٍ والذي قد أكدَا شاهدُهُ البيتُ الذي قد أنشدا<sup>(٢)</sup>

ليت - وهل ينفع شيئاً ليت - ليت الشباب بوع فاشتريت<sup>(٣)</sup>

وموضع الشاهد فيه هنا الاعتراض بجملة بين الحرف وتوكيده .

ب- أما الشواهد القرآنية فمجيئها كاملاً على احتساب موضع الشاهد شاهداً وحسب، حتى لو أدى ذلك إلى عدم اكتمال أركان الجملة التي فيها الشاهد، وبغير ذلك فلا يمكن الاستشهاد بالقرآن وإيراد النص كاملاً إلا في الآيات القصيرة التي من الممكن أن تأتي موزونة على بحر الرجز، وهذا إن وجد فهو قليل جداً .

١- ابن مالك في باب التمييز :

والنصب بعد ما أضيف وجبا إن كان مثل (ملء الأرض ذهباً)<sup>(٤)</sup>

(١) البيت مجهول القائل ، انظر : ابن عقيل ، ٤٨٦/١

(٢) النودهي ، ١٨٢

(٣) البيت في زيادات ديوان روعة مفع ١٧١ ، وروايته فيه ( ليت شاباً بيع فاشترت ) وقافيته فيه ساكنة ، والبيت استشهد به ابن عقيل ٤٢٢/١ على ( بوع ) ، وروايته فيه ( شاباً ) .

(٤) ابن مالك ، الألفية ، ٢١ ، والنص من الآية ٦١ من سورة آل عمران : ( فلئن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به ) .

ف(ملء) جاءت نائب فاعلٍ لفعلٍ لم يذكره ابن مالك وليس فيه موضع شاهد، وموضع  
الشاهد في كون الدال على مقدارٍ مضافاً وهو (ملء) هنا، فيجب حينئذ نصبُ  
التمييز (ذهباً)<sup>(١)</sup>.

٢- يقول ابن مالك في أحدِ فصولِ الإبدال :

ظَلَّتْ وَظَلَّتْ فِي ظَلِلَتْ اسْتَعْمِلَا      وَقَرْنَ فِي اقْرَرْنَ، «وَقَرْنَ» نُقِلَا<sup>(٢)</sup>

فكلمة (قَرْنَ) هي موضع الشاهد فاكتفى بها، وأتى بها شاهداً على حذفِ عينِ الفعلِ  
المضاعفِ إذا اتصلتْ به نونُ النسوةِ، وبقاءِ الفاءِ على حركتها<sup>(٣)</sup>.

٣- يقول الحريري في باب النداء :

وجائزٌ عند ذوي الأفهامِ      في: يا غلامُ قول: يا غلامي<sup>(٤)</sup>

وجوّزوا فتحةً هذي الباءِ      والوقفُ بعد فتحها بالهاءِ

والهاءُ في الوقفِ على غلاميةً      كالهَاءِ في الوقفِ على (سلطانية)<sup>(٥)</sup>

وقال قومٌ فيه: يا غلاما      كما تَلَوْا: (يا حَسْرَتَا على ما)<sup>(٦)</sup>

ففي البيتِ الثالثِ استشهدَ به (سلطانية) جزءً من آية، وفيها موضعُ الشاهد، الوقفُ على

الهاءِ بعد فتحِ ياءِ المتكلمِ، واستشهدَ في البيتِ الرابعِ على قلبِ ياءِ المتكلمِ

(١) ابن عقيل ، ٥٦٢/١

(٢) ابن مالك ، اللغية ، ٧٠ ، والآية ( وقرن في بيوتكن ) سورة الاحزاب ٢٣ .

(٣) ابن عقيل ، ٤٥٧/٢

(٤) الحريري ، ملحة الاعراب ، ٥٠ .

(٥) الآية ( هلك عني سلطانية ) سورة الحاقة ، ٢٩

(٦) الآية ( أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ) سورة الزمر ، ٥٦ .

ألفاً بقوله (يا حسرتا...) ولم يتم الآية حيث وقف على الاسم الموصول ولم يأتِ  
بصلته (ما)، واكتفى بذلك لأنه يؤدي غرضه الاستشهادي .



-٤- يقول الحريري في باب الشرط:

وزاد قوم ما فقالوا إِمَّا وأينما كما تَلَوْا : أَيَّامًا<sup>(١)</sup>

استشهد هنا على إضافة ما على أدوات الشرط بقوله (أَيَّامًا) وفيها وحدها موضع الشاهد وأتى بها أيضا قافيةً واكتفى بها.

-٥- يقول الحريري في باب الجوازم:

وإن تَلَاهُ أَلِفٌ ولامٌ فليس غيرُ الكسرِ والسلام<sup>(٢)</sup>

تقول: لا تنتهر المسكينا ومثله: «لم يكن السدينا»<sup>(٣)</sup>

فاستشهد بجزء من آية على تحريك أول الساكنين بالكسر، والموضوع الذي يتحدث عنه هو المضارع المجزوم وعلامته السكون، فإذا تلا السكون «ال» التي هي ساكنة ينكسر المجزوم. وبعض الآيات المستشهد به كافٍ في الاستشهاد مع أنه وقف على الاسم الموصول وحذف صلته.

الشواهد السابقة أتت كاملة في موضع استشهادها في ألفية ابن مالك وملحة الإعراب للحريري، وأمكن حصرها لقلتها، ولكن شواهد النودهي في منظومته الإعراب- الشواهد القرآنية التي جاءت كاملة- كثيرة لا يمكننا إيرادها هنا، ولكنني سأكتفي بإيراد أمثلة قليلة منها.

(١) الحريري، الملحة، ٦٨، والاية ( قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايأ ما

تدعوا فله الاسماء الحسنی ) سورة الاسراء، ١١٠

(٢) الحريري، ملحة الاعراب، ٦٢

(٣) الاية ( لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين ) البينة ١

٦- يقول النودهي في «إذ»:

وتارةً يقال فيها حرف أمَّ به التعليلُ قيلَ ظرفُ  
كقوله جلَّ (ولنَّ ينفعَكُمُ اليومَ إذ ظَلَمْتُمْ) أي لظلمِكُم<sup>(١)</sup>

فموضعُ الشاهدِ هنا هو «إذ» وجاء في الآية بعدد أكبر من الكلمات وهذا لم نجدُه عند ابن مالك ولا الحريري، وهذه سمةٌ امتاز بها النودهي في استشهاده بعامة، وسيتضح ذلك في الأمثلة القادمة في هذا الفصل - إن شاء الله -.

٧- يقول في «نعم» حرف جواب:

وحرفُ إعلامٍ ورا استفهامٍ أقاضِ أنتَ سيدي مرامي  
منه أتى (فهلَّ وجدْتُم ما وعدَّ ربُّكُم حقًّا) بالأعرافِ وردَّ<sup>(٢)</sup>  
ومثله في (إي) بعد بيتٍ واحدٍ منه:

رابعةُ السَّبْعِ إي مثلُ نعمٍ خُصَّتْ بأن يكونَ بعدها قَسَمٌ  
في يونسٍ لما أقولُ طَبِقُ (قُلْ إيَّ ورَبِّي إنَّهُ لِحَقُّ)<sup>(٣)</sup>

ففي الموضعين جاء بعدد كثير من الكلمات، ففي الموضع الأول شاهد على (نعم) آتية بعد استفهام، فجاء بالاستفهام كاملاً (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟) ولم يأت بالجواب لأن الشاهد جاء على مجيء (نعم) بعد استفهام

(١) النودهي ، ٢٢٦ ، والاية ( ولن ينفعكم اليوم ان ظلمتم انكم في العذاب مشتركون ) سورة الزخرف ، ٢٩

(٢) النودهي ، ٢٢٦ ، والاية من سورة الاعراف ، ٤٤

(٣) السابق ، ٢٢٠ - والاية من سورة يونس ، ٥٢

فاكتفى بالاستفهام دون الجواب لمعرفة.

وفي الموضع الثاني الذي هو «إني» واختصاصها بمجيء القسم بعدها جاء بها وبالقسم بعدها وزاد على ذلك بالإتيان بجواب القسم (قل: إني وربّي إنه لحق).

-٨- يقول النودهي في زيادة ما :

وزيد ما وكلُّ حرفٍ زيدا      قد سُمِّي الصِّلَةَ والتَّكْيِدا

مثاله (عَمَّا قَلِيلٍ) (فِيْمَا رَحْمَةً) النَّظْمُ بِهِ قَدْ خُتِمَا<sup>(١)</sup>

فاستشهد على زيادة ما بالآيتين، واكتفى من الآيتين بموضع الشاهد، فالأولى (عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ) أي: عن قليل، والثانية (فِيْمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) أي: فبرحمة. واستطاع الإتيان بالشاهدين في بيت واحد. وهذه أمثلة معدودة، ولا يُقصدُ من ذلك الحصر، فالمواضع التي أتت في موضوعنا عند النودهي نيفت على الثلاثين.

-ج- أما الحديث فلم يُؤتَ به كاملاً بلا نقصٍ أو تغييرٍ فيه، وأما الأقوال فلم يرد إلا عند النودهي في قوله:

وفي كلام العرب إني تما      أن أفعل الأمر الذي أهما

أي أنا مخلوق من أمرٍ فعلي      وللمبالغة ذا كمثل

(١) السابق ، ٢٨٧ - ٢٨٨ ، والايتمان ( عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ ) سورة "المؤمنون" رقم ٤٠ ، ( ( فِيمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ) ) سورة آل عمران ، ١٥٩

ك (مثلاً ما) ولأمر ما جَدَعٌ      قصيرٌ أنْفُهُ و(ما) وصفاً وقع<sup>(١)</sup>

وفي قوله :

وفي مَنكِرٍ وَصَفْتَهُ بِمَا      من بعده كمرَّ خالدٍ بما

معجِبٍ أَي مَرَّ بِشَيْءٍ مُعْجِبٍ      هذا المثالُ من كلامِ العَرَبِ<sup>(٢)</sup>

فهذه ثلاثة مواضع أتى فيها بالأقوال شاهداً على مجيء (ما) نكرةً تامةً صفةً، فالأول في قول العرب: (إني مما أن أفعل) أي: من الأمر، أو: من أمر فعلي كما فسرها. وهو قول مروى عن العرب جرى مُجرى المثل. والثاني: (الأمر ما جَدَعٌ قصيرٌ أنْفُهُ).

والثالث (مرَّ خالدٌ بما معجِبٍ) أي: بشيءٍ معجِبٍ. فجاء بالأقوال كاملةً دون نقصٍ أو تغيير. وهذا يدلُّ على تمكِّنه في النظم النحوي، وهذا يفسرُ كثرة منظوماته النحوية.

ثانياً: إعادة صياغة الشاهد (الشعري) أو القول بما يلائم الوزن:

وهذا في الشعر إذا أراد الناظم الاستشهادَ ببيتٍ على غير بحرهِ الذي ينظمُ عليه، وهذا هو الغالبُ على الاستشهادِ الشعريِّ، ووردَ عند النودهي في

(١) النودهي ، ٢٨٢ ، والآية ( ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها )  
سورة البقرة ، ٢٦ ، والقول الاول ( انى مما أن أفعل ) أي : اتى من الامر  
أو من الشأن أن أفعل ، سيويه ، الكتاب ١٥٦/٣ ، والقول الثاني ( اتى مما  
أن أصنع ) أي من الامر أن أصنع ، سيويه ٧٢/١ .  
(٢) النودهي ، ٢٨٢

مواضع هي:

١- قوله في الواو حرف نصب للفعل المضارع:

يا مَنْ عَنِ الدِّينِ هِوَاهُ شَغَلَهُ      لَأَتْنَهُ عَنِ مُسْتَهْجَنٍ وَتَفَعَّلَهُ<sup>(١)</sup>

فهو نثرٌ للبيت المشهور:

لَا تَنْهَ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ      عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ<sup>(٢)</sup>

فالبيت على البحر الكامل ولا يستطيع أن يستشهد به على حاله فنظمه بلغته

على بحر الرجز وابتدأه بـ (لا تَنْهَ عَنِ) كما ابتدئ البيت المستشهد به.

٢- استشهاده على (قد) للتكثير:

يُقْصَدُ تَكْثِيرًا بِقَدْ، عَلَيْهِ      قَدْ عَوَّلَ الْإِمَامُ سَيَّبِيهِ

قد أترك القرن لدى الهيجاء      مخضَّبَ الثيابِ بالدِّمَاءِ<sup>(٣)</sup>

فهو قد أعاد نظم البيت على بحر الرجز والبيت لعبيد بن الأبرص:

قَدْ أَتْرَكَ الْقِرْنَ مُضْفَرًا أَنَامِلُهُ      كَأَنَّ أَثْوَابَهُ مُجَّتْ بِفِرْصَادٍ<sup>(٤)</sup>

وهو على البحر البسيط، فلا يمكنه الاستشهاد به على حاله.

٣- استشهاده على (ما) بعد (بعد):

و(ما) الذي مِنْ بَعْدِ (بَعْد) يَرِدُ      فَعَنَّهُمْ فِيهِ خِلَافٌ يَوْجَدُ

(١) النودهي ، ٢٧٦

(٢) مختل في نسبه ، انظر : حنا حداد برقم ٢٤٧٥

(٣) النودهي ، ٢٧٦

(٤) حنا حداد ، رقم ٧٨٢

نحو أنت عامل الإجماع من بعد ما رأسك كالثغام<sup>(١)</sup>

أعاد نظم البيت على بحر الرجز، والبيت لمرار الأسدي:

أعلاقة أم الوليد بعد ما أفنان رأسك كالثغام المخلص<sup>(٢)</sup>

على البحر الكامل.

٤- قوله في تعلق الجار والمجرور:

وليس يخفى ما به يستشهد منها كذا يحويهما ما أنشدوا

وأشتعل المبيض فيما سودا مثل اشتعال النار فيما اتقدا<sup>(٣)</sup>

وأصل البيت:

فاشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضا<sup>(٤)</sup>

فبحر البيتين واحداً، لكن القافية مختلفة حيث كان البيت الثاني من مقصورة؛

فقافية العجز ألف مقصورة وليس للصدر قافية، لكن الناظم النحوي ملزم

بالإتيان بقافية واحدة لكل من الصدر والعجز، فحول الكلمة الأخيرة من صدر

البيت المتمثل به (مسوده) إلى « (سودا) ، وحذف الكلمتين الأخيرتين من عجز

البيت المتمثل به ووضع مكانها (ما اتقدا) لتتفق قافيتا الشطرين.

(١) النودهي ، ٢٨٧

(٢) حنا حداد ، رقم ١٤٤٩

(٣) النودهي ، ٢٠١

(٤) ابن هشام اللخمي ، الفوائد المحصورة في شرح المقصورة ، ٧٦ والبيت من من أبيات مقصورة ابن دريد .

٥- قوله:

جاء على التحقيق بالدليل      بعضٌ وذا بيتٌ من الطويلِ  
قلْبُهُ لِرَجَزٍ وِبَادٍ      مما أقولُ موضعُ استشهادِ  
من نحن نؤمنه بيت على جذلٍ      من لم نُجِرْهُ يَمْسِ إِذَا فَشَلَّ<sup>(١)</sup>

فهو هنا قد صرَّحَ باستشهادِهِ ببيتِ علي الطويل، وقلْبُهُ إلى الرجز وبقي محتفظاً  
بموضع الاستشهاد، وأصل البيت:

فَمَنْ نَحْنُ نُؤْمِنُهُ بَيْتٌ وَهُوَ آمِنٌ      وَمَنْ لَا نُجِرْهُ يَمْسِ مَنَا مَرَّوَعًا<sup>(٢)</sup>

٦- واستشهد على إذا الفجائية المتلوة بـ (إن) فقال:

شاهدُهُ خَرَجْتُ أَمْشِي فِإِذَا      إِنْ الصَّبَا هَبَّتْ عَلَيَّ بِالشَّدَا<sup>(٣)</sup>

٧- يقول النودهي:

وبخلافِ ما هَنا قلناه      لو لم يَخَفْ مولاةُ ما عَصَاهُ<sup>(٤)</sup>

وأصل القول: (لَلَّهِ دَرٌّ صَهَيْبٍ لو لم يَخَفِ اللهُ لم يَعِصِهِ).

ثالثاً: الاجتزاء من الشاهد ببعضه:

فيضطرُّ الناظمُ إلى حذفِ جزءٍ أو أكثرٍ من الشاهد ليوافقَ الوزنَ أو القافيةَ أو

كليهما فمن ذلك:

- 
- (١) النودهي ، ١١٢  
(٢) حنا حداد ، رقم ١٦٤١ ، والبيت منسوب فيه لهشام المرى في مواضع ، ولمرة  
بن كعب في الخزانة ، وغير منسوب في غيرها ، وروايته في المعجم (مفرعا) .  
(٣) النودهي ، ١٢٢  
(٤) النودهي ، ٢٥٩

١- يقول النودهي في إضمار (أَنْ) بعد (أَوْ):

وفي كلام الله جَلَّ وَعَلَا      نظيرُ هذا قوله (أَوْ يُرْسِلُ) ما<sup>(١)</sup>  
فاكتفى بموضع الشاهد فقط مع أنه قد يوهم أنه عطف على منصوب قبله،  
وبمعرفة الآية يزول الإيهام ( وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء  
حجابٍ أَوْ يُرْسِلُ رِسَالاً).

٢- يقول النودهي في إعراب الجار والمجرور:

كذلك (في زينته) فليقتنص      أي متزناً بأخر القصص<sup>(٢)</sup>

فأورد الشاهد (في زينته) دون ذكر ما قبله، إذ هو ذكر القاعدة في الجار  
والمجرور قبل، فإعراب الجار والمجرور حسب ما قبله، فإن سبق بمعرفة فهو حال،  
وإن سبق بنكرة فهو صفة، ولكن الذي أغناه عن ذكره تفسيره له حيث قال: (أي  
متزناً) ففهمت الحالية وأن ما قبله معرفة. ولكنه لو ذكر ما قبله - مع  
ملاحظة الوزن - لكان سهلاً على القارئ أن يعرب الجار والمجرور (في زينته)،  
والآية (فخرج على قومه في زينته).

٣- مثل ذلك قوله أيضاً في اجتماع إذا الشرطية وإذا الفجائية في جوابها:

واجتمعاً في قوله القديم      (إذا دعاكم دعوةً) بالروم<sup>(٣)</sup>

فاكتفى من الشاهد ببعضه، وما ذكره منه غير كافٍ في الاستشهاد على مجيء

(١) النودهي ، ٢٦٥ ، والآية ٥١ من سورة الشورى

(٢) النودهي ، ٢٠٨ ، والآية ٢٩ من سورة القصص

(٣) النودهي ، ٢٢٤ ، والآية ٢٥ من سورة النور



(إذا) الفجائية في جواب (إذا) الشرطية، فلم تظهر (إذا) الفجائية في الشاهد المذكور هنا، والشاهد بتمامه (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ).

٤- يستشهد النودهي على واو الاستئناف:

وَإِذَا لَلِاسْتَنْفِافِ أَوْ لِلِحَالِ نَأْتِيكَ لِلأَوَّلِ بِالمَثَالِ

قال تعالى: (وَنَقَرْنَا) فَرَفَعْ وَنَصَبَهُ لَكِنْ عَلَى العَطْفِ سَمِعَ<sup>(١)</sup>

فذكر واو الاستئناف والفعل المستأنف بعدها دون ذكر شيء قبلها أو بعدها، ولعل الشاهد يكون أوضح لو أتى به كاملاً، لأن الفعل الذي قبله جاء منصوباً بلام التعليل، (لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ).

٥- وفي الشعر أيضاً مثل قول النودهي في الاستشهاد على مجيء اسم مبتدأ بعد (حتى).

واسميتها أيضاً لها يمثّل بمثل (حتى ماء دجلة أشكل)<sup>(٢)</sup>

والبيت المستشهد ببعضه هو: [طويل]

فما زالت القتلى تمجّ دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل<sup>(٣)</sup>

فاكتفى بموضع الشاهد وحذف بقيته، والبيت جاء على البحر الطويل فحذف ما لم يستقم معه وزنه على الرجز وعامل الوصل معاملة الوقف في (دجلة)

(١) النودهي ، ٢٧٤ - ٢٧٥ ، والاية ٥ من سورة الحج

(٢) النودهي ، ٢٣٤

(٣) البيت لجريز في : حنا حداد ، رقم ١٨٨١

فأصبحت (دجله) ضرورة.

٦- ومثله الاستشهاد بصدرٍ دون العجز، وموضعُ الشاهدِ في الصدرِ فقط فاستشهد النودهي على الحاقِ نونِ الوقايةِ بقَدِّ وعدمِ إلحاقها :

وقد حوى الوجهين بيتٌ منشِدٌ      قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْحُبَيْبَيْنِ قَدِي<sup>(١)</sup>  
والشاهدُ كاملاً:

قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْحُبَيْبَيْنِ قَدِي      ليس الإمامُ بالشحيحِ الملحدِ<sup>(٢)</sup>

٧- وورد عند ابن مالك في شاهدٍ قرآني في باب المفعول المطلق:

وما لِتَفْصِيلِ كَأَمَّا مَنَا      عامِلُهُ يَحْذِفُ حَيْثُ عَنَّا<sup>(٣)</sup>

والآيةُ بتمامها (فِإِمَّا مَنَّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً) استشهد ببعضها مع أن القسمَ الثاني منها فيه موضعُ استشهادٍ فاكتفى ببعض الآية.

### رابعاً: التغيير في الشاهد

ولأيقصدُ بهذا الكلامَ تغييرَ كلمةٍ بأخرى، بل المقصودُ فيه شيءٌ مما يلي:

أ- تقديمُ كلامٍ وتأخيرُ آخرٍ (تقديم وتأخير).

ب- تجزئةُ الشاهدِ .

ج- يَحْذِفُ بعضَه ويقولُ إلى آخره، أو إلى كذا.

(١) النودهي ، ٢٦٢

(٢) مختلف في نسبه ، انظر : حنا حداد ، رقم ٣٣٢٢

(٣) ابن مالك ، الألفية ، ٢٧ ، والآية ٤ من سورة محمد

د - يحذف بعضه ويتصرف بشيء مما يذكره (في الشعر).

تفصيل ذلك:

أ- التقديم والتأخير.

١- يقول ابن مالك في باب الندبة:

ويُنْدَبُ الموصولُ بالذي اشتهر ك (بئر زمزم) يلي (وامن حفر)<sup>(١)</sup>

فاستشهد بالقول الفصيح المروي عن العرب (وامن حفر بئر زمزم)<sup>(٢)</sup> شاهداً على ندبة الاسم الموصول، ولما لم يسعفه الوزن اضطر إلى التقديم والتأخير.

٢- يقول النودهي مستشهداً على «لو» للتقليل:

وك اتقوا ولو بشق تمره نار لظى ولو بسكب عبره<sup>(٣)</sup>

فالحديث (اتقوا النار ولو بشق تمره)<sup>(٤)</sup> وأخر كلمة (النار) ولما لم يسعفه الوزن أضافها وحذف منها (ال).

٣- يقول النودهي:

كذلك (لايسمعون) الوارد في أول الصافات بعد (مارد)<sup>(٥)</sup>

والآيتان بكماهما (وحفظاً من كل شيطان مارد لايسمعون إلى الملائكة الأعلى...)<sup>(٦)</sup>

(١) ابن مالك ، الالفية ، ٤٦

(٢) سيويه ٢٨٨/٢

(٣) النودهي ، ٢٢٨

(٤) الحديث في أحمد بن حنبل ، المسند ، ٢٨٨/١

(٥) النودهي ، ١٧٥

(٦) سورة الصافات ، ٧ - ٨

فذكر أن الجملة الأولى المستشهد بها واردة بعد (مارد)، وهكذا كل تقديم وتأخير يتعلق بالشواهد القرآنية.

-٤- يستشهد النودهي على (لو) المصدرية بقوله:

كنحو (لوتدھن) بعد (ودوا) ونحو قول ربنا (يود)

(أحدھم) يليه (لويعمر) وليس هذا القسم يرضى الأكثر<sup>(١)</sup>

شاهدنا هنا هو الأول، (ودوا لوتدھن فيدهنون)<sup>(٢)</sup>، فقدّم (لوتدھن) وقال بعد (ودوا).

-٥- يستشهد النودهي على (كلّا) ردعاً بقوله:

فأت له بلفظ (كلّا) الكائين ردعاً لقول قائل (أهانن)<sup>(٣)</sup>

الآية (وأما إذا ما ابتلاه فقدّر عليه رزقه فيقول ربّي أهانن \* كلّا<sup>(٤)</sup>)

فذكر (كلّا) قبل (أهانن).

فالتقديم والتأخير في الأمثلة السابقة احتياليّ من الناظم على النص ليوافق الوزن.

### ب- تجزئة الشاهد

وهذه حيلة أخرى يلجأ فيها الناظم للاستشهاد بشاهد غير موافق لوزن بحرّه،

(١) النودهي ، ٢٦٢ - ٢٦٤

(٢) سورة القلم ، ١

(٣) النودهي ، ٢٢

(٤) سورة الفجر ، ١٦ - ١٧

وذالك بأن يجزىء الشاهد ويخلله بكلام من عنده ليستقيم الوزن، وأمثلة ذلك:

١- يستشهد النودهي على الجملة الحالية من الضمير المستتر بقوله:

وَبَعْدَ (لَا تَمُنُّ) أَتَى (تَسْتَكْثِرُ) حالاً وذوها مُضْمَرٌ مستتر<sup>(١)</sup>

فجزأ الشاهد ووسّط بين جزأيه بكلمة من عنده ليستقيم الوزن.

٢- يستشهد النودهي على الجملة الواقعة خبراً بقوله:

خَبَرٌ «إِنَّ» الجملة المقدّره محلّها الرفع كذا المفسّرة

ومنه (إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقَمَرِ) يلي (خَلَقْنَاهُ) يليها (بِقَدْرٍ)<sup>(٢)</sup>

فالآية (إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ) جزأها الناظم، ووضع بين أجزائه كلاماً من عنده يفيد الترتيب.

٣- يقول النودهي في الاعتراض:

أَعْنِي بِهَا (وَإِنَّهُ لِقَسَمٌ) لو تَعْلَمُونَ بِ (عَظِيمٍ) تُخْتَمُ<sup>(٣)</sup>

فاقتضاه الوزن أن يفصل (عظيم) من الشاهد، ويضمّنها جملة أخرى (تُخْتَمُ بِ عَظِيمٍ) وقدّم فيها وآخر.

٤- ويقول النودهي في ما العاملة عمل ليس:

وبعد (ما هذا) انتصاب (بشراً) حتم، فما قارى برفعه قرا<sup>(٤)</sup>

(١) النودهي ، ١٩١ ، والاية ٦ من سورة المدثر  
(٢) النودهي ، ١٩١ ، والاية ٤٩ من سورة القمر  
(٣) النودهي ، ١٨٤ ، والاية ٢٦ من سورة الواقعة  
(٤) النودهي ، ٢٨٥

فاستشهد بالآية (ما هذا بشراً) (١)، ولما لم توافق وزن بحر الرجز فصل بشراً عنها ووضع كلمة تفيده معنى.

٥- ويقول النودهي في «لو» حرف امتناع لامتناع:

نحو (ولوشئنا) وفي جوابها قال تعالى: (لرفعناه بها) (٢)

فاضطره الوزن إلى تجزئة الشاهد، وحقق من ذلك فائدة أخرى وهي الاستعانة بالجزء الثاني من الآية للقافية.

## ٢- حذف بعض الشاهد مع الإشارة إلى الحذف

١- يقول النودهي:

وَلِ (فَلَا يَخْزُنْكَ قَوْلُهُمْ) قَفَا  
وَذَاكَ (إِنَّ الْعِزَّةَ) أَقْرَأَهَا إِلَى  
مَالِيسَ بِالْمَقُولِ بَلْ مُسْتَأْنَفَا  
آخِرِهَا وَأَحْسِنِ التَّأْمَلَا (٣)

فحذف ما بعد (العزة) وأرشد القارئ أن يقرأها إلى آخرها ويتأمل المعنى الذي من أجله وجب الوقف على (قولهم).

٢- يقول النودهي في (إن) النافية:

وقوله عَزَّوَجَلَّ: (إِنَّ يَعِدُّ)  
إلى (غُرُوراً)، ذَا بفاطرٍ وُجِدَا (٤)

الآية (بل إن يعيد الظالمون بعضهم بعضاً إلاغروراً) فحذف أربع كلماتٍ وعوض

(١) سورة يوسف ، ٢١

(٢) النودهي ، ٢٥٨ ، والآية ١٧٦ من سورة الاعراف

(٣) النودهي ١٧٤ ، والآية ٦٥ من سورة يونس .

(٤) النودهي ، ٢٤٤ ، والآية ٤٠ من سورة فاطر

عنها ب (إلى).

٣- يقول النودهي مستشهداً على (إن) الشرطية:

ونحو (إنْ تُخْفُوا) إلى (يَعْلَمُهُ) <sup>١</sup> **إِنْ تَسْتَبِينَ إِعْرَابَهَا تَفْهَمُهُ** <sup>٢</sup>

الآية (إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلَمَهُ اللَّهُ) فحذف وأشار إلى ذلك بقوله (إلى).

٥- حذف بعض الشاهد والتصرف ببعضه في الشعر:

أمثلة ذلك:

١- يقول النودهي:

نظيره أيضاً بغير مین <sup>٣</sup> **لَبَسُ عَبَاءٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي** <sup>٤</sup>

أصل الشاهد:

للبس عباءة وتقر عيني <sup>٥</sup> **أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ لَبَسَ الشُّفُوفِ** <sup>٦</sup>

فاكتفى الناظم بصدر البيت الذي فيه موضع الشاهد وقلب (عباءة) إلى (عباء) ليستقيم الوزن.

٢- يقول النودهي في (لو):

ونحو قول من يلى مبتلى <sup>٧</sup> **لو تلتقي أصدأونا بعد البلى** <sup>٨</sup>

(١) النودهي ، ٢٤٢ ، والاية ٢١ من سورة آل عمران

(٢) النودهي ، ٢٦٥

(٣) البيت لميسون بنت بحدل الكلبية ، حنا حداد ، رقم ١٧٤٨

(٤) النودهي ، ٢٦٢

[طويل]

والشاهد هو:

ولو تلتقي أصدأؤنا بعد موتنا  
ومن دون رمسينا من الأرض سنبسب  
لظل صدى صوتتي وإن كنت رمة  
لصوت صدى ليلى يهش ويظرب<sup>(١)</sup>

فاكتفى من الشاهد بقوله (لوتلتقي أصدأؤنا) وأكمل من نظمه ليستقيم الوزن والقافية.

٣- يقول النودهي في الجر بـ(علّ):

شاعِرُهُمْ قَدْ قَالَ فِي إِنْسَانٍ  
عَلُّ أَبِي الْمَغْوَارِ مِنْكَ دَانِي<sup>(٢)</sup>

أصل الشاهد:

[طويل]

فقلت: ادعُ أخرى وارفعِ الصَّوتَ جَهْرَةً  
لعلَّ أبي المغوار منك قريب<sup>(٣)</sup>

فحذف صدر البيت، واكتفى بالعجز الذي فيه موضع الاستشهاد، وقلب (علّ) فيه إلى (علّ)، و(قريب) إلى (داني) ليوافق الوزن والقافية.

٤- ويقول النودهي:

ومنه قول مَنْ لَهُ غَرَامُ  
حَلَفْتُ بِاللَّهِ لَهَا لَنَامُوا<sup>(٤)</sup>

وأصل الشاهد:

[طويل]

(١) البيتان لابي صخر الهذلي، انظر: السكري، شرح أشعار الهذليين، ٢٢٨، وكلمة القافية في البيت الاول فيه (منكب)، والبيتان استشهد بهما ابن هشام في المغني ٢٤٤ على (لو).

(٢) النودهي، ٢٠٥.

(٣) البيت لكعب بن سعد الخنوي، وروى (الصوت داعيا)، انظر حاشية صفحة ٤ من الجزء الثاني من ابن عقيل، وانظر: حنا حداد، رقم ١٢٣.

(٤) النودهي، ٢٧١.



حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حَلْفَةً فَاجِرٌ لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالٍ<sup>(١)</sup>

٥- يقول النودهي مستشهداً على مجيء الخبر حالاً:

ونحو أدنى ما يكون العابد من ربه العظيم وهو ساجد<sup>(٢)</sup>

والمحديث (أدنى ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)<sup>(٣)</sup> فهو هنا جزءاً الحديث وتصرف ببعض لفظه.

٦- يقول النودهي:

نحو على ذي قاعة تصدق يا ذا الغنى ولو بظلف محرق<sup>(٤)</sup>

والمحديث هو (ردوا السائل ولو بظلف شاة محترق أو محرق)<sup>(٥)</sup>

### خامساً: الإتيان بالمتشابه:

أ- ذكر كلمة أو أكثر من الشاهد.

ب- ذكر اسم السورة التي فيها الشاهد.

أمثلة ذلك:

أ- ذكر كلمة أو أكثر من الشاهد.

١- يقول ابن مالك.

(١) البيت لامرئ القيس في المعلقة ، وانظر : حنا حداد ، ٢٨٧

(٢) النودهي ١٦٣

(٣) الحديث في مسند أحمد ٤٢١/٢

(٤) النودهي ، ٢٦٦

(٥) أحمد بن حنبل ، ٢٨١/٥

وَشَدَّ يَا اللَّهُمَّ فِي قَرِيضٍ<sup>(١)</sup>  
[رجز]  
أَقُولُ يَا اللَّهُمَّ يَا اللَّهُمَّا<sup>(٢)</sup>

وَالْأَكْثَرُ اللَّهُمَّ بِالتَّعْوِيضِ

يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِنِّي إِذَا مَا حَدَّثَ الْمَا

-٢- يقول ابن مالك:

وَلَيْسَ أَنْ يُبَدَّلَ بِالْمَرَضِيِّ<sup>(٣)</sup>

وَنَحْوِ (بَشْرٍ) تَابِعِ (الْبَكْرِيِّ)

[وافر]

يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ:

عَلَيْهِ الطَّيْرُ تَرْقُبُهُ وَقَوْعًا<sup>(٤)</sup>

أَنَا ابْنُ التَّارِكِ الْبَكْرِيِّ بِشْرٍ

-٣- يقول النودهي مستشهداً على زيادة (أَنْ):

وَبَيْنَ فَعَلٍ قَسَمٍ تَزَادُ<sup>(٥)</sup>

وَيَكُنْ ظَنِيَّةٌ أَسْتَشْهَادُ

[طوبيل]

يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ:

كَأَنَّ ظَنِيَّةً تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلْمِ<sup>(٦)</sup>

فِيَوْمَا تَوَافَيْنَا بَوَجْهِ مَقْسَمٍ

-٤- يقول ابن مالك :

- (١) ابن مالك ، الالغية ، ٤٥
- (٢) البيت لابن خراش الهذلي ، انظر : حنا حداد ، رقم ٢٦٠٧
- (٣) ابن مالك ، الالغية ، ٤٢
- (٤) البيت لمرار بن سعيد الفقعسي ، انظر : ابن عقيل ، ١٧٤/٢
- (٥) النودهي ، ٢٤٨
- (٦) البيت مختلف في نسبه ، انظر : ابن هشام ، مغني اللبيب ، ٥١

وقبل يا النفس مع الفعل التزم نون وقاية وليسى قد نظم<sup>(١)</sup>

فبقوله ( وليسى قد نظم ) بشير إلى قول الشاعر: [رجز]

عددت قومي كعديد الطيس إذ ذهب القوم الكرام ليسي<sup>(٢)</sup>

ب- ذكر اسم السورة التي فيها التناهد:

وهذا الصنف من الإشارة أي الإشارة إلى الآية بذكر اسم السورة التي منها الآية دون ذكر أي كلمة من الآية انفرد به النودهي وأكثر منه حيث أشار إلى الشواهد على هذه الكيفية في ستة عشر موضعاً ولنذكر منها مثالين:

١- يقول في (إذا) الظرفية:

وقد تجيء للزمان الخالي      كذاك بعد قسم للحال  
آخر جمعة مثال الأول      وأول النجم مثال ما يلي<sup>(٣)</sup>

فأشار إلى شاهدين، الأول في آخر سورة الجمعة، وهو قوله تعالى: (وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً)<sup>(٤)</sup>. والثاني في أول النجم ( والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى)<sup>(٥)</sup>.

٢- يقول النودهي مستشهداً على اجتماع إن الشرطية وإن الناقية:

(١) ابن مالك ، اللفية ، ١٣  
(٢) الشاهد لرؤية ، انظر ، ابن عقيل ١٦/١ ، و ، البغدادي ، خزنة الادب ، بتحقيق هارون ، ٤/٥ ، ٢٢٦/١ .  
(٣) النودهي ، ٢٢٢  
(٤) سورة الجمعة ، ١١  
(٥) سورة النجم ، ١ - ٢

إذا غَدَوْتَ تَالِيًا لِفَاطِرٍ وَجَدْتَ ذِينَ اجْتَمَعَا فِي الْآخِرِ<sup>(١)</sup>

يشير إلى الآية (وَلَيْنَ زَالَتَا إِنْ أَمَسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ)<sup>(٢)</sup>.

**سادسا:** لجأ النودهي في مواقع من استشهاداته إلى إتمام الوزن بتفسير الشاهد مرة،

وإلى الإتيان بالشاهد في سياق من صياغته، فالأول قوله:

نَحْوُ (وَقَدْ فَصَّلَ) فِي الْأَنْعَامِ أَيِ الْحَرَامِ مِنْ سِوَى الْحَرَامِ<sup>(٣)</sup>

فبدلاً من إتمام الشاهد الذي قد يخلُّ بالوزن فسَّرَ معنى تمام الشاهد وهو ( وقد

فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ)<sup>(٤)</sup>، والثاني قوله:

وغير ظرفي: كَقَوْمٍ كَفَرُوا (بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) دُمُّرُوا<sup>(٥)</sup>

فالآية (إِنَّ الَّذِينَ يُضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ

الْحِسَابِ)<sup>(٦)</sup>، فضمَّنَ قوله تعالى (بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) في سياقٍ صاغه

وعلقَ الجارَّ والمجرورَ في الشاهدِ بكلمةٍ من نظمه.

وفي موضعٍ ثالثٍ ذكر معنى الشاهد في قوله:

(١) النودهي ، ٢٤٥

(٢) سورة فاطر ، ٤١

(٣) النودهي ، ٢٧٠

(٤) سورة الانعام ، ١١٩

(٥) النودهي ، ٢٨٥

(٦) سورة ص ، ٢٦

وثانيهما أرادتِ النساءُ أنْ يُرَضِعْنَ بالأجرةِ مَنْ رامَ اللبنُ<sup>(١)</sup>  
وموضعُ الشاهدِ ( أنْ يُرَضِعْنَ ) حيثُ اتَّصلَ الفعلُ بنونِ نسوةٍ اتصالاً مباشراً  
فبني، وقَدَّرَ موضعَ النصبِ بـ ( أنْ ) . والآيةُ التي ذَكَرَ معناها هنا هي ( فإنْ  
أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتَوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ )<sup>(٢)</sup>.

**سابعها:** يشيرُ النودهي في موضعين إلى عدمِ ورودِ الشيء الذي يتحدَّثُ عنه في القرآنِ  
الكريم: فالموضعُ الأولُ قوله:

كذا لنا واوٌ يكونُ زائداً ولا أراهُ في القرآنِ وارداً<sup>(٣)</sup>  
وهي الواوُ الزائدةُ التي أثبتَها الأخفشُ والكوفيونُ<sup>(٤)</sup> واستدلوا لها بآيتين:  
الأولى: (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها)<sup>(٥)</sup>  
الثانية: (فلما أسلما وتلَّهُ للجبينِ وناديناه)<sup>(٦)</sup>  
أما الموضعُ الثاني فهو واوُ الثمانية إذ يقول:  
واوُ الثمانية قيلَ يردُ وفي كتابِ الله ليسَ يوجدُ

- 
- (١) النودهي ، ٢٤٢
  - (٢) سورة الطلاق ، ٦
  - (٣) النودهي ، ٢٢٨
  - (٤) ابن هشام ، مغني اللبيب ، ٤٢٢
  - (٥) سورة الرمز ، ٧٣
  - (٦) سورة المافات ، ١٠٤

وما ببعض الآي عُذُّ مِنْهُ فَرْدَةٌ مَنْ قَدْ أَجَابَ عَنْهُ"<sup>(١)</sup>

فيشير إلى عدم ورودها في القرآن، وأما مَنْ زَعَمَ ذَلِكَ فَقَدْ رَدَّهُ مِنْ أَجَابَ عَنْهُ  
يقصد ابن هشام في المغني<sup>(٢)</sup>.

---

(١) النووي ، ٢٧٨

(٢) ابن هشام ، مفتي الطيب ، ٤٧٤ - ٤٧٧

## الفصل الثالث

### القسم الثاني

#### التمثيل في المنظومات النثرية

أولاً : تحديد المفهوم : (التمثيل)

يصف الدكتور محمد عيد في تفريقه بين الاستشهاد والاحتجاج والتمثيل، يصف التمثيل بقوله (أما الأخير - التمثيل - فهو يستعمل كثيراً جداً في الأمثلة الصناعية التي تساق عادةً منسوبةً «لزيد وعمرو» لقصد تثبيت القواعد وبيانها وكذلك في سوق النصوص والتعليق عليها عمن جاوزوا عصر الاستشهاد من الشعراء والناطقةين باللغة)<sup>(١)</sup>.

وهذا الوصف ينطبق على الأمثلة المركبة تركيباً جُملياً، ولا ينطبق على الأمثلة المفردة، فلو أراد أحد التمثيل على الفعل الماضي لفيقاً مفروقاً - مثلاً - بالفعل (وقى) لما انطبق على ذلك وصف التمثيل على حد وصف د. محمد عيد.

فقد قيّد عملية التمثيل بـ :

١- (الأمثلة الصناعية) والوصف بـ (الصناعية) ينطبق على المركبات ولا ينطبق

على المفردات إلا قليلاً، لأن المفردات أحوالها ثلاثة:

أ- الوضع ب- النقل ج- الاشتقاق

ولفظ (الصناعية) لا ينطبق على الموضوع والمنقول.

(١) د. محمد عيد، الرواية والاستشهاد باللغة/ ١٠١

٢- (التي تُساقُ عادةً منسوبةً «لزیدِ عمرو») وهذه -أيضاً- منطبقةٌ على المركبِ الجُمليِّ أو الإضافيِّ مثل (جاءَ زيدٌ) و (ثوبُ عمرو) وبعضِ المفرداتِ .

٣- تقييدهُ (سوقِ النصوصِ والتعليقِ عليها عمّنْ جاوزوا عصرَ الاستشهادِ) يدلُّ على أن كلَّ مَنْ عاش في عصرِ الاحتجاجِ يَعُدُّ قوله شاهداً وحبّةً، وهذا مُنتَقِضٌ بالقبائلِ المعدودةِ التي لا يَحْتَجُّ بلفظِها، أفلا يكونُ استحضارُ كلامِها على قاعدةٍ مستقرةٍ تمثيلاً ؟

٤- تقييدهُ الغرضِ من عمليةِ التمثيلِ بكونِها (القصدُ تثبيتِ القواعدِ وبيانِها)، أما البيانُ فننعمُ، وأما التثبيتُ ففيه نظرٌ، إذ لو جاءَ قائلٌ بمثلةٍ مثالِ على قاعدةٍ غيرِ ثابتةٍ فهل سيثبتُ القاعدةُ بتلكِ الأمثلةِ مهما كان عددها؟ إلا إذا كان الدكتور محمد عيدُ يعني بالتثبيتِ شيئاً آخرَ .

٥- لم يشترطْ في المثالِ أن يكونَ مشتملاً على القاعدةِ الممثَّلِ لها، مع أنه أشارَ إلى القواعدِ وتثبيتِها وبيانِها .

فالمسألةُ إذن مرتبطةٌ بالمثالِ وماهيتِهِ، إذ التمثيلُ مصدرٌ للفعلِ المزيدِ بالتضعيفِ (مَثَّلَ) أي أتى بمثالٍ، فلا خلافٌ على أن التمثيلُ هو الإتيانُ بمثالٍ أو استعمالُ مثالٍ، ولكن هل يشترطُ في المثالِ أن يكونَ مصنوعاً؟ وهل هو في العادةِ منسوبٌ لزیدِ وعمروٍ وهل يشترطُ في قائلِهِ أن يكونَ بعدَ عصرِ الاستشهادِ؟ وهل شرطٌ في المثالِ أن يكونَ مركباً؟

فلمعرفةِ التمثيلِ وتحديدِ مفهومِهِ لا بدُّ من استعراضِ صفاتِ المثالِ، وتقييدِ



الصفات المنطبقة عليه وعلى غيره.

فالمثال:

- ١- لفظ.
  - ٢- قد يكون مفرداً (كلمة واحدة) ( اسم، فعل، حرف).
  - ٣- وقد يكون مركباً، ويشمل هذا القول أنواع التركيب كلها:  
أ- التركيب المزجي.  
ب- التركيب الإضافي.  
ج- التركيب الإسنادي.
  - ٤- مشتمل على القاعدة المثل لها أو أحكامها أو بعضها.
  - ٥- يُصنَع أو يُؤْتَى به لتوضيح القاعدة وبيانها. وليس لتثبيت القاعدة، وهذا القيد يدخل الشواهد التي يُؤْتَى بها للتوضيح والتبيين وليس للتقعيد مع إمكان أن يكون الشاهد احتج به - في غير عملية التمثيل - على القاعدة تقعيداً وإثباتاً، مع أن الغالب في المثال أن يكون مصنوعاً، لكن هذا لا يمنع التمثيل بشاهد - على سبيل التمثيل لا الاحتجاج والاستشهاد -.
- فلو أردت صياغة تعريف للمثال مراعيًا ما سبق لقلت: المثال هو (اللفظ المفرد أو المركب المشتل على القاعدة الممثل به عليها يُصنَع أو يُؤْتَى<sup>به</sup> لبيان قاعدة وتوضيحها).

فبهذا التعريف تتحدد الأمور التالية:

- ١- بيان ماهية المثال.
  - ٢- بيان مصدر المثال -الصناعة أو الإتيان بمصنوع أو شاهد-
  - ٣- بيان الغرض منه.
- وعليه يكون تعريفاً جامعاً مانعاً.

### ثانياً: العوامل التي تنظم في التمثيل في المنظومات النحوية:

تبين مما سبق تعريف التمثيل وتحديد مفهوم المثال، وهو منطبق على التمثيل النحوي بعامة، أما التمثيل في المنظومات النحوية فإن الأمر يختلف إذ تضاف قيود أخرى لا ترد في التمثيل النحوي غير المنظوم، فهناك قيد الوزن، ويتفرع عليه نوع البحر، وهناك قيد القافية، سواء كان المثال أو بعضه قافية أو قبلها <sup>كان</sup> إذ ما قبل القافية مهيئة لها في الأغلب.

فالعوامل التي تنظم في أمثلة المنظومات النحوية سواء ما كان منها متأتياً بسبب النظم أو ما كان متأتياً من جهة النحو، أو ما كان متأتياً من جهة التمثيل بعامة يمكن حصرها بما يلي:

- ١- اشتمال المثال على القاعدة.
- ٢- الوزن.
- ٣- القافية.

٤- نوع الباب المنظوم نحواً أو صرفاً.

تفصيلة ذال :

الأصل في المثال أن يُؤتى به أو يُصنع لتوضيح قاعدة وبيانها، فالمثال ليس كلاماً عربياً مصوغاً وفق قواعد اللغة -غالباً- فحسب، بل إنه صيغ أو أُتِيَ به مشتملاً على القاعدة المثل لها، فلا يُعدُّ مثلاً إن لم يكن كذلك، فاشتمال المثال على القاعدة قد يضاف إلى الصياغة السليمة -في ما اشترط<sup>فيه</sup> ذلك- وهو بالتالي عامل مؤثر في صياغة المثال.

وليس الأمر مقتصراً على الصوغ اللغوي السليم واشتمال المثال على القاعدة بل إن صوغ المثال يجب أن يكون متفقاً مع الوزن، فيتضمن شحنات موسيقية مؤثرة.

فمثال الحريري -مثلاً- في قوله في باب الظرف:

وأينما صادفت «في» لا تضمر فارفع وقل: (يوم الخميس نيراً)<sup>(١)</sup>

خضع لقيد الوزن وذلك بتخصيصه يوم الخميس بشدة الإنارة، فرمما لا يكون الخميس وحده نيراً، وليس كل يوم خميس نيراً، ولكن الوزن لا يستقيم إلا بيوم الخميس. أو كقوله في باب كم الاستفهامية:

وكم إذا جئت بها مستفهما فانصب وقل: كم كوكباً تحوي السما<sup>(٢)</sup>

(١) الحريري ، ملحة الاعراب ، ٤١

(٢) السابق ، ٤٠

فخضوعه للوزن أدى به إلى التمثيل بمثال لا يكاد يستعمل، إذ لا أحد يسأل  
أحدًا عن عدد كواكب السماء على الحقيقة إلا على سبيل التعجيز ولكن  
الوزن حكم عليه بذلك.

وقيد القافية قيد آخر يلزم به الممثل الناظم، ففي المثال الثاني من مثالي  
الحريري السابقين جاء آخر المقال وفيه ضرورة وهي قصر المدود:  
السماء بالقصر السما للضرورة.

وفي المثال الأول منها ألزم الناظم بالإخبار عن يوم الخميس بكونه نيرًا، ولا  
يستطيع الإخبار عنه بأنه منير لأنه يقع في عيب سناد الردف، ولا بأنه مشرق  
-مثلًا- لأنه يوقعه في عيب الإجازة-اختلاف حرف الروي-.

أما العامل الرابع الذي هو التفريق بين أمثلة الصرف وأمثلة النحو، فذلك عائد  
لاختصاص كل علم منها، فعلم الصرف علم يبحث في ألفاظ اللغة من جهة  
بنيته وما يعتورها من تغيير، فكانت أمثله ألفاظًا مفردة، فمثال اسم الفاعل  
من الثلاثي -مثلًا- (ضارب)، ومما زاد على الثلاثي (مضطرب)، وهكذا...  
أما النحو فهو العلم الذي يبحث في الألفاظ من حيث اتلافها في التركيب،  
وما يترتب عليه من حركات الأواخر، وأنماط التراكيب الجائزة والواجبة، فالبحث  
فيه في الجمل، فأمثله جمل وتراكيب.

ويدخل في علم النحو معاني الحروف والأدوات، وذلك من جهة أن المعاني  
تعتورها بالتركيب (من) الجارة مثلًا لها عدة معانٍ، والذي يحدد كل معنى

منها سياقها وتركيبها مع غيرها في الكلام.

يقول ابن مالك في باب تعدي الفعل ولزومه:

فأنصب به مفعوله إن لم ينب<sup>(١)</sup> عن فاعل نحو (تدبرت الكتب)<sup>(٢)</sup>

فالمثال فيه جملة، لأنه يمثل على تعدي الفعل، فيجب أن يأتي بفعل، ولا بد للفعل من فاعل ولا بد أن يأتي بالمفعول به (المتعدي إليه) حتى تكتمل أركان المثال (الجملة).

ويقول في باب التصغير:

فَعْيِيلٌ مَعَ فَعْيِيلٍ لِمَا فَاقَ كَجَعَلِ دَرَاهِمَ دَرِيهَمًا<sup>(٣)</sup>

فجاء المثال كلمة أو لفظة واحدة وأجرى عليها قاعدة التصغير لما زاد على الثلاثة (فَعْيِيل) للرباعي.

### خصائص التمثيل في المنظومات النحوية:

يخضع الممثل (الذي يأتي بمثال) في كل علم أو فن إلى الشروط الواجب توافرها في المثال، ويخضع كذلك إلى الشروط التي يفرضها العلم أو الفن الذي يمثل فيه، ويخضع الممثل الناظم إلى الشروط التي يُمليها النظم عليه، وبهذه العوامل كلها مجتمعة تتسم الأمثلة الناتجة بخصائص وسمات لا يشترط

(١) ابن مالك، اللغية، ٦٥

(٢) السابق، ٦٠

وجودها في الأمثلة غير الخاضعة لتيك العوامل.

قلت: (لا يشترط وجودها في الأمثلة غير الخاضعة لتيك العوامل) تحرزاً من أمثلة كثيرة تشتم بهذه السمات أو ببعضها دون الخضوع للعوامل المذكورة، فقد يأتي ممثل غير ناظم بمثال موزون دون وجود ما يملئ عليه ذلك، وقد يأتي بمثال مسجوع دون الاضطرار لذلك، وهكذا..

فما أهم السمات والخصائص التي اتسمت بها أمثلة المنظومات النحوية؟  
من استقراء الأمثلة في منظومات نحوية - ثلاث منها على الرجز متعددة القوافي، وثلاث منها على غير الرجز ذوات قافية واحدة لكل منها - يمكن تناول تلك الأمثلة من جهات أربع، هي:

- ١- العدد والشمول.
  - ٢- الطول والقصر.
  - ٣- الألفة والغرابة.
  - ٤- استعمال المثال لغير غرض.
- والأمور التي تشملها كلٌّ من الجهات الأربع المذكورة:
- ١- العدد والشمول.
  - أ- الإفراط.
  - ب- التفريط.

ج- العدم.

٢- الطول والقصر.

أ- الأمثلة الطويلة.

ب- الأمثلة القصيرة.

ج- استغراق الأمثلة بيتاً أو أكثر.

٣- الألفة والغرابة.

أ- أمثلة جرت مجرى المثل.

ب- أمثلة مألوفة تتردد بين اللغويين .

ج- أمثلة غريبة يظهر فيها أثر الصنعة والتكلف.

٤- استعمال المثال لغير غرض.

أ- الأصل في المثال التوضيح والبيان.

ب- دلالة المثال على تفصيل القاعدة.

ج- اشتغال المثال على عاطفة.

د- اشتغال المثال على حكمة.

هـ- المثال المستدعى.

### أولاً: العهد والنتيجة:

تراوحت الأمثلة في الأبواب اللغوية المختلفة بين الكثرة والقلّة والاعتدال والندرة أو الانددام، ففي ألفية ابن مالك هناك الأبواب النحوية التالية وعدد

الأمثلة في كل منها، وعدد أبيات كل باب:

- ١- باب الحال ٢٤ بيتاً ١٢ مثلاً<sup>(١)</sup>
- ٢- باب التمييز ٨ أبيات ٧ أمثلة<sup>(٢)</sup>
- ٣- باب أبنية المصادر ١٧ بيتاً ٢٤ مثلاً<sup>(٣)</sup>
- ٤- باب أبنية أسماء الناعلين والمفعولين والصفة المشبهة: ١٠ أبيات ١١ مثلاً<sup>(٤)</sup>

فعدد أمثلة كل باب من الأبواب المذكورة يساوي أو يزيد على نصف عدد أبيات كل باب منها، وربما تجاوزها.

ولكن الأبواب التالية اختلفت عن الأبواب السابقة من جهة عدد الأمثلة مقيسة بعدد الأبيات:

- ١- باب الصفة المشبهة باسم الفاعل ٧ أبيات مثالان على مسألة واحدة<sup>(٥)</sup>
- ٢- باب التعجب ١١ بيتاً مثالان اثنان<sup>(٦)</sup>
- ٣- باب النعت ٤ بيتاً مثالان<sup>(٧)</sup>

(١) ابن مالك، الالغية، ٢٦ - ٢٠

(٢) السابق، ٢١

(٣) السابق، ٢٦ - ٢٧

(٤) السابق، ٢٧

(٥) السابق، ٢٧

(٦) السابق، ٢٨

(٧) السابق، ٤٠ - ٤١



باب المفعول منه	٤ -	٥ أبيات	مثال واحد <sup>(١)</sup>
باب إعمال اسم الفاعل	٥ -	١٢ بيتاً	ثلاثة أمثلة <sup>(٢)</sup>
باب الإضافة	٦ -	٣٥ بيتاً	تسعة أمثلة <sup>(٣)</sup>
باب الاستثناء	٧ -	١٦ بيتاً	مثالان <sup>(٤)</sup>
باب حروف الجر	٨ -	٢١ بيتاً	ثلاثة أمثلة <sup>(٥)</sup>

فعدد الأمثلة في هذه المجموعة من الأبواب مقيساً بعدد الأبيات لا يكاد يتجاوز الربع في حدّه الأعلى، ويتدنى إلى ما يقارب السبع.

وتفسير ذلك قد يعود إلى طبيعة الباب النحوي ومدى انسجام تطبيقاته مع النظم والبحر المنظوم عليه، فمثلاً باب التعجب في إحدى صيغته القياسيتين (ما أفعل كذا) جرت هذه الصيغة مجرى المثل بحيث لا تقديم ولا تأخير ولا حذف فيها ولا زيادة، مع أن الحذف والزيادة فيها مقيدة بحالة واحدة في كل منها، فالحذف مختص بالمفعول (المتعجب منه) وذلك في حال دلالة السياق عليه، أو بتعبير أدق في حال التكرار، والزيادة مختصة بزيادة (كان) بين أداة التعجب وفعل التعجب.

فما مدى انسجام هذه الصيغة القياسية المقيدة بالأحوال المذكورة مع بحر الرجز

(١) السابق ، ٢٨  
(٢) السابق ، ٢٥ - ٢٦  
(٣) السابق ، ٢٢ - ٢٤  
(٤) السابق ، ٢٨ - ٢٩  
(٥) السابق ، ٢١ - ٢٢

مثلاً؟

لنضع عدة أمثلة مختلفة هذه الصيغة ونطابقها على وزن الرجز.

- ١- ما أكرم زيدا <sup>على</sup> /- ب ب /- /-  
٢- ما أجمل أباك -- / ب ب ب /- ب  
٣- ما أحلى رضاك /- /- ب /- ب  
٤- ما أوفى عمراً -- /- /- /- /-

فالمثال الرابع تقع فيه (مستفعل = مفعولن) وهي تقع في الرجز على قلة، وفي الأمثلة الثلاثة الأولى يلزم الناظم الممثل بها بأحد أمرين:

- ١- في المثالين (١ . ٣) يلزم الناظم الإتيان بالمثال في وسط الشطر.  
٢- في المثال الثاني يلزم الناظم بالإتيان بـ (مفعولن) قبل (متعلن) في المثال. ولننظر إلى المثال اليتيم على هذه الصيغة عند ابن مالك:

وتلو أفعَل انصَبَّته ك (ما) أوفى خَليلينا وأصدق بهما<sup>(١)</sup>

١- جعل (ما) التعجبية في آخر الشطر الأول.

٢- ابتداء الشطر الثاني بأفعل.

٣- جاء بفعل معتل الآخر وصاغ منه أفعل.

٤- جاء بالمفعول به مثنى مضافاً إلى ضمير المتكلمين.

إذن يحتاج الناظم إلى أن يتصرف ليأتي بمثاله مطابقاً لبحره، ولعل صيغتي

التعجب أقل تصرفاً من تراكيب أخرى وذلك لامتناع التقديم والتأخير فيهما ،  
وقلة الحذف والزيادة فيهما ، ولكن هل هذا القول مُطرد؟  
الجواب عن ذلك يغلب عليه النفي ، إذ إن الحريري في ملحته مثل على الصيغة  
الأولى للتعجب بأربعة أمثلة:

تقول: ما أحسن زيدا إذ خطا  
وما أخذ سيفه حين سطا<sup>(١)</sup>  
تقول: ما أنقى بياض العاج  
وما أشد ظلمة الدياجي<sup>(٢)</sup>  
والذي أعانه في ذلك سعة التصرف:

- ١- استغراق كل مثال - تقريباً - شطر بيت.
  - ٢- القيود التي قيّد بها المثالين الأولين (الظرفية).
  - ٣- أتى بفعل التعجب مرةً صحيحاً ومرةً معتللاً الآخر، ومرتين مضاعفاً.
  - ٤- المتعجب منه مفرد مرةً ومضاف إلى ضمير أخرى، ومضاف إلى ظاهر مرتين.
  - ٥- تكرار «تقول» في أول كل من البيتين، وهو كثير في ملحته<sup>(٣)</sup>.
- أما من جهة الشمول فيتضح من النسب المستخرجة من أمثلة مجموعتي

(١) الحريري ، ملحة الاعراب ، ٤٤ ، البيت الثاني .

(٢) السابق ، ٤٤ ، البيت الخامس .

(٣) السابق ، الأبيات ذوات الأرقام ( ٢٩ ، ٤٩ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ،  
١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ،  
١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢١٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٩ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٩ ،  
٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٨ ، ٢٥٤ ) ، وهذا غير الأبيات التي  
ابتدأت بشتقات القول غير ( تقول ) ، وهي كثيرة جداً أيضا .

الأبواب المذكورة التفاوت في الشمول، فباب التعجب عند ابن مالك -مثلاً- لم يمثل إلا على الصيغتين القياسيتين بمثال لكل منهما، ولم يمثل على حذف المتعجب منه في حالة عدم اللبس -مثلاً-، ولم يمثل على شروط صياغة فعل التعجب بأي مثال.

وما قيل هنا يقال في الأبواب الأخرى التي خلت من الشمول أو قل فيها التمثيل. ومما يستحق الإشارة إليه هنا أن المهلبى في كتابه «نظم الفرائد وحصر الشواهد» خلا نظمة من الأمثلة -تقريباً-، وندر أن مثل على قاعدة - خاصة في نظمه النحوي-، ولعل الملاحظات التالية عليه أو بعضها تعين في تفسير ذلك:

١- نظمة جاء مقطعات مختلفة الوزن والقافية، كل مقطعة منها جاءت على بحر مستقل وقافيتها واحدة.

٢- نظمه كان لمختارات من أبواب النحو والصرف واللغة، وليس شاملاً لأفرع اللغة، أو لأحد أفرعها.

٣- جرى كتابه على إيراد النظم تحت العنوان المراد شرحه، ثم يتلوه شرح النظم نثراً، مستشهداً وممثلاً.

من الملاحظة الثالثة - تحديداً - يتضح تفسير خلو نظمه من الأمثلة، لأنه يورد القواعد نظماً ثم يشرحها نثراً، ويورد عند ذلك الشواهد والأمثلة اللازمة، فلم يمثل نظماً لاقتصاره عليه نثراً.

أما الملاحظة الأولى - فيمكن أن تعطي تفسيرين متناقضين:

-١- إما أنه متمكّن من النظم في جميع البحور وعلى مختلف القوافي، وأن التمثيل يخفّف من وطأة النظم من جهة سعة التصرف فيه، فلم يمثّل تحدياً وإظهاراً لبراعته.

-٢- وإما أنه - لمراوحتِهِ بين البحور والقوافي واقتصاره على المقطعات دون القصائد الطويلة - يخلو من طول النفس الشعري، فيلجأ إلى التحرر من البحر والقافية مرة تلو أخرى، والتمثيل يؤدي به إلى الإطالة في النظم.

والملاحظة الثانية تدلّ على أنه لم يُغنَ بالاستقصاء والشمول كثيراً لاختياره أبواباً نحوية، وصرفية ولغوية ينظمها دون غيرها، فلعلّ هذه السمة (عدم الشمول والاستقصاء للأبواب أو لمسائل كلّ باب يعرضه) تجاوزت الأبواب إلى جزئيات كلّ بابٍ نظمه، فلم يُغنَ باستقصاء أمثلة للقواعد التي نظمها.

## ثانياً: الطول والقصر:

يقصدُ بالطولِ والقصرِ -تحديداً- عددُ كلماتِ المثالِ، وعددُ حروفِ كلماتِهِ، وهذا البحثُ لا يكادُ يتناولُ في التمثيلِ العاديِّ -غيرِ النظميِّ-، ولكنَّ الأمرَ مختلفاً في أمثلةِ المنظوماتِ، فالممثلُ الناظمُ مقيَّدٌ بوزنِ التصرُّفِ فيه أضيَّقُ من النثرِ. وسأحاولُ في هذا البحثِ -المتواضعِ- عدمَ التعرُّضِ للاختلافِ طولاً وقصراً بين أمثلةِ النحوِّ وأمثلةِ الصرفِ، لأنَّ ذلكَ -في الأغلبِ- ليسَ عائداً إلى النظمِ، بل عائداً إلى طبيعةِ كلِّ من العَلَمينِ واختصاصِ كلِّ منهما في أمرٍ يختلفُ عن الآخرِ.

وبشأنِ الطولِ والقصرِ في المنظوماتِ (النحوية) تبينتُ الملاحظاتُ التالية:

- ١- المنظوماتُ ذواتُ القافيةِ الواحدةِ، أمثلتها طويلاً غالباً.
- ٢- المنظوماتُ ذواتُ القافيةِ المتعددةِ (الرجزية) أمثلتها قصيرةً غالباً (ألفية ابن مالك، الدرّة البهية نظم الأجرومية للعمريطي، ألفية الأثاري).
- ٣- أمثلةُ الحريري في ملحته (الرجزية) طويلاً غالباً.
- ٤- أمثلةُ النودهي في نظمه النحويّ طويلاً (منظومات رجزية).

أمّا تفسير ذلك:

فأولاً:

المنظوماتُ ذواتُ القافيةِ الواحدةِ جاءتْ على بحورٍ طويلةٍ -نسبياً- كالطويلِ

والكامل والبسيط، وطول البحر يقتضي الناظم إقامه فتغلب الإطالة على الأمثلة أكثر من القواعد.

ثانياً:

المنظومات المتعددة القافية جاءت على بحر الرجز الذي هو قصير نسبياً - بكثرة جوازاته - مما ينعكس على الأمثلة فيغلب عليها القصر.

ثالثاً:

منظومة الحريري (ملحة الإعراب) قصيرة نسبياً بالنسبة للألفيات، فعددتها (٣٧٧ بيتاً)، ولم يستقص فيها أبواب النحو، والأبواب التي نظمها لم يستقص قواعدها، فجاءت للمبتدئين، وكونها كذلك اقتضى إطالة الأمثلة حتى إن كثيراً منها يستغرق بيتاً كاملاً، زيادة في التوضيح والبيان، يدل على ذلك أيضاً الإكثار من الأمثلة في ملحته، فيأتي لقاعدة واحدة بأكثر من مثال، حتى إن منظومته هذه تتصف بالشمول من جهة التمثيل لكل قاعدة - تقريباً - بمثال واحد على الأقل.

رابعاً:

منظومات النودهي النحوية التزم في أمثليته فيها مدح المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وللزوميه ما لا يلزم مثله - فقد أضاف على نفسه قيداً جديداً، وأثر هذا القيد يتجلى في طول الأمثلة، حتى إن كثيراً من أمثليته استغرق كل منها

بيتاً كاملاً، وكان يكثر من مثل تلك الأمثلة.<sup>(١)</sup>

وقد يسأل سائل: ما مقياسُ الطولِ والقصرِ في الأمثلة؟

فمن الممكن كون المثال الطويل عند واحدٍ قصيراً عند آخر، والعكس صحيح، فأقول:

الأصل في المثال أن يُوتى به مبيّناً وموضّحاً لقاعدة، وإذا كان جملةً فيجب أن يحقق الحد الأدنى من أركان الجملة اسمية أو فعلية، فالمثال المستوفي للشرطين السابقين، وكان غير مغلّب بأيّ منهما - ضمن القواعد النحوية - يكون قد حقق الحد الأدنى من شروط المثال، ولا حدّ أدنى من ذلك، فهو أقصر مثال ممكن يحقق لشروط المثال (وهو القصير)، وأما ما زاد على الحد الأدنى فبمقدار الزيادة يكون الطول، ولا حدّ أعلى للطول، لكثرة الفضلات والمتعلقات والقيود الممكن إضافة إلى الحد الأدنى من الجملة، فالقصير ما جاء على الأصل - أي الحد الأدنى - والطويل يحكم بمقدار طولهِ - اعتدالاً أو إفراطاً - بقدر زياداتهِ.

فمثل قول ابن مالك في باب أفعال التفضيل:

ورفعة الظاهر نزرَ ومتى      عاقبَ فعلاً فكثيراً ثبتا

كَلَنْ تَرى فِي الناسِ مِنْ رَفِيقِ      أُولى بِهِ الفِضْلُ مِنَ الصِّديقِ<sup>(٢)</sup>

فالمثال في البيت الثاني جاء طويلاً، فقد استغرق البيت - تقريباً -، وهذا واضح

(١) انظر - مثلاً - الفصل الثاني، صفحة ١٤٥ من هذا البحث.

(٢) ابن مالك، الالفية، ٤٠.



من الزيادات فيه (في الناس) (مِنْ) الزائدة.

وقوله أيضا في باب نِعَمَ وبِشَسْ :

وإن يقدّم مشعرَ به كفى <sup>(١)</sup> ك (العلمُ نعمُ المقتنى والمقتنى)

فالمثال طال بزيادة (المقتنى) عطفاً على المقتنى، إذ عند كلمة (المقتنى) تمّ ركنا

الجملة والمثال، فأكمل البيت بما بعدها للوزن والقافية ، فطال المثال .

ومثال القصر في باب (لا) التي لنفي الجنس عند ابن مالك :

ووكب المفرد فاتحاً ك (لا) حول ولا قوة) والثان اجعلاً <sup>(٢)</sup>

فالمثال هنا قصير لاستيفائه موضع التمثيل ، واستيفائه الحد الأدنى من أركان

جملة (لا) النافية للجنس حال التكرار ولم يزد على ذلك .

يقول الحريري في باب قسمة الأفعال في الأمر من المعتل الآخر :

وإن أمرت من سعى ومن غدا فأسقط الحرف الأخير أبداً

تقول: يا زيد اغد في يوم الأحد واسع إلى الخيرات لقيت الرشد

وهكذا قولك في ارم من رمى فاحذ على ذلك فيما استبهما <sup>(٣)</sup>

(١) السابق ، ٢٦

(٢) السابق ، ٢١

(٣) الحريري ، ملحة الاعراب ، ١٩

فهذه ثلاثة أمثلة لقاعدة واحدة في أحوالها الثلاث، جاء اثنان من المثالين طويلين والثالث قصيراً ، وتفصيل ذلك :

مثال الأمر من (غدا) : اغدُ، متضمناً ضميراً مستتراً فاعلاً، فانظر إلى الزيادات فيه: النداء والمنادى، والتعلق والإضافة فكان طويلاً .

مثال الأمر من (سعى) : اسع ، متضمناً ضميراً مستتراً فاعلاً، فزاد فيه المتعلق (الجار والمجرور) وجواب الأمر ، وهذه الزيادات لا علاقة لها بالتمثيل، بل علاقتها من جهة الوزن والقافية .

مثال الأمر من (رمى) : أرم، فاقتصر عليه، والجملة تامة فكان مثلاً قصيراً، حقق الحد الأدنى من شروط الجملة، وحقق شرط المثال في تضمينه موضع التمثيل .

### ثالثاً : الألفة والغرابة .

القيود المفروضة على الناظم الممثل تجعل الناظم يصنع أمثله ليحقق شرط المثال والصوغ اللغوي والوزن والقافية، مما يؤدي به - أحياناً - إلى صناعة أمثلة غريبة عن العرف اللغوي الاجتماعي، لأن الألفة والغرابة يحددها العرف اللغوي الاجتماعي، فمثلاً قول الحريري في النكرة والمعرفة:

فكلُّ ماربٍ عليه تدخلُ      فإنه منكراً يا رجلُ

نحو: غلام وكتاب وطبق كقولهم: رب غلام لي أبق<sup>(١)</sup>

المثال فيه غريب على العرف الاجتماعي الحاضر، ولكنه ليس غريباً على العرف الاجتماعي زمن الحريري لشيوع الرق آنذاك، وانعدامه في عصرنا.

والألفة والغرابة تكون في المعاني لا الألفاظ، لأن غربة الألفاظ في المستوحش منها والنادر الاستعمال في السعة، كأن يكون لفظاً حوشياً، أو جاء على لغة قليلة، كقول ابن مالك في (كم):

واستعملتها مخبراً كعشرة أو مائة ككم رجال أو مرة<sup>(٢)</sup>

وهذا نادر وجوده في المنظومات النحوية، وذلك لأن القصد من النظم السهولة والإيضاح والتقريب إلى الدارسين، وإيراد اللفظ الحوشي أو القليل الاستعمال مناف لهذا الغرض.

والغرابة في أمثلة المنظومات النحوية آتية من جهتين:

١- الأولى: العرف الاجتماعي المتغير، فهناك أمثلة غريبة على عرفنا الاجتماعي الحاضر، وليست مستغربة في عرف عصر الناظم الاجتماعي، وذلك مثل أمثلة العبيد والرقائق، ومثل استعمال أوزان ومكاييل غير مستعملة في أيامنا كالقفيز مثلاً، أو (منوين عسلاً) أو الفرسخ وغير ذلك من الوحدات التي كانت مستعملة في أزمانهم الغابرة وغير مستعملة في أيامنا.

(١) الحريري، ملحة الاعراب، ١٧

(٢) ابن مالك، الألفية، ٥٥

الثانية: ما يُمليده النظم على الممثل، أي القيود المفروضة على الممثل الناظم تؤدي به - أحياناً - للإتيان بأمثلة غير شائعة في استعمالها ومدلولها، يقول الحريري في باب ما لم يُسم فاعله:

تقول: بيع الثوب والغلام وكيّل زيت الشام والطعام<sup>(١)</sup>

فالمثال الثاني فيه غرابة أتت من قيد الوزن والقافية، فما معنى كيل زيت الشام دون غيره، والزيت دون غيره؟

والغالب على أمثلة المنظومات النحوية - مع ما ذكرت من القيود والعرف الاجتماعي - الألفة، وتعليل ذلك يكمن في الغرض من النظم النحوي الذي هو التقريب والإيضاح والتسهيل، فكان الغالب على الأمثلة أنها مألوفة مع أن كثيراً منها جرى مجرى المثل، وذلك في ما نسب إلى زيد وعمرو من الأفعال والصفات.

يقول الحريري في باب الكلام:

حدّ الكلام ما أفاد المستمع نحو: سعى زيد وعمرو متبع<sup>(٢)</sup>

ويقول في باب المفعول معه:

تقول: جاء البرد والجبابا واستوت المياه والأخشابا<sup>(٣)</sup>

(١) الحريري، ملحة الاعراب، ٢٢

(٢) السابق، ١٦

(٣) السابق، ٢٧

فالمثال الأول في البيت الثاني أخذه من القول الشائع (جاء البرد والطياسته)<sup>(١)</sup>

والثاني أخذه من قولهم (استوى الماء والخشبة)<sup>(٢)</sup>

يقول ابن مالك في باب الابتداء:

وإن تكن إياه معنى أكتفى بها كنظقي الله حسبي وكفى<sup>(٣)</sup>

والأمثلة على ذلك كثيرة - أي ما جرى مجرى المثل - فضلاً عن المؤلف عند اللغويين والنحاة والدارسين.

### رابعاً: استعمال المثال لغير غرض:

قلت قبل: الأصل في المثال أن يؤتى به موضعاً ومبيناً انطباق القاعدة عملياً، فهذا الغرض الأساس من المثال والإتيان به، أما المنظومات النحوية فقد ضمن كثير من الأمثلة فيها غرضاً أو أكثر أضيفت إلى الغرض الأصلي، فمن هذه الأغراض:

١- استعمل المثال فوق كونه موضعاً ومبيناً استعمل مفضلاً، فاستغنى الناظم عن

تفصيل القاعدة بذكر أمثلة لجزئياتها، فمن ذلك:

أ- يقول ابن مالك في باب المضاف إلى ياء المتكلم:

(١) سيبويه ، ٢٩٨/١

(٢) السابق ، ٢٩٨/١

(٣) ابن مالك ، اللفية ، ١٦

أويك كَابِنَيْنِ وَزَيْدَيْنِ فَذِي جَمِيعَهَا لِيَا بَعْدُ فَتَحُّهَا اِحْتَذِي<sup>(١)</sup>

فمثل على المثني بـ (ابنَيْن) وعلى الجمع بـ (زَيْدَيْن) دون ذكر المثني والجمع.

ب- ويقول في باب المعرب والمبني:

وَاجْعَلْ لِنَحْوِ يَفْعَلَانِ التَّوْنَا رَفْعًا وَتَدْعَيْنِ وَتَسْأَلُونَا<sup>(٢)</sup>

فشرح يشرح الأفعال الخمسة وماهيتها، فأشار بقوله:

١- يَفْعَلَانِ إِلَى الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمُتَّصِلِ بِالْفِ الْاِثْنَيْنِ.

٢- تَدْعَيْنِ إِلَى الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمُتَّصِلِ بِيَاءِ الْمُخَاطَبَةِ.

٣- تَسْأَلُونَا إِلَى الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمُتَّصِلِ بِوَاوِ الْجَمَاعَةِ.

دُونَ أَنْ يَذَكَرَ الْعَنْوَانَ، وَاسْتَفْنَى عَنْ ذَلِكَ بِالْتَّمْثِيلِ.

ج- يقول الحريري في باب النكرة والمعرفة:

وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَهِيَ سَعْرَفَةٌ لَا يَمْتَرِي فِيهِ الصَّحِيحُ الْمَعْرِفَةُ

مِثَالُهُ: الدَّارُ وَزَيْدٌ وَأَنَا وَذَا وَتِلْكَ وَالَّذِي وَذُو الْعِنَا<sup>(٣)</sup>

فهذه أمثلة على المعرفة تتضمن تفصيلاً أنواع المعارف.

٢- اشتمال المثال على عاطفة:

اتسم النظم النحوي والنظم العلمي بعامة بخلوه - عادة - من العاطفة، لأن الناظم

يسرد قواعد وقوانين علمية عقلية أبعد ما تكون عن التعبير الشعوري، وليس

(١) السابق ، ٢٤

(٢) السابق ، ١١

(٣) الحريري ، ملحة الاعراب ، ١٧ - ١٨

في القواعد مجالاً لعاطفة، فلا غضب ولا رضا، ولا حب أو كرهاً، وليس فيها  
بثاً أشواقٍ وشجون.

لكن هذا القول لا يعني إغلاق باب العاطفة أمام الناظم العلمي وانسداده في  
وجهه، بل إنَّ منهم مَنْ برع في الاستفادة من المثال لجعله قالباً يصب فيه شيئاً  
من العاطفة المناسبة، والمشاعر الملهبة ليحطم بذلك جداراً من جذر الحدة في  
القواعد، ويضفي عليها شيئاً من الحياة.

أول ما وجدت هذه السمة - في ما أعلم - عند حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)،  
لمحات عاطفية في نظمه النحوي برزت عنده في إشفاقه على إمام النحو البصري  
سيبويه لتعرضه للظلم من قبل الكسائي في حضرة الرشيد.

بعد أن يسرد قصة المناظرة بينهما، ويعقد مقارنةً بينها وبين قصة التحكيم التي  
ظلم فيها معاوية علياً، ليعقبَ بأبيات تفيض إشفاقاً على سيبويه، يقول:

فظل بالكرب مكظوماً وقد كُرِيتَ	بالنفس أنفاسه أن تبلغ الكظما
قضت عليه بنير الحق طائفة	حتى قضى هداً ما بينهم هداً
من كل أجور حكماً من سدوم قضى	عمرو بن عثمان مما قد قضى سداً
حساده في الورى عمت فكلهم	تلفيه متقيداً للقول منتقما
فما النهى ذمماً فيهم معارفها	ولا المعارف في أهل النهى ذمماً
فأصبحت بعده الأنفاس كابية	في كل صدر كأن قد كظ أو كظما

وأصَبَحَتْ بِمَدَّةِ الْأَنْفَاسِ بَاكِيَةً فِي كُلِّ طَرْسٍ كَدَمَعٍ سَحٍّ وَانْسَجَمَا

.....

والغبنُ في العلمِ أشجى محنةً عَلِمَتْ وَأَبْرَحَ النَّاسِ شَجْوًا عَالِمٌ هُضِمَا<sup>(١)</sup>  
وجاء بعد حازم القرطاجني نحاة ناظمون استنوا سننه هذا، وتوسعوا في إضفاء  
العاطفة على جل أمثلتهم، فمن الناظمين الذين اطلعت على منظوماتهم  
وامتازوا بهذه الميزة ثلاثة، هم:

١- عبد الله بن محمد الشبراوي (ت ١٠٧٢ هـ) .

٢- حسن بن محمد العطار (ت ١٢٥٠ هـ) .

٣- الشيخ معروف النودهي (ت ١٢٥٤ هـ) .

أما الأول الشبراوي فضمن عدداً من أمثله عواطف مختلفة، فمنها:

أ- يقول في منصوبات الأسماء ، (لا) النافية للجنس :

وانصِبْ مضافاً بها أو ما يُشَابِهُهُ سَكَّ (لا أسير هوىً ينجو من الخطل)<sup>(٢)</sup>

حيث عرض في المثال لمن يأسره الهوى وما يصيبه منه من الخطل .

ب - يقول في الباب نفسه (المنادى) :

وإنَّ تَنَادِرَ مضافاً أو مُشاكِلَهُ قَل: يارحيماً بنا، ياغافر الزلل<sup>(٣)</sup>

مثل بمثالين لحالين :

(١) حازم القرطاجني ، ١٢٦

(٢) عبدالله الانماري ، ٤٩١

(٣) السابق ، ٤٩١



١- المنادى الشبيه بالمضاف (يارحيمًا بنا) .

٢- المنادى المضاف (يا غافر الزلل) .

وضمن المثالين دعاء الله - تعالى - بصفتين يعنى بهما قلب كل مؤمن :

الرحمة، المغفرة .

ج- يقول في مخفوضات الأسماء :

عوامل الخفض عند القوم جملتها ثلاثة، إن تردّ قثيلها فقل

غلام زيد أتى في منظر حسن فانظره واحذر سهام الأعين النجل<sup>(١)</sup>

فاستعمل الأمثلة في البيت الثاني لثلاثة أغراض :

الأول : التمثيل الذي يفيد بيان القاعدة .

الثاني : التفصيل حيث فصل بالأمثلة أنواع المخفوضات :

غلام زيد : الجرّ بالاضافة ،

في منظر : الجر بالحرف .

حسن : الجر بالتبعية (الصفة تتبع الموصوف في الإعراب والتنكير) .

الأعين : الجر بالاضافة .

النجل : الجر بالتبعية (الصفة تتبع الموصوف في الإعراب والتعريف) .

الثالث : الساطفة في قوله (سهام الأعين النجل) متغزلاً .

أما الثاني والثالث فتوسعا كثيراً في تضمين أمثلتهم عاطفةً، واختص أولهم (العتار) بالغزل والشوق والحنين وما يتبع ذلك من بث الوصل والهجر .

من أمثلة ذلك قوله في الكلام والكلمة والكلم :

يَرْكَبُ من فعلٍ وحرفٍ كذا اسمه كقولك: صِلْ مُضْنَاكَ ياطلعةَ البدر<sup>(١)</sup>  
فضمّن مثاله طلبَ الوصلِ متغزلاً بمخاطبه .

يقول في (قد) علامةً للمضارع :

كذلك "قد" أيضاً كقولك: قد ثوى بقلبي هواكم لا يزال مدى الدهر<sup>(٢)</sup>  
يقول في المتأخر والخم :

كقولك: هذا أغيدٌ قد عشقته له مقلةٌ تُعزى إلى بائِلِ السحرِ

وتنصبه أشباه "كان" (لم يزل حبيبي مفرياً بالتباعدِ والهجرِ)

«وإن» بعكسِ نحرٍ: ليت معذبي لحالي يرثي علّ يشفي جوى الصدرِ

وأشباه ظنّ النسبِ تعملُ فيهما كخلت حبيبي مفرداً الآنِ والدهر<sup>(٣)</sup>

لا يتسع المجال لسرد أمثله والحديث عنها، فمنظومته بلغت سبعة وخمسين بيتاً

على البحر الطويل لم يكذ يخلو بيتاً من مثال يفيض عاطفةً وإحساساً، وأبداع

في ذلك أيما إبداع.

(١) السابق ، ٤٩٢

(٢) السابق ، ٤٩٣

(٣) السابق ، ٤٩٣

ثالثُ الثلاثة الشيخُ ، معروف النودهي حيثُ ملأ منظوماته الكثيرة أمثلةً  
معبرةً عن شوقه لزيارة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وللقائه والفوز  
بشفاعته: .

يمثل على الجملة المعترضة:

فأول: كسيد الأنام شفيح -والله- ذوي الإجرام

ثانيهما: فضل النبي الخاتم على -وربنا- جميع العالم

و «قَدْ» وفعلٍ نحو: قد -وربّي- رأيتُ مَنْ رؤياه نورٌ قلبي

...

وكالذي أحبه رسولٌ -والله- فيه حارتِ العقول<sup>(١)</sup>

...

بُنِيَّ أسررتُ إليك النجوى امشِ معي نسعى إلى مَنْ نهوى<sup>(٢)</sup>

ويقول:

في (إن أتاني في منامي المصطفى أطيّر شوقاً) في (أطيّر) اختلفاً<sup>(٣)</sup>

فلا تخلو صفحةً من صفحات منظومته (الإغراب نظم قواعد الإعراب) من مثال

يعبر فيه عما سلف ذكره.

(١) النودهي ، ١٨٢ - ١٨٣ ( نظم قواعد الاعراب )

(٢) السابق ، ١٨٥ ، ( نظم قواعد الاعراب ، الجملة المفسرة ) .

(٣) السابق ، ١٦٦ ( نظم قواعد الاعراب ) .

ومن المهم الإشارة إلى ناظم - لم أر منظومته المعنية - امتاز بهذه الميزة كما يذكر مُعِدُّ فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السلیمانية محمود أحمد محسد في وصفه لمخطوطات البيروشى<sup>(١)</sup>، يعلق في الحاشية بقوله: (الأصل هو كفاية المعاني وهي أيضاً منظومة من الأدب التعليمي الجميل، نظمها البيروشى لنفسه سنة ١١٩١هـ في بلدة الإحساء بأمر حاكمها...، وهي تقع في ٦٧٢ بيتاً بأسلوب أدبي شيق (كذا) فهي وإن كانت منظومة تعليمية إلا أنه ضمنها أبياتاً وجدانياً<sup>(٢)</sup>، بل ضمن الشعر التعليمي نفسه شيئاً من العاطفة المرهفة<sup>(٣)</sup> والخيال الدقيق بحيث أصبحت شعراً تعليمياً وجدانياً في آن واحد سهل الحفظ والفهم، لا يراها القارئ إلا ويقرأها من الغلاف إلى الغلاف لما تجذ فيها من اللطائف والنكات والنوادر والألغاز والإشارات التي قلما نجدُها في غيرها)<sup>(٤)</sup>.

٣- اشتمال المثال على حكمة:

قد يوسّع الناظم دائرة اشتمال مثاله ليضيف إليها أمراً آخر غير بيان القاعدة،

(١) محمود أحمد محسد ، فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السلیمانية ،

٢٢٤ / ٤

(٢) كذا بالأصل .

(٣) في الأصل ( المرهقة ) ، خطأ طباعي .

(٤) محمود أحمد محسد ، ٢٢٤/٤

كَأَنَّ يَضْمَنَ مِثَالَهُ حِكْمَةً، وَلَعَلَّ هَذَا يَعْكُسُ سِمَةَ التَّمَكُّنِ عَلَى النَّازِمِ فِي نَظْمِهِ.  
وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ قَوْلُ الشُّبْرَاوِيِّ فِي بَابِ مَرْفُوعَاتِ الْأَسْمَاءِ:  
وَبَاتَ أَضْحَى وَظَلَّ الْعَبْدُ مَبْتَسِمًا وَصَارَ، لَيْسَ كِرَامُ النَّاسِ كَالسَّفَلِ<sup>(١)</sup>  
فِيَانَهُ مِثْلُ لِأَحَدِي أَخَوَاتِ «كَانَ» الَّتِي هِيَ «لَيْسَ» بِالمِثَالِ: (لَيْسَ كِرَامُ النَّاسِ  
كَالسَّفَلِ) مِتَخَسِّنًا حِكْمَةً سَائِرَةً.

وَكَقَوْلِ ابْنِ مَالِكٍ فِي بَابِ الْإِبْتِدَاءِ:

وَرِغْبَةٌ فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ وَعَمَلٌ بِرٌّ يَزِينُ وَلِيُقَسَّ مَا لَمْ يُقَلَّ<sup>(٢)</sup>

وَكَقَوْلِهِ فِي بَابِ التَّسْيِيرِ:

وَاجْرُرْ بِمَنْ إِنْ شِئْتَ غَيْرَ ذِي الْعَدَدِ وَالْفَاعِلِ الْمَعْنَى كَطَبُّ نَفْسًا تُفَدَّ<sup>(٣)</sup>

وَكَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ فِي أَسَالِيبِ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ:

وَقَدْ قَرَّرْتُ بِالْإِيَابِ عَيْنًا وَطَبَّتْ نَفْسًا إِذْ قَضَيْتَ الدِّينَا<sup>(٤)</sup>

#### ٤- المِثَالُ الْمُسْتَدْعَى:

قِيَاسًا عَلَى الْقَافِيَةِ الْمُسْتَدْعَاةِ، أَيُّ أَنْ يُؤْتَى بِالمِثَالِ لِإِكْمَالِ وَزْنٍ أَوْ إِتْمَامِ قَافِيَةٍ،  
فِيُسْتَدْعَى مِثَالًا أَوْ بَعْضُهُ كَانَ يَتِمُّ المِثَالُ بِكَلَامٍ لَيْسَ فِيهِ تَمَثِيلٌ بَلِ الْفَرَضُ مِنْهُ

(١) عبد الله الانصاري ، ٤٩٠

(٢) ابن مالك ، الالفية ، ١٦

(٣) السابق ، ٢١

(٤) الحريري ، ملحمة الاعراب ، ٤٠

إما الوزن وإما القافية والوزن.

يقول ابن مالك في باب المفعول له:

يَنْصِبُ مَفْعُولًا لَهُ الْمَصْدَرُ إِنْ أَبَانَ تَعْلِيلًا كَ (جُدَّ شُكْرًا وَدِنْ) <sup>(١)</sup>

فتم التمثيل بالمثال (جُدَّ شُكْرًا)، وأكملته بالعطف على الفعل (جُدَّ) بفعل آخر هو (دِنْ) ليس الغرض منه إلا الوزن والقافية.

ويقول الحريري في باب ما لم يُسَمَّ فاعله:

تَقُولُ: بَيْعَ الثَّوْبِ وَالغَلَامِ وَكَيْلَ زَيْتِ الشَّامِ وَالطَّعَامِ <sup>(٢)</sup>

فالعطف على نائب الفاعل في المثالين جاء للقافية، وموضع التمثيل في المثالين في (بيع، وكيل)، وأتى على كسر أول ما ثانيه ألف من الأفعال الماضية إذا صيغ منه فعل للسجهول، إضافة إلى أنه جاء بمثالين على القاعدة الواحدة.

ويقول الشبراوي في باب مرفوعات الأسماء:

الْفَاعِلُ اسْمٌ لِفِعْلٍ قَدْ تَقَدَّمَ كَ (جَاءَ زَيْدٌ، فَقَصَّرَ يَا أَخَا الْعَدْلِ) <sup>(٣)</sup>

فأتم الوزن والقافية بالنداء والمنادى المضاف.

(١) ابن مالك ، اللغية ، ٢٧

(٢) الحريري ، ملحة الاعراب ، ٢٢

(٣) عبدالله الأنصاري ، ٤٨٦

الفصل الرابع  
قضايا في  
المنظومات النحوية

## الفصل الرابع

قضايا لغوية في بعض المنظومات النحوية

القسم الأول: مذاهب الناظمين في النحو ومسائل الخلاف.

(ابن مالك، الحريري، حازم القرطاجني)

القسم الثاني: اللغات في المنظومات النحوية.

القسم الثالث: مصطلحات وعبارات خاصة بالمنظومات.

القسم الرابع: أحكام غريبة في المنظومات النحوية.



## مقدمة:

سبقَت الإشارةُ إلى أنَّ المنظوماتِ النحويةَ قد زادتْ على أربعِ منظومةٍ، وقد اشتهرَ بعضها شهرةً واسعةً وشرحتْ شروحًا مسهبةً ومستفيضةً، وبعضها الآخرُ ظلَّ رهينَ المكتباتِ العالميةِ منتظرًا من ينفِضُ عنه الغبارَ ويُخرِجُهُ إلى حيزِ الوجودِ دراسةً وشرحًا وتعليقًا وتحقيقًا...

على أنَّ استقصاءَ المنظوماتِ النحويةِ كافةً بدراستها والوقوفِ على مذاهبِ ناظميها ومعرفةِ مسائلِ الخلافِ فيها، واستخراجِ ما فيها من لغاتٍ ومصطلحاتٍ وأحكامٍ - أمرٌ ليسَ باليسيرِ، بل إنَّ كلاً منها بحاجةٌ إلى أن تُفردَ لها دراسةٌ خاصةٌ بها.

وفي هذا الفصلِ سأقتصرُ الحديثَ على ثلاثِ منظوماتٍ هي: ملحّةُ الإعرابِ للحريري، وألفيةُ ابنِ مالك، ومنظومةُ حازمِ القرطاجني، وذلك للأسبابِ التالية:

- شهرةُ هذه المنظوماتِ الثلاثِ وما وصلتْ إليه من مكانةٍ عاليةٍ بين كتبِ النحوِ بعامةٍ وبين المنظوماتِ النحويةِ بخاصة.

- تمثُلُ كلُّ من هذه المنظوماتِ بيئةً خاصةً تتباينُ وبيئتي المنظومتينِ الأخرينِ، فالحريري عاش في بغدادَ والبصرةَ فهو يمثُلُ البيئةَ العراقيةَ، وابنُ مالكٍ عاشَ في الشامِ وإنَّ كانَ أندلسيَّ المولدِ فهو يمثُلُ البيئةَ الشاميَّةَ، وحازمُ القرطاجني عاشَ في المغربِ والأندلسِ فهو يمثُلُ بيئةَ المغاربة.

- لكلِّ ناظمٍ لهذه المنظوماتِ اتجاهٌ علميٌّ خاصٌّ به يختلفُ واتجاهي الناظمينِ

الآخرين، فالحريري أديبٌ غلبت عليه صنعة الكتابة، وليس أدلُّ على ذلك من تأليفه المقامات، وابن مالك نحويٌّ لغويٌّ له في مضماري اللغة والنحو باعٌ طويلٌ، وحازم القرطاجني بلاغيٌّ له في علم البلاغة شهرةٌ عريضة.

وسائل  
مذاهب الناظمين وسائل الفلّاح

ابن مالك في ألفيته - تميز ابن مالك:

امتاز ابن مالك عن كثير من النحاة بسعة الاطلاع وغزارة العلم، وإلمامه بمسائل النحو والخلاف فيها، وأهم ما تميز به في ذلك اجتهاده واختياراته النحوية، وعدم انضوائه تحت لواء مذهب محدد، فهو في مسألة بصرى، وكوفي في أخرى، وبغدادى في الثالثة، ديدنه في ذلك الصواب، أينما وجدته تبناه واختارناه وصار مذهبه، ساعده على هذا الأمر سعة اطلاعه ومعرفته بدقائق النحو، فهو كما وصفه بعضهم «ما خلى للنحو حرمة»<sup>(١)</sup>.

يقول فيه الدكتور عبدالعال سالم مكرم: «ابن مالك إمام نحوي، له في النحو نظرات، وفي مسائله آراء، وفي مشكلاته توجيهات، وله مع ذلك آراء تفرّد بها، ومسائل لم يسبقه أحد إليها، نظر إلى النحو البصري نظرة الناقد المخلص الذي لا يرى له طلبه غير الوصول إلى الحق وإلى ما صحّ دليله ووضعت حجته. أخذ من مسائل النحو البصري ما قوي دليله، ورفض منها ما لم تؤيده الحجة أو يدعمه البرهان. وسار على هذا النهج في النحو الكوفي، أخذ ورفض، وعلّل وناقش...»<sup>(٢)</sup>.

والدكتور عبدالمنعم أحمد هريدي يقول: «نظر المصنف - رحمه الله - (أي ابن

(١) وصح بذلك ركن الدين بن القوس، انظر: المقرئ، ٤٢٤/٢.

(٢) عبدالعال سالم مكرم، المدرسة النحوية في مصر والشام، ١٩٠.

مالك) في النحو نظر المجتهدين، فهو يعرض الحكم ويناقش أدلته مناقشة حرة مبتعداً عن التكلف في التأويل، والتعقيد في إيراد الدليل، يلتزم مبدأ السهولة، مؤثراً جانب اليسر، غير متعبد بآراء القدماء، غير مهمل لها، وإنما ينظر فيها، ويناقش أدلتها، فإن اتفقت مع منهجه ولم تخالف مبادئه أقرها، وأيدها بروح من عنده، وإن خالفت منهجه، ولم يجز لها من الأدلة ما يدعم كيانها كرّ عليها هادماً أساسها الذي تعتمد عليه»<sup>(١)</sup>.

عرض الدكتور عبدالعال سالم مكرم رأيه في ابن مالك من جهة كونه نحويًا، يشمل ذلك نشره ونظمه في النحو، والدكتور هريدي عرض كذلك رأيه في ابن مالك ناظماً وناثراً، لأن حكمه فيه جاء من تحقيقه منظومته الكافية الشافية وشرحها، فأكثر أمثلية التي ذكرها مدعماً بها رأيه السابق أكثرها ثرية، أتى بها من ابن مالك لنظمه<sup>(٢)</sup>.

لكن، ما شأن ابن مالك في ألفيته التي اختصرها من الكافية الشافية؟ لا أظن الأمر يختلف كثيراً، وبيان ذلك في الصفحات التالية.

أولاً:

الخلاف بين البصريين والكوفيين في ألفية ابن مالك:

١- أشار ابن مالك إلى الخلاف بين البصريين والكوفيين صراحةً في ثلاث مسائل:

(١) ابن مالك، شرح الكافية الشافية، تحقيق الهريدي، ١٠١/١.  
(٢) انظر ذلك في الصفحات ١٠١ - ١٠٤ من الجزء الأول من المصدر السابق (مقدمة التحقيق).

أ- مسألة التنازع في العمل، وأيّ العاملين أولى من الآخر في العمل، قال:  
إنّ عاملان اقتضيا في اسم عملٍ قبلَ فلولواحدٍ منهما العملُ  
والثانِ أولى عندَ أهلِ البصرة<sup>(١)</sup> واختارَ عكساً غيرهم ذا أسرة<sup>(٢)</sup>  
فأشارَ إلى أنّ البصريين يروون إعمالَ الثاني، وأن الكوفيين يروون إعمالَ العاملِ  
الأول، وهي مسألة من مسائل الخلاف بين المدرستين، عقدَ لها أبو البركات  
الأنباري مسألةً في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف<sup>(٣)</sup> وابن مالك في ألفيته  
لا يرجح رأياً على آخر في هذه المسألة، بل اقتصر على الإشارة إلى الخلاف بين  
المدرستين.

ب- مسألة توكيد النكرة توكيداً معنوياً، يقول ابن مالك:  
وإن يُفدَ توكيدُ منكورٍ قبلَ وعن نحاةِ البصرة المنعُ شَمِلُ<sup>(٤)</sup>  
فهو هنا رجحَ جوازَ توكيدِ النكرة توكيداً معنوياً بحصول الفائدة، وأورد الرأي  
الآخر، أي منع نحاةِ البصرة توكيدَ النكرة توكيداً معنوياً.  
وقيدَ الكوفيون - وتبعهم ابن مالك في قوله هنا - الجوازَ بكونِ النكرة مؤقتةً،  
أي دالةً على وقت، واحتجوا لها بشواهد<sup>(٥)</sup>، وابن مالك اختصر القيد المذكور  
بقوله (وإن يُفدَ)، أي أنّ النكرة المؤقتة تحصلُ بها الإفادةُ وعليه يجوزُ توكيدها

(١) ابن مالك، الألفية، ٢٦.

(٢) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ٨٣/١، مسألة رقم ١٢.

(٣) ابن مالك، الألفية، ٤١.

(٤) أبو البركات الأنباري، ٤٥١/١، مسألة رقم ٦٢.

توكيداً معنوياً.

ج- مسألة الوقف بنقل الفتح في غير المهموز، يقول ابن مالك:

ونقل فتح من سوى المهموز لا يراه بصرياً، وكوف نقلاً<sup>(١)</sup>

والمسألة في الإنصاف في مسائل الخلاف<sup>(٢)</sup>، (ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز أن يقال في الوقف رأيت البكر) بفتح الكاف في حالة النصب، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز<sup>(٢)</sup>.

وابن مالك في قوله السابق لم يرجح رأياً على آخر كما يفهم من قوله، إلا إذا عددنا قوله (وكوف نقلاً) قرينة يستأنس بها على ذلك، إذ عبر عن البصريين به (لا يراه)، وعن الكوفيين (نقلاً)، والأصل في النقل المسموع تقديمه على مجرد الرأي والقياس، فعلى هذا يكون ابن مالك قد ارتأى رأي الكوفيين ومال في هذه المسألة إلى مذهبهم.

٢- اختار ابن مالك رأي الكوفيين في مسألتين مع الإشارة إلى الخلاف فيهما دون

التصريح بذكر أصحاب المذهبين.

أ- العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار، يقول:

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفوض لازماً قد جعل

(١) ابن مالك، اللغية، ٦٣

(٢) أبو البركات الأنباري، ٢٣١/٢، مسألة رقم ١٠٦

وليس عندي لازماً إذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مُثَبَّتاً<sup>(١)</sup>  
منع البصريون أن يعطفَ على الضمير المجرور دون إعادة الجار، وأجاز ذلك  
الكوفيون محتجّين بالنقل، لوروده في القرآن، وورود الشعر عليه<sup>(٢)</sup>، وابن مالك  
يرى رأي الكوفيين في هذه المسألة لثبوته في النثر والنظم.

ب- منع تقدم خبر ليس عليها، يقول ابن مالك:

ومنع سبق خبر ليس اصطفى وذو تمام ما برفع يكتفي<sup>(٣)</sup>

أجاز البصريون تقدم خبر ليس عليها محتجّين على ذلك بتقدم معمول خبرها  
عليها في قوله تعالى: «ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم»<sup>(٤)</sup> - على حد  
قولهم-، ومنع الكوفيون ذلك<sup>(٥)</sup>، واختار ابن مالك رأي الكوفيين.

٣- اختار ابن مالك في مسألة واحدة مذهب البصريين، مصرحاً بالاختيار دون ذكر  
أصحاب المذهب.

يقول:

بمثله أو فعل أو وصف نصب وكونه أصلاً لهذين انتخب<sup>(٦)</sup>

اختلف البصريون والكوفيون في أصل الاشتقاق، أهو الفعل أم المصدر؟ فذهب

- 
- (١) ابن مالك، اللغية، ٤٢
  - (٢) أبو البركات الأنباري، ٤٦٢/٢، مسألة رقم ٦٥
  - (٣) ابن مالك، اللغية، ١٨
  - (٤) سورة هود، ٨
  - (٥) أبو البركات الأنباري، ١٦٠/١، مسألة رقم ١٨
  - (٦) ابن مالك، اللغية، ٢٦

الكوفيون إلى أنه الفعل، وذهب البصريون إلى أن الأصل المصدر<sup>(١)</sup>، وانتخب ابن مالك رأي البصريين.

٤- وافق ابن مالك البصريين في مسائل كثيرة جداً، دون الإشارة إلى الخلاف فيها أو إلى صاحب الرأي الذي تبناه، فمن ذلك للتمثيل فقط:

أ- عاملُ الرفع في اسم كان، يرى الكوفيون أن اسم كان مرتفع بالابتداء على أصله قبل دخول الناسخ عليه، ويرى البصريون أنه مرتفع بدخول (كان) عليه<sup>(٢)</sup>، وابن مالك وافق رأي البصريين، يقول:

ترفعُ كانَ المبتدأ اسماً والخبرُ تنصبُه ككانَ سيِّداً عمراً<sup>(٣)</sup>

ب- تقدّم خبر ما النافية عليها، يقول ابن مالك:

كذلك سبق خبر ما النافية فجىء بها متلوّة لا تالية<sup>(٤)</sup>

حيث منع البصريون - ووافقهم ابن مالك - أن يسبق الخبر ما النافية لأن لها الصدر، وأجاز ذلك الكوفيون.<sup>(٥)</sup>

٥- وافق ابن مالك الكوفيين في بعض المسائل دون الإشارة إلى الخلاف فيها أو إلى صاحب الرأي الذي تبناه، ومثال ذلك قبوله تشديد النون من اللذان واللتان في التثنية، يقول ابن مالك:

- (١) أبو البركات الأنباري ، ١/٢٣٥ ، السألة ٢٨
- (٢) عبدالعال سالم مكرم ، المدرسة النحوية ، ١١٤ - ١١٥
- (٣) ابن مالك ، اللغية ، ١٢
- (٤) السابق ، ١٤
- (٥) عبدالعال سالم مكرم ، المدرسة النحوية ، ١١٥ .



بل ما تليه أوله العلامة والنون إن تشدد فلا ملامه<sup>(١)</sup>

وهذا مذهب الكوفيين، محتجين بالقراءة: (ربنا أرنا اللذين أضلانا)<sup>(٢)</sup>

## ثانياً:

ابن مالك - في ألفيته - وغيره من العلماء:

هناك من المسائل ما كان الخلاف فيها بين بعض العلماء دون اشتهار الخلاف بين مذهب وآخر، بل تجد بعض النحاة تبني رأياً، فوافقه نحاة وخالفه آخرون، وابن مالك وقف في مثل هذه المسائل واحداً من ثلاثة مواقف:

أولهما: الاختيار، إذ يتبين اختياره - موافقاً أو مخالفاً - من عباراته تصريحاً أو بلا تصريح.

ثانيهما: الإشارة إلى الخلاف في المسألة من غير أن يتبنى رأياً معيناً - على حد عباراته في الألفية -، وقد يصرح باسم عالم رأى رأياً معيناً.

ثالثهما: أن يتبنى رأياً ويذكر موافقاً أو مخالفاً له.

وأعرض في ما يلي بعضاً من الأمثلة على كل من المواقف الثلاثة:

## الأول: الاختيار:

١ - يقول ابن مالك في باب النكرة والمعرفة:

(١) ابن مالك، الألفية، ١٤.

(٢) عبدالعال سالم مكرم، السدرة النحوية، ١٠، ٢٠٤، والآية من سورة فطمت، الآية ٢٩، وهي قراءة ابن كثير، انظر: محمد محمد محمد محسن، المهذب في القراءات العشر وتبرجيبها من طريق بلية النشر، ٢٢١.

وَصِلَ أَوْ أَفْصَلَ هَاءَ سَلْنِيهِ وَمَا أَشْبَهَهُ، فِي كُنْتَهُ الْخَلْفُ انْتَمَى

كَذَاكَ خَلْتَنِيهِ وَاتَّصَالًا أَخْتَارُ، غَيْرِي أَخْتَارُ الْإِنْفِصَالَ<sup>(١)</sup>

فَابْنُ مَالِكٍ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ يَشِيرُ إِلَى الْخَلْفِ فِي اتِّصَالِ الْخَبَرِ كَانَ بِهَا إِذَا كَانَ ضَمِيرًا، كَذَلِكَ يَشِيرُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي إِلَى الْخَلْفِ فِي اتِّصَالِ ثَانِي مَفْعُولِي (خَالٍ) إِذَا كَانَ ضَمِيرًا وَكَانَ أَصْلُهُ خَبْرًا، وَيَصْرَحُ بِاخْتِيَارِ اتِّصَالِ الضَّمِيرِ مَخَالَفًا بِذَلِكَ رَأْيٍ مِنْ رَأْيِ الْإِنْفِصَالِ وَهُوَ سَيَبُويهِ، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ ابْنُ عَقِيلٍ فِي شَرْحِهِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ<sup>(٢)</sup>، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ ابْنُ هِشَامٍ بِقَوْلِهِ: «وَإِنْ كَانَ فِعْلًا نَاسِخًا نَحْوِ - خَلْتَنِيهِ - فَالْأَرْجَحُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ الْفِصْلُ»<sup>(٣)</sup>.

-٢-

يَقُولُ فِي بَابِ النَّائِبِ عَنِ الْفَاعِلِ:

فِي بَابِ «ظَنَّ، وَأَرَى» الْمَنْعُ اشْتَهَرَ وَلَا أَرَى مِنْعًا إِذَا الْقَصْدُ ظَهَرَ<sup>(٤)</sup>

يَقُولُ ابْنُ عَقِيلٍ فِي شَرْحِهِ هَذَا الْبَيْتِ: (يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْفِعْلُ مُتَعَدِيًا

إِلَى مَفْعُولَيْنِ الثَّانِي مِنْهُمَا خَبَرَ فِي الْأَصْلِ، كَظَنَّ وَأَخَوَاتِهَا، أَوْ كَانَ مُتَعَدِيًا إِلَى

ثَلَاثَةِ مَفَاعِيلَ كَأَرَى وَأَخَوَاتِهَا - فَالْأَشْهُرُ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ أَنَّهُ يَجِبُ إِقَامَةُ الْأَوَّلِ

(نَائِبًا عَنِ الْفَاعِلِ) وَيَمْتَنَعُ إِقَامَةُ الثَّانِي فِي بَابِ «ظَنَّ» وَالثَّانِي وَالثَّلَاثُ فِي بَابِ

(١) ابن مالك ، اللغية ، ١٢ - ١٢

(٢) ابن عقيل ، ٩٠/١ - ٩٢

(٣) ابن هشام ، أروض المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ٢٤

(٤) ابن مالك ، اللغية ، ٢٤

«أَعْلَمُ»... وذهب قومٌ - منهم المصنف - (ابن مالك) إلى أنه لا يتعين إقامة الأول، لا في «باب» ظنّ ولا باب «أَعْلَمُ» لكن يشترط ألا يحصل لبس<sup>(١)</sup>.  
صرّح ابن مالك هنا بعدم منعه لإقامة المفعول الثاني في باب ظنّ والثاني والثالث في باب «أرى» مقام الفاعل، أي نائباً عن الفاعل إذا أمِن اللبس، مخالفاً بذلك جلّ النحويين الذين اشتهر عنهم المنع ومنهم ابن هشام - الذي قال: «وإذا تعدّى الفعل لأكثر من مفعول فنيابة الأول جائزة اتفاقاً ونيابة الثالث ممتنعة اتفاقاً»<sup>(٢)</sup>

٣- يقول ابن مالك في باب الحال:

وسبق حال ما بحرف جرّ قد أبوا، ولا أمنعه، فقد ورد<sup>(٣)</sup>  
منع النحاة أن يتقدم الحال الذي صاحبه مجرور بحرف جرّ على الجار والمجرور، وابن مالك ارتأى عدم منع ذلك، وعلل ذلك بوروده، فأجاز ابن مالك (مررتُ جالسةً بهند) بتقديم الحال من «هند» المجرور، والأصل في التركيب (مررتُ بهندٍ جالسةً)<sup>(٤)</sup>.

واختيار ابن مالك هذا الرأي جاء موافقاً للفرسي<sup>(٥)</sup> وابن كيسان وابن برهان<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن عقيل ، ٤٢٥/١ - ٤٢٦

(٢) ابن هشام ، أوضح المالك ، ٩٠

(٣) ابن مالك ، اللبّية ٣٠

(٤) السابق ، ٣٠

(٥) ابن عقيل ، ٥٤١/١ - ٥٤٢

(٦) ابن عقيل ، ٥٤٢/١ ، وهدايات سالم عكرم ، المدرسة النحوية ، ٢١٧ .

## الثاني، الإشارة إلى الخلاف دون تبنيه رأياً معيناً.

١- يقول ابن مالك في باب «نعم وبشس وما جرى مجراهما»:

وجمعُ تمييزِ وفاعِلِ ظهرَ فيه خلافٌ عنهمُ قد اشتهر<sup>(١)</sup>

يقول ابن عقيل في شرحه: (اختلف النحويون في جواز الجمع بين التمييز والفاعل الظاهر في «نعم» وأخواتها، فقال قوم: لا يجوز ذلك، وهو المنقول عن سيبويه، فلا تقول: «نعم الرجل رجلاً زيداً»، وذهب قوم إلى الجواز... وفصل بعضهم...)<sup>(٢)</sup>

ويقول ابن هشام: (وأجاز المبرد وابن السراج والفارسي أن يُجمع بين التمييز والفاعل الظاهر... ومنعه سيبويه والسيرافي مطلقاً...)<sup>(٣)</sup>

فابن مالك هنا يشير إلى الاختلاف في الجمع بين التمييز وفاعل فعل المدح أو الذم، وشرح ابن عقيل ذلك دون أن ينسب لابن مالك رأياً من الآراء المذكورة في نصّه المنقول آنفاً، فاقصر ابن مالك على الإشارة إلى الخلاف دون اتخاذ رأياً. إلا أنّ الدكتور عبدالعال سالم مكرم ينسب لابن مالك جواز الجمع بين فاعل فعل المدح أو الذم والتمييز دون بيان مصدره في ذلك.<sup>(٤)</sup>

أما من جهة نصّ ابن مالك في الألفية فليس من قرينة تشير إلى أن ابن مالك

(١) ابن مالك، الألفية، ٢٦.

(٢) ابن عقيل، ١٢٩/٢ - ١٣٠.

(٣) ابن هشام، أوضح المسالك، ١٧٦.

(٤) عبدالعال سالم مكرم، المدرسة النحوية، ٢١٨.

يُجيزُ أو يمنع، ولكنَّ ذلكَ يتضحُ بالرجوعِ إلى بعضِ من كتبِ ابنِ مالكِ الأخرى. لكنه يرى رأياً آخرَ في شرحِ العمدة، حيث يقول: (واختلفَ في التمييزِ الواقعِ بعدَ نعمِ وبنسِ هل يُجاءُ به بعدَ فاعِلٍ ظاهرٍ أو لا، فأجازَ المبردُ ومنعَ سيبويهُ، وحاملُ سيبويهِ على المنعِ كونَ التمييزِ في الأصلِ مسوقاً لرفعِ الإبهامِ، والإبهامُ معَ ظهورِ الفاعلِ زائلٌ فلا حاجةٌ إلى التمييزِ، وهذا الاعتبارُ يلزمُ منه منعُ التمييزِ في كلِّ مالا إبهامَ فيه، كقولك: له من الدراهمِ عشرونَ درهماً. ومثلُ هذا جائزٌ بلا خلافٍ، ومنه قوله تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا) وقوله تعالى: (واختارَ موسى قومَهُ سبعينَ رجلاً لميقاتنا)، فلو لم يردَّ عن العربِ تمييزٌ مؤكَّدٌ في بابِ نعمٍ لحكَمَ بجوازه قياساً على ورودِهِ في غيرِ بابِ نعمٍ، وقد وردَ كقول...)<sup>(١)</sup>

فهو بهذا القولِ يدافعُ بشدةٍ عن جوازِ الجمعِ بينِ الفاعلِ والتمييزِ في المدحِ والذمِّ، ويدفعُ الشبهةَ التي من أجلها منعُ سيبويهِ الجمعَ بينهما، ويمثلُ ويستشهدُ مؤيداً الجوازِ.

### الثالث: أن يتبنه رأياً ويجتزئ له موافقاً أو مخالفاً.

١ - يقول في باب الترخيم:

(١) ابن مالك، شرح عمدة الحافظ وعدة اللاهظ، ٧٨٦ - ٧٨٧

والعَجَزَ احذِفْ من مركَّبٍ وَقُلْ ترخيمُ جملةً، وذا عمرو نُقِلَ<sup>(١)</sup>

أشار إلى قلة ترخيم الجملة، ونسب ذلك إلى سيبويه، مع أن ابن عقيل ينفي عن سيبويه ذلك.

يقول ابن عقيل: (والذي نصَّ عليه سيبويه في باب الترخيم أن ذلك لا يجوز، وفهم المصنفُ عنه من كلامه في بعض أبواب النسب جواز ذلك فتقول في «تأبطُ شراً»: «يا تأبطُ»<sup>(٢)</sup>.

والحق ما ذكره ابن عقيل، يقول سيبويه في باب (الترخيم في الأسماء التي كلُّ اسمٍ منها من شيئين...) <sup>(٣)</sup>: (واعلم أن الحكاية لا ترخم، لأنك لا تريد أن ترخم غير منادى، وليس مما يغيِّره النداء، وذلك نحو «تأبطُ شراً» و «برقُ نحره» وما أشبه ذلك، ولو رخمْتَ هذا لرخمْتَ رجلاً يسمى بقول عنتره: «يا دارَ عبلةَ بالجواءِ تكلمي»<sup>(٤)</sup>.

فسيبويه منع ترخيم مثل «تأبطُ شراً» و «برقُ نحره» من الأعلام المركبة تركيباً إسنادياً وشبهه بترخيم شطر بيتٍ علماً لرجل.

وقد يكون ابن مالك - كما ذكر ابن عقيل - فهم من بعض أبواب النسب عند

(١) ابن عقيل ، ٢٢٧/٢ ، وانظر : ابن مالك ، الالفية ، ٤٧ ، إذ ورد في البيت فيها خطأ طباعي ( ترخيم جملة ) .

(٢) ابن عقيل ٢٢٨/٢

(٣) سيبويه ، ٢٦٧/٢

(٤) السابق ٢٦٩/٢

سيبويه فهم جواز ترخيم المركب تركيباً إسنادياً (جُملياً)، يقول سيبويه في باب الإضافة إلى الحكاية: <sup>(١)</sup> «فإذا أضيفت إلى الحكاية حذفت وتركت الصدر بمنزلة عبد القيس وخمسة عشر، حيث لزمه الحذف كما لزمها، وذلك قولك في «تأبط شراً»: تأبطني. ويدلُّك على ذلك أن من العرب من يُفرد فيقول: يا تأبط أقبل، فيجعل الأول مفرداً، فكذلك تفرده في الإضافة» <sup>(٢)</sup> وابن هشام يرى عدم جواز ترخيم مثل: يا تأبط شراً. <sup>(٣)</sup>

-٢- يقول ابن مالك في باب النسب:

وَبِأَخِ أُخْتًا وَبِابْنِ بِنْتِ الْحَقِّ، وَيُونُسُ أَبِي حَذَفِ التَّاءِ <sup>(٤)</sup>

فيشرح ابن مالك قاعدة النسب إلى (أخت، بنت) حيث تحذف تاءهما، ويلحقان بـ (أخ، ابن).

وهو مذهب الخليل وسيبويه <sup>(٥)</sup>، ويشير إلى أن مذهب يونس عدم حذف التاء منهما، فيقال: (أختي)، و: (بنتي). <sup>(٦)</sup>

- 
- (١) يعني بالاضافة في هذا الباب النسب .
  - (٢) سيبويه ، ٢٧٧/٢ .
  - (٣) ابن هشام ، أوضح المسالك ، ٢١٧ .
  - (٤) ابن مالك ، اللامية ، ٦٣ .
  - (٥) ابن عقيل ٢١٣/٢ .
  - (٦) ابن هشام ، أوضح المسالك ، ٢١٥ - ٢١٦ .

## الحريري في ملته

### مذهبه النحوي:

المستعرض لملحة الإعراب للحريري ومساثلها والاختيارات التي تبناها يجد الحريري ملتزماً بأراء البصريين، مستدلاً بأدلتهم، يسير على منهجهم. وقد عقد الدكتور أحمد محمد قاسم محقق كتاب (شرح ملحة الإعراب للحريري) في مقدمة تحقيقه باباً بعنوان (مذهبه النحوي)، أكد فيه النزعة البصرية في نحو الحريري - في منظومته -، وذكر أربعة عشر رأياً بصرياً تبناها الحريري في ملحته وشرحها، وجاء ذكره إياها على سبيل التمثيل لا الحصر<sup>(١)</sup>، لكن هذه الآراء مستنبطة من نظم الحريري وشرحه النظم، وليس يعنينا هنا ما ارتآه الحريري في شرحه دون النظم، لأن هذه الدراسة مخصصة للنحو المنظوم، لا للنثر إلا بالقدر الذي يقوم فيه الشرح بدور توضيح المشتبه، وبيان ما استغلق فهمه في النظم.

وفي ما يلي بعض من الأمثلة البصرية في نظم الحريري:

١ - يقول في باب قسمة الأفعال:

والأمر مبني على السكون مثاله: احذر صفة المغبون<sup>(٢)</sup>

فهو يرى فعل الأمر مبنيّاً على السكون موافقاً بذلك البصريين، ومخالفاً

(١) الحريري، شرح ملحة الاعراب، تحقيق أحمد محمد قاسم، ١٥ - ١٨

(٢) الحريري، ملحة الاعراب، ١٦



الكوفيين بقولهم إنه معرب<sup>(١)</sup>.

ويقول في باب الفعل المضارع:

وليس في الأفعال فعلٌ يعربُ  
سواه والتمثيلُ فيه: يَضْرِبُ<sup>(٢)</sup>

وموضوعه الفعل المضارع، حيث يقرر أن الفعل المضارع وحده المعرب من الأفعال تأكيداً لرأيه البصري في بناء الأمر على السكون.

-٢- يقول في باب النصب على المصدرية:

والمصدرُ الأصلُ وأيُّ أصلٍ  
ومنه يا صاحِ اشتقاقُ الفعلِ<sup>(٣)</sup>

تبني هنا رأي البصريين في كون المصدر هو الأصل للاشتقاق، ولم يشر إلى رأي الكوفيين القائل بأن الفعل هو أصل الاشتقاق<sup>(٤)</sup>.

-٣- يقول في باب الظرف:

والظرفُ نوعانِ فظرفُ أزمنتهُ  
يجري مع الدهرِ وظرفُ أمكنتهُ

والكلُّ منصوبٌ على إضمارٍ في  
فاعتبرِ الظرفَ بهذا واكتفِ<sup>(٥)</sup>

عللَّ نصبَ الظرفِ بإضمارٍ في وفاقاً للبصريين، يقول في ائتلاف النصره (وقال

البصريون: إنه ينتصب بعاملٍ مقدر، إما فعلاً أو اسمٍ فاعلٍ على اختلاف التقدير

(١) عبداللطيف الشرجي، ائتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفة والبيمة، ١٢٥ - ١٢٦، وانظر: ابو البركات الانباري، ٥٢٤/١، و: الحريري، شرح ملحمة الاعراب، ١٦.

(٢) الحريري، ملحمة الاعراب، ٢٠.

(٣) السابق، ٢٥.

(٤) انظر: الحريري، شرح ملحمة الاعراب، ١٧، و: ابو البركات الانباري، ١٢٥/١، و: عبداللطيف الشرجي، ١١١ - ١١٢.

(٥) الحريري، ملحمة الاعراب، ٤٠.

لأن كلَّ ظرفٍ زمنيٍّ أو مكانيٍّ فإنَّ فيه معنى (في)، (وفي) حرف جرٍّ، وحروفُ الجرِّ لا بدَّ لها من شيءٍ تتعلَّقُ به لأنها دخلت رابطةً<sup>(١)</sup>.

ورأي الكوفيين انتصابه (على الخلافِ إذا وقع خبراً لمبتدأً وشبهه لأن خبر المبتدأ هو المبتدأ في المعنى فإذا كان ظرفاً لم يكن كذلك)<sup>(٢)</sup>.

ولما لم يقصد بعرض الآراء البصرية السابقة الحصرَ فأكتفي بهذه الأمثلة للتمثيل فقط، ويذكر هنا - للتأكيد - أن مذهب الحريري النحوي هو المذهب البصري، يقول الدكتور أحمد محمد قاسم بعد أن ذكر الأمثلة الأربعة عشر المشار إليها قبل: (فإذا أنعمنا النظر فيما (كذا) سبق لوجدنا الأدلة والبراهين التي تثبت أن الحريري بصريُّ المذهب في النحو فهو متفقٌ تماماً مع البصريين فيما (كذا) ذكرنا من مسائلٍ أوردناها على سبيل المثال لاعلى سبيل الحصر. لذا فإنني أستطيع أن أجزم بأنه بصريُّ المذهب في النحو)<sup>(٣)</sup>

إشارات للخلاف النحوي عند الحريري في ملحته.

لم يُعْنِ الحريري في ملحته ببسطِ مواضع الخلاف النحوي، ذلك أنه أراد لمنظومته - كما يبدو - أن تكون مدخلاً لعلم النحو، لا كتابَ خلافٍ، فجعل منظومته سهلةً ميسرةً مبسطةً، أكثر فيها من الأمثلة للتوضيح والبيان،

(١) عبداللطيف الشرجي ، ٢٦

(٢) السابق ، ٢٥

(٣) الحريري ، شرح ملحمة الاعراب ، ١٨

، فجاءت بأسلوب يغلب عليه الطابع الأدبي وكثرة التمثيل<sup>(١)</sup>.

ومع هذا القول وجدت في الملحة بعض الإشارات التصريحية والتلبيحية إلى الخلاف، وهذه الإشارات - كما تبين لي - هي:

١- حماسته الشديدة لكون المصدر هو أصل الاشتقاق مؤيداً بذلك البصريين ومخالفاً الكوفيين، فحماسته هذه وتأكيدُه عليها فيها إشارة إلى الخلاف بين المذهبين، يقول:

والمصدرُ الأصلُ وأيُّ أصلٍ  
ومنه ياصح اشتقاقُ الفعل<sup>(٢)</sup>

٢- يقول في النكرة المعرفة:

وآلة التعريفِ أَلْ فَمَنْ يَرُدُّ  
وقال قومٌ: إنّها اللامُ فقط  
تعريفَ كَبِدٍ مَبِّهَمِ قَالَ: الكَبِدُ  
إِذْ أَلِفُ الوَضَلِ مَتَى تَدْرَجُ سَقَطُ<sup>(٣)</sup>

يشير إلى الخلاف في أداة التعريف بعد أن يتبين أنها (ال)، والخلاف فيها مشهور حيث يرى الخليل وتبعه ابن كيسان أن أداة التعريف (ال) بجملتها،

(١) يقول أحمد محمد قاسم في مقدمة تحقيقه شرح الحريري على ملحته: (ملحة الأعراب يغلب عليها الطابع الأدبي والتمثيل والاستشهاد) ص ١٨، وأخالفه في كثرة الاستشهاد، وتجد بيان ذلك في فصل التمثيل والاستشهاد في المنظومات النحوية من هذه الرسالة (الفصل الثالث).

(٢) الحريري، ملحة الأعراب، ٢٥.

(٣) السابق، ١٨.

والمذهب الثاني أنها اللام فقط<sup>(١)</sup>.

٣- يقول في باب نواصب الفعل المضارع وجوازمه:

وينصب الفعل بأو وحتى وكلُّ ذا أودع كُتبا شتى<sup>(٢)</sup>

يشير بقوله (وكلُّ ذا أودع كُتبا شتى) إلى الخلاف في انتصاب الفعل المضارع بعد «أو» وبعد «حتى»، وعقد أبو البركات الأنباري مسألة في النصب بـ «حتى» هل هي بنفسها أو بـ «أن» مقدرة<sup>(٣)</sup>.

هناك موضع في ملحّة الإعراب في باب ما لا ينصرف يقول فيه الحريري:

أو مثل مثنى وثلاث في العدد. إذ مارأى صرفهما قطُّ أحد<sup>(٤)</sup>

وأجاز الفراء صرفها (مثنى)<sup>(٥)</sup>.

على أن للبيت رواية أخرى، وهي:

أووزن مثنى وثلاث في العدد فأصغ أيا صاح إلى قولي السدّد<sup>(٦)</sup>

قد يفسّر الأمر على أن الحريري لم يكن يعلم بمخالفة الفراء لمنع صرف مثنى،

(١) السيوطي ، همصع الهوامع ، ٧٩/١

(٢) الحريري ، ملحّة الاعراب ، ٦٢

(٣) أبو البركات الأنباري ، ٥١٧/٢ ، مسألة رقم ٨٢

(٤) الحريري ، ملحّة الاعراب ، ٥٨

(٥) السيوطي ، همصع الهوامع ، ٢٧/١

(٦) بحرق الحضرمي ، تحفة الاحباب وطرفة الاصحاب ، ( شرح بحرق على ملحّة الاعراب ) ،

ص ٤٧ ، وأشار الى هذه الرواية أيضا علي حسن عبدالحميد في صفحة ٥٨ في

حاتيتها ( المنقولة منها الرواية الاولى ) ، لكن فيها اختلافا ، وهو ( فأصغ

يا صاح ) .

فصاغ بيته على النحو الأول، ثم علم بعد ذلك فأعاد صياغته كما في الرواية الثانية - على افتراض أن الرواية الأولى صيغت أولاً والثانية متأخرة -.

حازم القرطاجني في منظومته الميمية

مذهبه النحوي

اتَّبَعَ حازمُ القرطاجني في منظومته المذهبَ البصريَّ في أغلبِ مسائله التي أوردَها، وأشارَ في غيرِ موضعٍ إلى الخلافِ بين المذهبين البصريِّ والكوفيِّ، إلاَّ أنَّه كان يختارُ رأيَ البصريِّين في الأعمِّ الأغلب، وما عدا ذلك فإنه كان يكتفي بالإشارةِ إلى الخلاف، واختارَ رأيَ الكوفيين في مسألتين.

أولاً: أمثلة على اختياره المذهب البصري.

١- يشرح في آخر منظومته الخلافَ في مابعد «إذا» الفجائية، ويستطرِدُ في شرح (المسألة الزنبورية)، ويؤيدُ فيها البصريِّين، يدلُّ على ذلك حسرتُه على ماجرى لسبويه من ظلم وقهر، يقول:

قضت عليه بغير الحق طائفةً      حتى قضى هدماً ما بينهم هدماً<sup>(١)</sup>

ويشير إلى أن الحسد كان سبباً في نصرة الكسائي على سبويه وليس الحق، يقول:

وليس يخلو امرؤ من حاسدٍ أضمر      لولا التنافسُ في الدنيا لما أضما<sup>(٢)</sup>

(١) حازم القرطاجني ، ١٢٢

(٢) السابق ، ١٢٢

مع أنه قبل ذلك يعرض الخلاف في المسألة دون اختيار، ويشير إلى اللبس الواقع في حال توالي ضميرين بعد إذا الفجائية، يقول:

فإن توالى ضميران اكتسى بهما

وجه الحقيقة من إشكاله غمماً

لذاك أعيّت على الأفهام مسألة

أهدت إلى سيبويه الهم والغمماً<sup>(١)</sup>

والذي دلّ على اختياره البصري هو تعليقه على القصة بعد سردها، وتشبيهه إياها بالغبن الذي وقع على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في قصة التحكيم.

٢- في الخلاف في رافع اسم «كان»، أهو «كان» أم هو مرتفع بما ارتفع به قبل دخول «كان»؟ يرى أن «كان» هي التي رفعت اسمها، وهو رأي البصريين، يقول:

وبعضها رافع اسم ناصب خيراً

كمثل كان وما في بابها ارتسماً<sup>(٢)</sup>

وكذلك في رافع خبر (إن)، يقول:

وبعضها ناصب اسم رافع خيراً

كمثل «إن» وما في شعبها اقتحماً<sup>(٣)</sup>

٣- رافع المبتدأ هو الابتداء، وهو رأي البصريين، والكوفيون يقولون بأنهما ترافعا<sup>(٤)</sup> يقول حازم:

(١) انظر المسألة الربوبية في الانصاف لابي البركات الانباري ٧٠٢/٢ ، مسألة رقم ١١٠ ووردت المسألة أيضا في عشرات المصادر النحوية واللغوية والتاريخية استقصيت كثيرا منها في بحث لي باشراف الدكتور حنا حداد في مقال الخلاف النحوي في دراستي الساجتير .

(٢) حازم القرطاجني ، ١٢٠ ، وانظر المسألة رقم ٢٢ في : الانباري ، الانصاف ١٧٦/

(٣) ابو البركات الانباري ، ٤٤/١ ، مسألة رقم ٥ .

فَالْإِبْتِدَاءُ كَلَا الْإِسْمَيْنِ مَرْتَفِعٌ      به وإن كان في الثاني قد اختصما<sup>(١)</sup>

- ٤ -

مسألة الخلاف في فعل الأمر أمعرب هو أم مبني، يقول:

وَالأَمْرُ مِنْ غَيْرِ لَامٍ قَدْ تُخَوِّفُ هَلْ      أضحي على الوقف مبنيّاً أو انجزماً<sup>(٢)</sup>

فهو هنا يشير إلى الخلاف بين البصريين والكوفيين في فعل الأمر، ويبدو أنه  
اختار المذهب البصري، يقول بعده:

فَالأَسْمُ مَتَّفِقٌ لَفْظاً وَمَخْتَلِفٌ      معني لذلك بالإعراب قد وسما

وَالفِعْلُ مَخْتَلِفٌ لَفْظاً وَأَزْمِينَةٌ      فلم يرم فيه إعراباً ولا جشماً

لكنهم أسهموا الفعل المضارع في      ما اختص بالإسم من إعرابه سهما<sup>(٣)</sup>

فعلل إعراب الاسم، وأخبر أن الفعل مختلف عن الاسم فلم يدخله الإعراب،  
واستثنى من الفعل المضارع وعلل إعرابه بمشابهته الاسم، فدل هذا على  
اختياره رأي البصريين في أن فعل الأمر مبني على السكون وليس معرباً كما  
يرى الكوفيون.

ثانياً: اختياراته الكوفية:

تبني رأي الكوفيين في إعراب اسم لا النافية للجنس، وهو أنه منصوب بها،

وخالف البصريين القائلين بأنه مبني على الفتح،<sup>(٤)</sup> يقول:

(١) حارم القرطاجني ، ١٢٠

(٢) السابق ، ١٢٥

(٣) أبو البركات الأنباري ، ٢٦٦/١ ، مسألة رقم ٥٢

وَأَنْصَبُ «بِلا» الإِسْمَ وارْفَعْ ماغدا خَبْرًا وَلِتَجْعَلَ الإِسْمَ بِالتَّنْكِيرِ مُتَّسِمًا<sup>(١)</sup>

٢- تَبْنَى رَأْيَ الكُوفِيِّينَ فِي ناصِبِ المُسْتَثْنَى بَعْدَ «إِلا» فِي حَالَةِ الإِثْبَاتِ، حَيْثُ يَرَى فَرِيقٌ مِنَ الكُوفِيِّينَ أَنَّ ناصِبَهُ هُوَ «إِلا» بِنَفْسِهَا، وَيَرَى فَرِيقٌ مِنْهُمُ أَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ (إِنْ) وَ(لَا)، وَذَهَبَ البَصْرِيُّونَ إِلَى أَنَّ الناصِبَ هُوَ الفِعْلُ أَوْ مَعْنَى/بِتَوَسُّطِ الفِعْلِ «إِلا»<sup>(٢)</sup>.

يقول حازم:

وَنَصَبُ الأَسْمِ «بِإِلا» وَاجِبٌ أبدأً فِي وَاجِبٍ، فَالتَّزِمُ فِي ذاكَ ما التَّزِمَا<sup>(٣)</sup>

٣- اسْتَعْمَلَ فِي نِظْمِهِ تَرْكِيباً يَمْنَعُهُ البَصْرِيُّونَ وَيَجِيزُهُ الكُوفِيُّونَ، وَهُوَ مَجِيءٌ «أَوْ» بِمَعْنَى الواو<sup>(٤)</sup>، يَقُولُ:

فَ «إِنَّ» «أَنَّ» لَهَا أَخْتٌ مَذْرُوتُضِعَا ثَدِي التَّشْبَهُ بِالأَفْعَالِ ما فُطِمَا

وَعَدُّ «لَكِنْ» أَخْتًا، أَوْ «كَأَنَّ» لَهَا «وَلَيْتَ»، ثُمَّ «لَعَلَّ» المُرْتَجِي بِهِمَا<sup>(٥)</sup>

فَقَوْلُهُ: (أَوْكَأَنَّ) يَعْنِي بِهِ (وَكأَنَّ) لِأَنَّهُ يَقْصِدُ تَعْدَادَ أَخواتِ «إِنَّ»، وَرَأْيُ البَصْرِيِّينَ يَمْنَعُ ذَلِكَ، وَيُؤَوَّلُونَ ما وُردَ مِنْهُ.

- 
- (١) حازم القرطاجني ، ١٢٨  
(٢) أبو البركات الأنباري ، ٢٦٠/١ ، مسألة رقم ٢٤  
(٣) حازم القرطاجني ، ١٢٨  
(٤) أبو البركات الأنباري ، ٤٢٨/١ ، مسألة رقم ٦٧  
(٥) حازم القرطاجني ، ١٢٦



٤- استعمل حازم مصطلح «الخفض» كثيراً، وهو مصطلح كوفي، ويقابله عند البصريين الجر<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: الإشارة إلى الخلاف:

أشار حازم القرطاجني غير ما سبق ذكره إلى الخلاف في موضعين:

١- يقول في الناصبات لثلاثة مفاعيل:

وقاس بالهمزة النقل ابن مسعدة في باب «ظن» وفيه خالف القدما<sup>(٢)</sup>

يشير إلى مخالفة الأخفش سعيد بن مسعدة النحويين في قياسه تعدية «ظن» بالهمزة

على علم ورأى يقول في الهمع: ( وزاد الأخفش وابن السراج أظن وأحسب وأخال وأزعم وأوجد قياساً على أعلم وأرى ولم يسمع<sup>(٣)</sup> ).

٢- أشار إلى الخلاف في الاستثناء بقوله:

والقول في باب الاستثناء متسع وقد تخالف فيه الجلة الزعما

وقد تبلة قوم فيه لا سيما من عد «بلة» في الاستثناء ولا سيما<sup>(٤)</sup>

(١) مهدي المخزومي ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ٢١١ .  
(٢) حازم القرطاجني ، ١٢٢ .  
(٣) السيوطي ، همع الهوامع ، ١٥٩/١ .  
(٤) حازم القرطاجني ، ١٢٨ ، وانظر الخلاف في الاستثناء وفي ( لا سيما ) و( بلة ) في : السيوطي ، همع الهوامع ، ١/٢٢٤ - ٢٢٦ .

## القسم الثاني

### اللغات في المنظومات النحوية

#### مفهوم اللغة

يطلق مصطلح اللغة ليدلّ على غير مفهوم، فقد يطلق ويرادُ به (مجموعة الأصوات التي يعبرُ بها كلُّ قومٍ عمّا في نفوسِهِم) <sup>(١)</sup> كما عرّفها ابنُ جنّي، ويطلق مصطلح اللغة أيضاً ويرادُ به المرادف لمصطلح اللهجة، مع أنّها فرقاٌ دقيقاً إذ خصّص الدكتور عبد الوهاب حمودة اللهجة بكونها أسلوب أداء الكلمة إلى السامع <sup>(٢)</sup>.

ومصطلح اللغة الذي يعنينا هو ماخالف الأغلب في الاستعمال ولم يكن شاذاً أو نادراً، بل يكون مختصاً بقبيلة من القبائل <sup>(٣)</sup>.

ولعلّ أول من استعمل مصطلح اللغة واللغات للدلالة على المخالف أبو عمرو بن العلاء، يقول الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني: (أطلق أبو عمرو بن العلاء

(١) ابن جنّي، الخواصم، ٢٢/١، مع قليل من التصرف.

(٢) فتحي عبد الفتاح الدجني، لغات العرب، ٢٥، نقلاً عن: عبد الوهاب حمودة، القراءات واللهجات، ص ٤.

(٣) انظر الحاشية اللاحقة والنسب المنقول فيها.

كلمة لغاتٍ على ما خالفه من لغاتِ العرب، ونحبُّ أن نبيِّنَ في هذا الشأنَ أنَّ المخالِفَ في كلامِ العرب ليسَ شاذًّا أو نادراً بل يكونُ مقبولاً عند بعض القبائل (كذا) ومرفوضاً عند بعضها<sup>(١)</sup>.

إذن فالمفهومُ الذي أرتضيه لمصطلح اللغة ما خالفَ الأغلِبَ في الاستعمال من القواعدِ والمفاهيمِ النحوية دون كونه شاذًّا أو نادراً، بل يكونُ منسوباً لقبيلة من القبائل أو لبعض العرب.

### لغات في ألفية ابن مالك:

أشارَ ابنُ مالك في ألفيته صراحةً إلى أربع قبائل في مسائله النحوية، وتقرَّبَ عددُ الإشاراتِ إلى كلِّ من القبائل الأربعة وأشارَ في موضعين إلى لغاتٍ دون ذكر اسم القبائل أو القبيلة المنسوبة إليها اللغة.

### الإشارات إلى لغات القبائل صراحة:

أولاً: قبيلة تميم: ذكر ابن مالك تيمماً في ثلاث مسائل:

١- يقول ابن مالك في باب الاستثناء:

ما استثنيت «الأ» مع تمام ينتصبُ      وبعد نفي أو كنفي انتخبُ

إتباع ما اتصل وانصب ما انقطع      وعن تميم فيه إبدال وقع<sup>(٢)</sup>

يقول ابن عقيل: (وإن كان الاستثناء منقطعاً تعيَّن النصبُ عند جمهور العرب،

(١) فتحى عبدالفتاح الدجني، لغات العرب، ١٨.

(٢) ابن مالك، الألفية، ٢٨.

فتقول: « ما قام القوم إلا حماراً »، ولا يجوز الإتياع، وأجازه بنو تميم  
فتقول (...)<sup>(١)</sup> وقال ابن هشام (... وقيم ترجحه وتجزئ الإتياع)<sup>(٢)</sup>.  
فأورد ابن مالك مخالفة تميم للأغلب في الاستعمال، إذ الأغلب عدم إتياع ما  
بعد « إلا » لما قبلها في الاستثناء المنقطع ونصبه، وخالف في هذه القاعدة بنو  
تميم.

٢- يقول في باب ما لا ينصرف:

وابن علي الكسري فعال علما مؤنثا وهو نظير جشما

عند تميم، واصرفن ما نكرا من كل ما التعريف فيه أثرا<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن عقيل في شرحه: (أي: إذا كان علم المؤنث على وزن فعال- كحذام،  
ورقاش- فللعرب فيه مذهبان:

أحدهما: - وهو مذهب أهل الحجاز- بناؤه على الكسري، فتقول « هذه حذام، ورأيت حذام،  
ومررت بحذام ».

والثاني: - وهو مذهب بني تميم - إعرابه كإعراب ما لا ينصرف للعلمية والعدل،  
والأصل حاذمة وراقشة، فعُدل إلى حذام وراقش، كما عدل عمر وجشم عن  
عامر وجاشم، وإلى هذا أشار بقوله: « وهو نظير جشما عند تميم »<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن عقيل ، ٥٠٢/١

(٢) ابن هشام ، اوضح المسالك ، ١١٦

(٣) ابن عقيل ، ٥٠/٢

(٤) ابن عقيل ، ٢٦٢/٢ - ٢٦٣

ويقول ابن هشام: (... فعالٍ علماً لمؤنث كحذام وقطام في لغة تميم فإنهم يمنعون صرفه...) (١).

أشار ابن مالك إلى لغة تميم في منع صرف حذام ورقاش وشبهها معللاً منع صرفه أنه عومل معاملة «جشم» عندهم، أي كونه معدولاً عن راقشة وحاذمة وكونه علماً.

لكن ابن مالك يبيّن رأيه على لغة أهل الحجاز لقوله: (وابن علي الكسري فعالٍ علماً مؤنثاً). فاختار لغة أهل الحجاز، واختياره هذا لم يمنع من الإشارة إلى مخالفة تميم لما قرره.

٣- يقول ابن مالك في باب العدد:

وقل لدى التانيث إحدى عشرة والشين فيها عن تميم كسرة (٢)

يقول ابن عقيل: (ويجوز في شين (عشرة) التسكين ويجوز أيضاً كسرها وهي لغة تميم) (٣).

ويقول ابن هشام: (... وإذا كانت بالتاء سكنت شينها في لغة الحجازيين وكسرتها في لغة تميم...) (٤).

ثانياً: هذيل

(١) ابن هشام ، أوضح المالك ، ٢٢٧

(٢) ابن مالك ، اللخية ، ٥٤

(٣) ابن عقيل ، ٢٢٠/٢

(٤) ابن هشام ، أوضح المالك ، ٢٦١

أشار ابن مالك إلى قبيلة هذيل صراحةً في مسألة واحدة، وأشار إليها دون ذكر اسمها في موضع آخر.

١- يقول في باب الموصول:

جمع الذي الألى الذين مطلقاً وبعضهم بالواو رفعاً نطقاً<sup>(١)</sup>

يشير إلى استعمال بعض العرب «الذين» كاستعمال جمع المذكر السالم حيث يرفعونه بالواو وينصبونه ويجرّونه بالياء، يقول ابن عقيل: (وبعض العرب يقول: «الذون» في الرفع والذين في النصب والجر، وهم بنو هذيل)<sup>(٢)</sup> وقال ابن هشام: (والذين بالياء مطلقاً. وقد يقال بالواو رفعاً وهي لغة هذيل أو عقيل)<sup>(٣)</sup>، فابن مالك لم يسعفه النظم ليذكر اسم القبيلة المنسوبة إليها اللغة فعبر عن ذلك بقوله (وبعضهم).

٢- يقول ابن مالك في المضاف إلى ياء المتكلم:

وألفاً سلم، وفي المقصور- عن هذيل- أنقلبها ياءً حسن<sup>(٤)</sup>

يقول ابن عقيل: (وإما المقصور فالمشهور في لغة العرب جعله كالمثنى المرفوع فتقول:

«عصاتي، وفتاتي» وهذيل تقلب ألفه ياءً وتُدغِمُها في ياء المتكلم

فتقول: «عَصَيَّ» ومنه قوله: سبقوا هويي...)<sup>(٥)</sup> وقال ابن هشام: (وأجازت هذيل

(١) ابن مالك، الألفية، ١٤

(٢) ابن عقيل، ١٢٥/١

(٣) ابن هشام، أوضح المسالك، ٦١

(٤) ابن مالك، الألفية، ٢٥

في المقصور قلبها ياءً<sup>(١)</sup>.

لم يُشير ابن مالك هنا إلى المشهور من لغة العرب، وهو جعل المقصور كالمثنى المرفوع، بل اكتفى بالإشارة إلى اللغة المخالفة التي هي لغة هذيل، وسمّاها صراحةً.

ثالثاً: طيّ

أشار ابن مالك إلى قبيلة طيّ، صراحةً في موضع واحد من ألفيته، وهو قوله في باب الموصول:

«مَنْ» و«مَا» و«أَل» تساوي ما ذكر وهكذا «ذو» عند طيّ شهر<sup>(٢)</sup>

ذكر ابن مالك الأسماء الموصولة، وأتبعها ب «ذو» اسماً موصولاً في لغة طيّ، وصرح باسم القبيلة - وتكون للعاقِل ولغيره، ويذكر ابن عقيل أيضاً أن طيّاً لها فيها لغات، وأشهرها أن تكون بلفظ واحد: للمذكر والمؤنث، مفرداً ومثنى ومجموعاً<sup>(٣)</sup>.

ويقول ابن هشام: (وأما - ذو - فخاصة بطيّ، والمشهور بناؤها، وقد تعرب)<sup>(٤)</sup>

رابعاً: سلّيم

أشار ابن مالك إلى بني سلّيم مرةً واحدةً في ألفيته صراحةً في قوله في باب ظنّ

- 
- (١) ابن عقيل ، ٢٢/١ ، والبيت لابن ذؤيب الهذلي كما في : حنا حداد ، رقم ١٥٦٢  
(٢) ابن مالك ، الألفية ، ١٤  
(٢) ابن عقيل ، ١٣٠/١ - ١٣١  
(٤) ابن هشام ، اوضح المسالك ، ٢٢

وأخواتها:

وأَجْرِي الْقَوْلُ كَظَنٍّ مَطْلَقًا      عِنْدَ سُلَيْمٍ، نَحْوُ «قُلْ ذَا مَشْفَقًا»<sup>(١)</sup>

يقول ابن عقيل: (أشار إلى المذهب الثاني للعرب في القول، وهو مذهب سليم، فيجرون القول مجرى الظن في نصب المفعولين، مطلقاً أي: سواء كان مضارعاً أم غير مضارع، ووجدت فيه الشروط المذكورة، أم لم توجد، وذلك نحو «قُلْ ذَا مَشْفَقًا»...) (٢).

وقد كان ذكر ابن عقيل قبل ذلك أن القول لا يجري مجرى الظن إلا بأربعة شروط: كونه مضارعاً، وكونه للمخاطب، وكونه مسبقاً باستفهام، والشروط الرابع أن لا يفصل بين الاستفهام والفعل بغير ظرف ولا مجرور ولا معمول الفعل، وذكر ابن عقيل هذه الشروط شرحاً لقول ابن مالك في الألفية جاءت قبل البيت المذكور فيه بنو سليم<sup>(٣)</sup>.

فبعد أن ذكر ابن مالك المشهور من لغة العرب في إجراء القول مجرى الظن وذكر الشروط الأربعة الواجب اجتماعها في القول حتى يتم له ذلك، أشار إلى مخالف هذه القاعدة من العرب، وهم بنو سليم إذ يجيزون ذلك بلا شروط<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن مالك، الألفية، ٢٢.

(٢) ابن عقيل، ٢٨٢/١ - ٢٨٣.

(٣) انظر الأبيات المفسودة في ابن مالك، الألفية، ٢٢، وابن عقيل، ٢٨٠/١.

(٤) فتحي عبدالفتاح الدجني، لغات العرب، ١٣٤.



خامساً:

نسب ابن مالك في موضعين من ألفيته لغةً لبعض العرب دون ذكرهم.

١- يقول في باب المفعول معه:

وبعد «ما» استفهام أو كيف نصب بفعل كونٍ مضمراً بعض العرب<sup>(١)</sup>

يقول ابن عقيل شرحاً لهذا البيت: «حق المفعول معه أنه يسبقه فعل أو شبهه،

كما تقدم تمثيلاً، وسمع من كلام العرب نصبه بعد «ما» و«كيف»

الاستفهاميتين من غير أن يلفظ بفعلٍ نحو: «ما أنت وزيدا؟» و«كيف أنت

وقصعةً من ثريد...»<sup>(٢)</sup>.

أشار ابن مالك إلى أن هذا الاستعمال وهو نصب المفعول معه بعد ما

«استفهام» أو «كيف» كذلك بغير وجود فعل، استعمالاً لبعض العرب، ولم

يذكرهم، ولم يذكر ابن عقيل في شرحه للبيت إلى من من العرب ينسب هذا

الاستعمال.

وهذا الاستعمال مخالف لما عليه البصريون، إذ يشترط البصريون وجود فعلٍ

يعمل في المفعول معه النصب بتقوية الواو<sup>(٣)</sup>، وبما أن هذا الاستعمال ليس شاذاً

ولا نادراً كونه مسموعاً عن بعض العرب فقد عدّ لغة.

٢- يقول ابن مالك في باب تثنية المقصور والمدود وجمعهما تصحيحاً:

(١) ابن مالك، الألفية، ٢٨

(٢) ابن عقيل، ٥٠١/١

(٣) أبو البركات الأنباري، ٢٤٨/١، مسألة رقم ٣٠

ونادرّ أو ذو اضطرارٍ غير ما قدّمته، أو لأنّاسٍ انتمى<sup>(١)</sup>

ويقول ابن عقيل في شرحه لهذا البيت: (يعني أنّ ما جاء من جمع هذا المؤنث<sup>(٢)</sup> على خلاف ما ذكر عدّ نادراً أو ضرورةً أو لغةً لقوم.

فالأول كقولهم: في «جرّوة»: «جرّوات» بكسر الفاء والعين.

والثاني كقوله:

(طويل)

وحملت زفرات الضحى فأطقتها ومالي بزفرات العشي يدان<sup>(٣)</sup>

فسكن عين زفرات ضرورةً، والقياس فتحها إبتاعاً.

والثالث كقول هذيل في جَوْزَة وَبَيْضَة ونحوهما: «جَوَزَات وَبَيْضَات» - بفتح الفاء

والعين - والمشهور في لسان العرب تسكين العين إذا كانت غير صحيحة<sup>(٤)</sup>.

بعد أن شرح ابن مالك شروط جمع المؤنث الثلاثي الصحيح العين ساكنها،

وكذلك عدم كونه لامه واواً مكسوراً الفاء، أو لامه ياءً مضمومة الفاء، بعد شرح

هذه الشروط أخبر ابن مالك أنّ ما خالف واحداً من هذه الشروط فإنه يكون

واحداً من أمور ثلاثة:

(١) ابن مالك، اللغية، ٥٨.

(٢) الذي هو ثلاثي صحيح العين ساكنها، مختوم بتاء أو مجرد عنها، فإذا جمع جمع موعنت سالماً أتبعته عينه فاء في الحركة مطلقاً، انظر: ابن عقيل ٢٥١/٢.

(٣) الشاهد لعروة بن حزام، انظر: حنا حداد، رقم ٢٠٧٨.

(٤) ابن عقيل، ٢٥١/٢ - ٢٥٢.

١- نادراً، كما قال ابن مالك: (ونادراً...) وقال قبل هذا البيت (...وشذ كسر جروة)<sup>(١)</sup>

فمرة عبر عنه بالشذوذ وبعدها عبر عنه بالندرة، ولا تناقض بينهما، إذ معناهما متقاربان في الاستعمال النحوي.<sup>(٢)</sup>

٢- ضرورة، إذ يضطر الناظم والشاعر إلى تحريك ساكن أو تسكين متحرك، ومثل عليه ابن عقيل ب (زفرات) إذ حقه فتح عينه.

٣- لغة، وفي هذا القول إشارة إلى لغة هذيل في باب ما كان عينه حرف علة، ك «جوزة» و «بيضة» و «لوزة»<sup>(٣)</sup>.

أما عن عدم ذكر ابن مالك قبيلة هذيل صراحة فلعله من جهة التزامه الاختصار في ألفيته، ولو ذكر القبيلة في هذا البيت لأخل بهذا الالتزام، إذ لا يمكنه إيراد الاحتمالات الثلاثة لما خالف القاعدة التي يشرحها في بيت واحد مع ذكر اسم القبيلة التي ينتمي إليها ما كان لغة.

قد يقول قائل: إن ابن مالك لو وضع كلمة هذيل مكان كلمة (أناس) لاستقام الوزن ولزاد فائدة بالتصريح باسم القبيلة فيصبح البيت هكذا:

ونادراً أو ذو اضطرار غير ما      قدمته أو لهذيل انتمى

والجواب عن ذلك أن مخالفة القاعدة من جهة كون المخالفة لغة ليس محصوراً في مخالفة هذيل في (جوزة) ونحوها، بل هناك مخالفات أخرى جاءت لغات

(١) ابن مالك، اللعنة، ٥٨.

(٢) فتحي عبدالفتاح الدجني، ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، ٢٨ - ٢٠.

(٣) فتحي عبدالفتاح الدجني، لغات العرب، ٦٩، وانظر: ابن هشام، أوضح

لبعض العرب لم يُسمَّوا، فمن ذلك جوازُ تسكينِ عينِ الاسمِ المرادِ جمعُه إذا كانَ مكسورَ الفاءِ ولم يخالفَ أيًّا من الشروطِ المذكورةِ على أنه لغةٌ لبعض العرب. يقول سيبويه: (ومن العربِ من يقولُ كِسْرَات) (١). يقول الدكتور فتحي الدجني: (ذهب المبردُ إلى القولِ بأنَّ في رِشوةٍ لغتين فتقول: «رِشوات بكسرِ الراءِ ورِشوات بضمِّها») (٢).

وذكر ابن عقيل مثل (رِشوة): (ذِرْوَة) حيث نقلَ فيها وجهين هما: «ذِرْوَات» و «ذِرْوَات» (٣). فالتخصيصُ بذكرِ هذيلٍ دون غيرهم - ولو كانَ بدون تسميةٍ - يفوتُ فائدةً أكبرَ من الفائدةِ التي من الممكنِ أن تُجنى بالتصريحِ باسمِ قبيلةِ هذيلٍ، ولو أشارَ إلى أنَّ قبيلةَ هذيلٍ وغيرها لها في ذلك لغاتٌ لأخلَّ بالتزامه الاختصارُ في ألفيته، يقول ابن مالك في مقدمة الألفية:

تقربُ الأقصى بلفظٍ موجزٍ وتبسطُ البذلُ بوعدهِ منجزٍ (٤)

وبعد، فليسَ من شأنِ هذه الدراسةِ استقصاءُ لغاتِ العربِ في ألفيةِ ابنِ مالك، إذ يحتاجُ هذا إلى دراسةٍ خاصةٍ منفصلةٍ واسعةٍ، لكونِ ابنِ مالكٍ جمعَ في ألفيتهِ النحوَ والصرفَ محاولاً الاستقصاءَ، وقصدنا من هذا البحثِ القصيرِ بيانَ الإشاراتِ الواضحةِ إلى اللغاتِ ومدى سعةِ النظمِ لجزئياتِ النحوِ ومدى إمكانِ

(١) سيبويه ٢٩٧/٢

(٢) فتحي الدجني، لغات العرب، ٦٩، نقلًا عن: المقتضب ٢٧/١

(٣) ابن عقيل، ٣٥٢/٢

(٤) ابن مالك، الألفية، ١

ذلك. إذ يتبين أن هناك عوامل تؤثر في إجراء النظم مجرى النثر، فهناك الوزن والقافية وطول البحر أو قصره، وهناك الاختصار والإيجاز الذي هو قيد آخر يضعه الناظم على نفسه - إن شاء - .

اللغات في ملحّة الإعراب للحريري وميمية حازم القرطاجني:

سبقت الإشارة قبل إلى كلّ من المنظومتين، وأعيد الآن بعضاً من سمات كل منهما:

- ١- طول كل منهما  
ملحّة الإعراب ٣٧٧ بيتاً  
ميمية حازم ٢١٧ بيتاً
- ٢- بحر كل منهما:  
ملحّة الإعراب رجز تام كألفية ابن مالك  
ميمية حازم بسيط
- ٣- قافية كل منهما:  
ملحّة الإعراب متعددة القوافي كألفية ابن مالك  
ميمية حازم رويها ميم مفتوحة (مشبعة)
- ٤- زمان ناظم كل منهما:  
الحريري ٥١٦ هـ  
حازم القرطاجني ٦٨٤ هـ
- ٥- التخصص العلمي لكل منهما:  
الحريري أديب  
حازم بلاغي

وما حداني إلى جمع المنظومتين في درس اللغات هو اشتراكهما في كون كلّ منهما لم يورد في منظومته إشارات إلى لغاتٍ إلا مرتين. وما جعلني أورد السمات السابقة لكل منهما هو إمكان الاستفادة من تيك السمات أو بعضها

في تعليل قلة الإشارة إلى اللغات في كل من المنظومتين. وتفصيل ذلك:

١- المنظومتان متوسطتا الطول، ليستا طويلتين، فلا موضع للاستقصاء فيهما، وتعداد اللغات من باب الاستقصاء.

٢- منظومة حازم على البحر البسيط، وإذا علم أن منظومة العطار ( على البحر الطويل) ومنظومة الشبراوي ( على البحر البسيط) ليس في أيّ منهما إشارة إلى لغة يتبين مدى ضيق البحر المتعدد التفعيلة في التصرف بإيراد اللغات، إذ إن تعدد التفعيلة قيد يضاف على كاهل الناظم.

٣- منظومة حازم على قافية <sup>واحدة</sup> الميم وهذا قيد آخر يقلل من تصرف الناظم في إيراد اللغات.

٤- الحريري متوفى سنة (٥١٦هـ) فهو متقدم بالنسبة لابن معط (٦٢٨)، وابن مالك (٦٧٢هـ)، فلم يكن النظم النحوي في زمانه بشهرته في القرن السابع الهجري وما بعده ولم يكن بسعته واستقصائه الشمولي.

٥- الحريري، أديباً، أشهر منه نحويّاً، وحازم، بلاغيّاً، أشهر منه نحويّاً، فليس من شأن أيّ منهما أن ينظم النحو كما ينظمه النحوي المتخصص العارف بدقائق النحو وجزئياته.

٦- ملحة الإعراب للحريري حافظت على الأهداف المقصودة من النظم النحوي من جهة تسهيل الحفظ وتحبيب النحو إلى النفوس، يتجلى ذلك في:

أ- قصرها ومحاولة ناظمها أن تكون شاملة للنحو.

ب- كثرة التمثيل للبيان والتوضيح.

ج- تركيز الحريري على الأسس في كل باب نظمه دون كثير من الفروع والجزئيات سواء كان ذلك في الخلاف النحوي أم كان في اللغات أو حتى في الوجوه الجائزة، وكذلك قلة التعليقات فيها.

أما إشارات كلٍّ منهما إلى اللغات فقد اتفقا في الإشارة إلى لغة أهل الحجاز في «ما» العاملة عمل ليس.

يقول الحريري:

و«ما» التي تنفي كـ«ليس» الناصبة في قول سكان الحجاز قاطبة<sup>(١)</sup>

ويقول حازم القرطاجني :

والنصب في الخبر المنفي يوجبهُ ذوو الفصاحة من أهل الحجاز بـ«ما»<sup>(٢)</sup>

أشار كلٌّ منهما إلى «ما» الحجازية التي تعمل عمل «ليس» في حال كونها نافية<sup>(٣)</sup>.

يلاحظ على عجز البيتين السابقين أنهما خصّصا للإشارة إلى لغة أهل

الحجاز في «ما» العاملة عمل «ليس» فالناظران ينظران باتّساع، ودون التزام

باختصار أو إيجاز، لكن ابن مالك -مثلا- مع أنه لم يشير إلى لغة الحجاز-

فيها لم يضيغ وحدة وزنية واحدة -تفعيلة، مقطعا- دون مزيد فائدة، انظر إلى

(١) الحريري ، ملحة الاعراب ، ٤٨

(٢) حازم القرطاجني ، ١٢٢

(٣) انظر تفصيل اللغتين الحجازية والتميمية في : فتحي الدجني ، لغات العرب ، ١٠٧ - ١٠٨ ، وكذلك ما أحال عليه من مصادر .

قوله:

إعمال « ليس » أعمِلت « ما » دون « إن » مع بقا النفي وترتيب زكِين<sup>(١)</sup>

فأخبر في هذا البيت أن « ما » تعمل عمل ليس بالشروط التالية:

١- ألا تزداد بعدها « إن ».

٢- دلالتها على النفي وعدم انتقاض النفي بـ « إلا »، ( مع بقا النفي ).

٣- أن يلتزم فيها الترتيب المعلوم الذي هو الأصل (المبتدأ ثم الخبر) أي عدم تقدم

خبرها على اسمها.

أمّا الإشارة الثانية عند حازم القرطاجني فهي في عرضه حروف الجر إذ يقول :

والجرُّ عند هذيلٍ في « متى » لغةً وذلك الحكمُ في استعمالها قَدما<sup>(٢)</sup>

وهو استعمال « متى » حرف جر في لغة هذيل<sup>(٣)</sup>.

وانظر إلى صياغة البيت حيث استدعى شرطاً كاملاً لإتمام البيت بعد إشارته إلى

اللغة بقوله: (وذلك الحكم...) فليس في قوله هذا مزيد فائدة في القول إنَّ حكم

استعمال « متى » حرف جرّ قديم أو جديد؟

والإشارة الثانية عند الحريري في باب إنَّ وأخواتها عند حديثه عن « لعل »،

يقول:

(١) ابن عقيل ، ٢٥٩/١

(٢) حازم القرطاجني ، ١٢٨

(٣) فتحي الدجني ، لغات العرب ، ١١٢



ثمَّ كَانَ ثُمَّ لَكِنَّ وَعَلَى      واللغة المشهورة الفصحى لعل<sup>(١)</sup>

أشار إلى لغتين من لغات «لعل»<sup>(٢)</sup>، وذكر بأن أفصحها وأشهرها «لعل».

في موضع ثالث أشار الحريري عند عرضه جمع المذكر السالم إلى عدم وجود لغات فيه، يقول:

ونصبه وجره بالياء      عند جميع العرب العُرباء<sup>(٣)</sup>

أشار بقوله هذا إلى أن جمع المذكر السالم لا اختلاف عند العرب جميعاً في كونه يُنصبُ ويُجرُّ بالياء، ولعلَّ إشارته تلك تُعدُّ احترازاً من قياس جمع المذكر السالم على المثني - الذي في إعرابه لغات - كي يجزم القارئ أو السامع باختلاف جمع المذكر السالم عن المثني والأسماء الستة<sup>(٤)</sup> في كونه يجري على حالٍ واحدةٍ نصباً وجرّاً دونَ خلافٍ بين العرب في ذلك.

- 
- (١) الحريري ، ملحة الاعراب ، ٤٦  
(٢) ذكر أبو البركات الأنباري عشر لغات ل ( لعل ) ، ٢٢٤/١ - ٢٢٥ ، وذكر سيبريه اللغتين ٢٢٢/٢ .  
(٣) الحريري ، ملحة الاعراب ، ٢٦  
(٤) انظر ، عشى الدجنى ، لغات العرب ، ( المثني ١٨ - ١٠٠ ) ، ( الأسماء الستة ١٠٢ - ١٠٦ ) .

## القسم الثالث

### مصطلحات وعبارات خاصة بالمنظومات

- تمهيد

استعمل العلماء في كلِّ علمٍ ألفاظاً وعباراتٍ لا يستعملونها - في العادة - علماء علمٍ آخر، وصارَ إطلاقُ تيك الألفاظِ والعباراتِ المرتبطةِ بمدلولاتها الخاصّةِ متكرراً عند كلِّ عالمٍ يبحثُ في ذلك العلم، حتى جرى ذلك الاستعمالُ مجرى المثل، وأُطلقَ عليه مصطلحُ (الاصطلاح).

والنحويون - شأنهم في ذلك شأن علماء سائر العلوم الأخرى - وضعوا اصطلاحاتٍ خاصّةً بهم، وكلٌّ منّ نحا نحوهم استعمل مصطلحاتهم وعباراتهم.

والنحويُّ الناظمُ الذي يؤلّفُ ويصنّفُ في النحو شأنه شأن النحاة النّثرين، إلّا في ما يمليه عليه النظم، والقيود التي تفرضها عليه صياغة النحو شعراً.

رأينا في الفصول السابقة - الثاني وما بعده - كيف أنّ النظم يجعل الناظم يسلك سبلاً شتى في تعبيره - خاصّةً في فصل الاستشهاد والتمثيل -، ورأينا العيوب التي يجب على الناظم الاحتراز منها، وكيف أنّ النظم يحدّ من التصريح بالخلاف النحوي في كلّ مسألة، أو اللغات الواردة في اللفظ أو التركيب، فالنظم له تحكّمه وله ضروراته.

ومن تحكّمات النظم وضروراته اضطرار الناظم إلى استعمال ألفاظٍ وعباراتٍ تدلّ على مدلولات المصطلحات، أو التحوير في المصطلح بما يناسب الوزن أو القافية

أو كليهما. فيضطر الناظم إلى تجنب استعمال بعض المصطلحات والاستعاضة عنها بألفاظ تدل على معانيها دلالة لغوية غير اصطلاحية. أو يضطر إما إلى اشتقاق لفظ من المصطلح يستعمله للدلالة على المصطلح، وإما وصف المصطلح بما لا يوصف به عادة في سعة الكلام.

ومن تحكّمت النظم اضطرار الناظم إلى استعمال عبارات وألفاظ لا تستعمل في سعة الكلام.

ويأتي بعد تفصيل ما سبق، لكنني في هذا القسم سأخالف الترتيب الذي وضعته في الفصول والأقسام السابقة، إذ كنت أتناول الناظمين المعنيين بالدراسة في شيء واحدًا واحدًا، وفي هذا القسم سأرتب مادة الدرس ضمن عناوين مشتركة، وأتناول في كل عنوان الناظمين المعنيين واحدًا تلو الآخر.

#### ١-٣-٤ الاستعاضة عن المصطلح بلفظ آخر يندرج تحته

١-١-٣-٤ ابن مالك في ألفيته

استعمل ابن مالك ألفاظاً مستعاضاً بها عن مصطلحات نحوية في المواضع التالية - أذكر المصطلح ثم المستعاض به عنه:-

١- القلة استعمل ابن مالك الفعل «نَزَرَ» أو مصدره «نَزْرًا» في سبعة مواضع<sup>(١)</sup>.

أذكر واحدًا منها للتمثيل.

(١) ابن مالك، الألفية، الصفحات (١٤، ١٦، ٢١، ٤٠، ٥٤، ٥٥).

يقول في باب التمييز:

وعامل التمييز قَدَمٌ مُطْلَقاً <sup>(١)</sup> والفعلُ ذو التصريفِ نَزْرًا سَبْقاً <sup>(٢)</sup>

أي أن التمييز يأتي بعد عامله في الموقع، ولا يتقدم التمييز على عامله عند سيبويه، وأجاز الكسائي والمازني والمبرد تقديمه على عامله المتصرف <sup>(٣)</sup>، وأتبع ابن مالك هذا الرأي الأخير مشيراً إلى قلبه ومعبراً عن ذلك بقوله (نَزْرًا) أي قليلاً.

٢- الشذوذ استعمل ابن مالك المصدر (نَزْر) للدلالة على الشذوذ في باب حروف الجر، يقول:

ومارووا من نحو «رَبُّهُ فَتَى» نَزْرًا كذا «كَهَا» ونحوه أتى <sup>(٤)</sup>

أي أن «رَبُّ» تجر النكرة، ولا تجر المعرفة، وما أتى من نحو ذلك - أن تجر «رَبُّ» الضمير - شاذ <sup>(٥)</sup>، وعبر عن ذلك بـ «نَزْر».

٣ - الاختيار استعمل ابن مالك لفظي «يُنْتَقَى» و «اصْطَفِي» للدلالة على الاختيار.

يقول في فصل بعد باب النداء:

(١) ابن مالك، الألفية، ٢١

(٢) ابن عقيل، ٥٦٥/١

(٣) ابن مالك، الألفية، ٢١

(٤) ابن عقيل، ١٠/٢ - ١١

وإنَّ يَكُنَّ مَصْحُوبَ «أَلِّ» مَانِسِقًا      ففِيهِ وَجْهَانِ وَرَفَعٌ يُنْتَقَى<sup>(١)</sup>

أي: إذا كان المعطوفُ على المنادى متصلاً بـ «ال» فلك فيه وجهان:

النصبُ والرفعُ، والمختارُ الرفعُ.

ويقول في باب «كان» وأخواتها:

وَمَنْعُ سَبْقِ خَيْرٍ «لَيْسَ» اصْطَفِي      وَذُو تَمَامٍ مَا بَرَفَعٍ يَكْتَفِي<sup>(٢)</sup>

أختار هنا عدم جواز أن يتقدم خبر «ليس» عليها<sup>(٣)</sup>، وعبرَ عن اختياره بالفعل «اصْطَفِي».

٤- النقل استعمل ابن مالك الفعلين «نَمِي»<sup>(٤)</sup> و«أَثَرَ»<sup>(٥)</sup> للدلالة على النقل.

٥- الزيادة استعمل ابن مالك لفظي «مُرْتَقِيًا» و«أَرْتَقَى» ولفظ «فائق» للدلالة

على الزيادة:

أ- إنَّ كَانَ عَنِّ ثَلَاثَةَ مُرْتَقِيًا<sup>(٦)</sup>

ب- مَا فَوْقَ الثَّلَاثَةِ أَرْتَقَى<sup>(٧)</sup>

(١) ابن مالك ، ٤٥

(٢) السابق ، ١٨

(٣) انظر النمل الرابع القسم الأول من هذا الجرد .

(٤) ابن مالك ، اللغية ٢٠ ، ٦٩

(٥) السابق ، ٢٨

(٦) السابق ، ٥٧

(٧) السابق ، ٦٠

ج- لما فاق<sup>(١)</sup>.

٦- ياء المتكلم أو ضمير المتكلم استعمل عوضاً عنه «يا النفس»<sup>(٢)</sup>، وسبقت الإشارة إليه<sup>(٣)</sup>.

٧- الحذف، استعمل ابن مالك في موضعين فعلين يدل كل منهما على الحذف، فالأول «بُعْرَى»<sup>(٤)</sup>، والثاني «يُخْتَزَل»<sup>(٥)</sup>.

٨- القياس، استعمل لفظ «احتذي»<sup>(٦)</sup> للدلالة على القياس.

٤-٣-١-٢ الحريري في ملحته.

استعمل الحريري الفاظاً مستعياً بها عن مصطلحات في أربعة مواضع:

١- اسم الفاعل، استعمل بدلاً منه «فاعل» في قوله:

وإن ذكرت فاعلاً منونا فهو كما لو كان فعلاً بيننا<sup>(٧)</sup>

فاستعمل لفظ «فاعل» الذي هو مصطلح للدلول آخر بدلاً من «اسم فاعل»

- (١) ابن مالك، اللغية، ٦٠.
- (٢) السابق، ١٣.
- (٣) انظر صفحة ١٤٠ من العمل الثاني من هذه الرسالة.
- (٤) ابن مالك، اللغية، ٤٤.
- (٥) السابق، ١٥.
- (٦) ابن مالك، اللغية، ٦٦.
- (٧) الحريري، ملحة الاعراب، ٢٥.

لضرورة الوزن، أو أنه أتبع في ذلك سيبويه، إذ استعمل سيبويه لفظ «فاعل»  
ويعني به «اسم فاعل» في عنوان أحد الأبواب: (هذا باب صار الفاعل فيه  
بمنزلة الذي فعل في المعنى، وما يعمل فيه)<sup>(١)</sup>.

٢- الأخبار جمع خبر، أي: خبر المبتدأ، استعمل عوضاً عنها كلمة «الأنباء»  
لضرورة القافية، يقول:

وَسَيِّئَةٌ تَنْتَصِبُ الْأَسْمَاءُ      بها، كما ترتفع الأنبياء<sup>(٢)</sup>

وسبقت الإشارة إليه في قسم القافية من الفصل الثاني.<sup>(٣)</sup>

٣- حرف التعريف، أو أداة التعريف، استعمل للدلالة عليه مصطلح «آلة  
التعريف» في قوله:

وَالْأَلَةُ التَّعْرِيفِ «أَلٌ» فَمَنْ يُرِدْ      تعريف كبدٍ مَبْهَمٍ قَالَ: الْكَبِدُ<sup>(٤)</sup>

٤- استعمل الاسم المحتقر للدلالة على الاسم المصغر<sup>(٥)</sup>.

٤ - ٣ - ١ - ٣ حازم في ميميته.

أكثر حازم القرطاجني من الاستعاضة عن المصطلحات بألفاظ أخرى، إذ ورد

ذلك عنده في عشرة مواضع، والكثرة نسبية، فمع أن عدد أبيات منظومته لم

يجاوز المتين إلا قليلاً فقد ورد عنده ما سبق ذكره، يضاف إلى ذلك أن منظومته ليست

(١) سيبويه ١٠/١٨١

(٢) الحريري، ملحة الاعراب، ٤٥

(٣) انظر صفحة ١٩٢ من الفصل الثاني من البحث.

(٤) الحريري، ملحة الاعراب، ١٨

(٥) السابق ٥٢

رَجَزِيَّةً، بل جاءت على البحر البسيط، ولعلَّ هذا هو المؤثرُ في كثرة الاستعاضة  
عن المصطلحاتِ بالفاظٍ أُخرى.

سأكتفي هنا بذكرِ المصطلحِ والمستعاضِ به عنه مع الإحالةِ على المواضع.

- ١- تَعَدَّى جاز<sup>(١)</sup>
- ٢- الفعل الماضي الفعل الذي انصرما<sup>(٢)</sup>
- ٣- المتعدي لمفعولين لناصرٍ واحداً أو ضعف ذلك<sup>(٣)</sup>
- ٤- جمع التكسير مالانون في جمعه<sup>(٤)</sup>
- ٥- الأفعال الخمسة والحذف للنون في الفعل الذي رَدَفَتْ<sup>(٥)</sup>
- ٦- المختوم (ختموه) ذيلوه بها<sup>(٦)</sup>
- ٧- واو ونون أو ياء ونون مدّ ونون<sup>(٧)</sup>
- ٨- الجمود العقم<sup>(٨)</sup>
- ٩- جمع المؤنث السالم تاء الجموع<sup>(٩)</sup>

---

(١) حازم القرطاجني ، ١٢٦ ، بيت رقم ٦٢  
(٢) السابق ، ١٢٥ ، بيت رقم ٤٠  
(٣) السابق ، ١٢٦ ، البيت رقم ٦٥  
(٤) السابق ، ١٢٩ ، البيت رقم ١٢٥  
(٥) السابق ، ١٣٠ ، البيت رقم ١٢٤  
(٦) السابق ، ١٢٩ ، البيت رقم ١٣٠  
(٧) السابق ، ١٢٩ ، البيت رقم ١٣١  
(٨) السابق ، ١٢٦ ، البيت رقم ٥٥  
(٩) السابق ، ١٢٩ ، البيت رقم ١٢٢



١٠- أفعال القلوب أفعال أفندة<sup>(١)</sup>

٢-٣-٤ التلوين في المصطلح

حور ابن مالك في الفيتة مصطلحين:

الأول: استنداراً موضع الدور في قوله في باب التأنيث:

كذاك خلّطى مع الشقارى وأعزُّ لغير هذه استندارا<sup>(٢)</sup>

الثاني: الخلف موضع الخلاف في ثلاثة مواضع:<sup>(٣)</sup>

وهي من باب استعمال المرادف للمصطلح، ولعلَّ مصطلح الخلف من

مصطلحات المتكلمين.<sup>(٤)</sup>

أما الحريري فقد غيّر مصطلحاً واحداً ثلاثة تغييرات، والمصطلح هو «المفرد»،

والتغييرات هي:

١- المفاريد جمعاً لمفرد<sup>(٥)</sup>

٢- الفرد<sup>(٦)</sup>

٣- المنفرد<sup>(٧)</sup>

(١) السابق، ١٣٠، البيت رقم ١٤٥

(٢) ابن مالك، اللفية ٥٦

(٣) السابق، ٢٨، ٥٢، ٦٦

(٤) التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ٢١١/٢ - ٢٢٠

(٥) الحريري، ملحة الاعراب، ٢٥

(٦) السابق، ٢٢

(٧) السابق، ٥٠

أما حازم القرطاجني فقد غيّر في ثلاثة مصطلحات:

١- المتعدّي لثلاثة مفاعيل أصبح عنده الناصبات لمجموع ثلاثة<sup>(١)</sup>

٢- الفعل الناقص أصبح عنده فعل ناقص<sup>(٢)</sup>

٣- المثني أصبح عنده الاثنان<sup>(٣)</sup>

#### ٤-٣-٣ وصف المصطلح بصفة لا يوصف بها في سعة الكلام.

هذا التغيير في المصطلحات - وهو إتباعها بصفة - وجدت عند الحريري، ولم توجد عند ابن مالك إلا في موضع واحد، ولا عند حازم القرطاجني، وهي كثيرة عند الحريري إذ بلغت عدتها عشرة مواضع، أذكرها وأحيل على صفحاتها:

١- الكلام المنتظم ملحة الإعراب ص ١٥.

٢- المعرفة المشتهرة = = = ص ١٧ ، ٤٩.

٣- نون جمع مخبر = = = ٢٠.

٤- المضارع المستعلي = = = ٢٠.

٥- الاسم الفريد المنصرف = = = ٢٢.

٦- الاعتلال المكتنف = = = ٢٣.

٧- الكلام المؤتلف = = = ٢٤.

(١) حازم القرطاجني ، ١٢٧ ، البيت رقم ٧٤

(٢) السابق ، ١٣٠ ، البيت رقم ١٤٥

(٣) السابق ، ١٣٠ ، البيت رقم ١٣٥

٨- الاسم الصحيح المنصرف == == ٢٧

٩- العدد الأثبات == == ٣٦

١٠- الإضافة المستولية == == ٤٢

ومما يستحق التنبيه عليه أنّ ثمانية من المصطلحات السالفة الذكر وقعت قافيةً، ولعلّ هذه الملاحظة تفسّر وجود هذه الظاهرة وكثرتها، أي أنّ القافية اضطرت الناظم لوصف المصطلح لإتمام الوزن والإتيان بقافية موافقة للقافية السابقة أو اللاحقة.

يُضاف إلى ما سبق أنّ الحريري أورد في منظومته الأسس النحوية، ولم يعن بخلاف أو لغات أو شواهد، بل اقتصر على الأسس والإكثار من التمثيل لها، فأداه هذا الالتزام إلى حشو كلام في أبياته، فكان الإكثار من التمثيل من ثمار هذا الالتزام، وكان وصف المصطلح من ثمار هذا الالتزام أيضاً. أمّا الموضع الذي ورد عند ابن مالك، فقد كان قافيةً، وهو قوله في باب التصريف:

وَالهَاءُ وَقَفَاءُ كـ «لَمْ تَرَهُ» وَاللَّامُ فِي الْإِشَارَةِ الْمَشْتَهَرَةِ<sup>(١)</sup>

٤-٣-٤ استعمال عبارات والفاظ لا تستعمل في التعبير النحوي عادة:

استعمل الناظمون ألفاظاً وعبارات يدرك الملاحظ لها أنّ استعمالها لم يأت إلا

(١) ابن مالك، اللغية، ٦٦

للوزن أو للقافية، وأنَّ النحويَّ في تأليفه النثري لا يستعمل مثلها، وهي كثيرة، سأكتفي بالتمثيل لبعضها ذاكراً البيت الذي وقعت فيه ليتضح ما ذكرته.

١- يقول ابن مالك في باب «أماولولا ولوما»:

أَمَّا كَ «مَهْمَا يَكُ مِنْ شَيْءٍ هُوَ وَفَا لِيَتْلُو تَلْوَهَا وَجُوباً أَلْفَا»<sup>(١)</sup>

فعبّر عن جواب الشرط بقوله: (تلو تلوها - أي: أما-)

٢- يقول ابن مالك في باب التصريف:

فَأَلِفٌ أَكْثَرُ مِنْ أَصْلَيْنِ صَاحِبٌ - زَائِدٌ بِغَيْرِ مَيْنٍ<sup>(٢)</sup>

قوله: (غير مئين) أي: دون كذب، وأتى بها وزناً وقافية.

٣- يقول حازم القرطاجني:

وَانصِبْ كَذَاكَ بِـ «حَاشَا» أَوْ «عَدَا» وَ«خَلَا» وَلَا تَكُونَنَّ فِي مَاقَلْتُ مَتَّهَمًا<sup>(٣)</sup>

وليس في القواعد النحوية وذكرها اتهام - عادةً.

٤- يقول الحريري في باب «لا» النافية:

وَإِنْ تَشَأْ فَافْتَحْهُمَا جَمِيعًا وَلَا تَخَفْ رَدًّا وَلَا تَقْرِبَا<sup>(٤)</sup>

فعجز البيت أتى به لإتمام البيت والإتيان بالقافية، ولا يقال مثله في التأليف النحوي المنشور.

(١) السابق ، ٥٢

(٢) السابق ، ٦٦

(٣) حازم القرطاجني ، ١٦٨ ، البيت ٢

(٤) الحريري ، ملحة الاعراب ، ٤٤ ، واستعمل (أو) فيه بمعنى الواو .

## القسم الرابع

### المصنوع نهوية غريبة

تردّدت في المنظومات النحوية الأحكام النحوية المعروفة عند النحاة واللغويين، وذلك كالجواز والامتناع والوجوب، لكنّ الجديد هنا استعمال الناظمين ألفاظاً غريبة، تدلّ على الأحكام النحوية المعروفة، وسأعرض في هذا القسم القصير من الفصل إلى بعض هذه الألفاظ التي يراد منها إصدار حكم.

أولاً: استعمل ابن مالك لفظ (اعتقد) مرتين في ألفيته، تدلّان على الوجوب، يقول في باب المفعول معه:

والنصب إن لم يجر العطف يجب      أو اعتقد إضمار عامل نصب<sup>(١)</sup>

ففي حالة استحالة تقدير الواو للعطف يجب نصب على المعية، أو على إضمار فعل مناسب، فاستعمل لفظ الاعتقاد للدلالة على الوجوب.

ويقول في باب الحال:

والحال إن عرّف لفظاً فاعتقد      تنكيره معنى ك وخذك اجتهد<sup>(٢)</sup>

دلّ بلفظ الاعتقاد هنا على وجوب تأويل التنكير في الحال الظاهر تعريفه.

ولفظ الاعتقاد أو أحد مشتقاته لا يرد في الأحكام النحوية، إذ هو في الأحكام الفقهية الفرعية غير وارد، فمابالك بأحكام لغوية عملية، إذ الاعتقاد محله

(١) ابن مالك، اللغية، ٢٨.

(٢) السابق، ٢٦.

القلب، أي انعقاد القلب على ما وافق العقل من الأسس الفكرية التي ينبثق عنها أحكام فرعية<sup>(١)</sup>، فالأحكام النحوية واللغوية أحكام عملية تؤدي إلى عمل، وهو استعمال اللغة العربية نطقاً واستدلالاً استعمالاً صحيحاً موافقاً لما قالته العرب.

ثانياً: استعمل ابن مالك ألفاظاً تدل على عدم المنع أي الجواز، منها (لا يصد)، (لن يفندا)، (فلا ملامة)، تفصيل ذلك:

يقول في باب الإضافة:

وَاخْتَرْنَا بِنَا مَتَلُوْا فِعْلٌ بِنِيَا

وَابْنٍ أَوْ أَعْرَبُ مَا كَ «إِذْ» قَدْ أَجْرِيَا

أَعْرَبُ، وَمَنْ بَنَى فَلَنْ يَفْنَدَا<sup>(٢)</sup>

وَقَبْلَ فِعْلٍ مُّعْرَبٍ أَوْ مُّبْتَدَا

فما أضيف إلى الجملة من الظروف جوازاً يجوز فيه الإعراب والبناء، فحكم بالإعراب أولاً، وأفاد بأن من بنى لن يفندا، أي لن يعنف أو يلام، فدل على الجواز.

يقول في باب الإحالة:

تَالِي كَسْرٍ أَوْ سَكُونٍ قَدْ وُلِي

كَذَاكَ مَا يَلِيهِ كَسْرٌ، أَوْ يَلِي

فَ (دِرْهَمًا) مَنْ يَمْلَهُ لَمْ يُصَدَّ<sup>(٣)</sup>

كَسْرًا، وَفَصَّلُ الْهَاءِ لَافْصَلٌ يَغْدُ

فدل على أن من أمال (درهماك) لم يصد، أي لم يمنع، أي يجوز إمالتها، وذلك

(١) انظر تفصيل ذلك في : فتحي محمد سليم ، الاستدلال بالظني في العقيدة ، ( ٥١ ) .

(٢) ابن مالك ، اللغية ، ٢٢ .

(٣) السابق ، ٦٤ .

لفصلِ الهاءِ بين الكسرِ والألفِ الممالةِ، وفصلِ الهاءِ كلاً فصل، كما أخبر.  
يقول في باب الموصول:

مَوْضُوعُ الْأَسْمَاءِ الَّذِي الْأُنْثَى الَّتِي      والياءِ إِذَا مَاثْنِيًّا لَا تُثَبِّتِ.  
بَلْ مَا تَلِيهِ أَوْ لَهُ الْعَلَامَةُ      والنونُ إِنْ تُشَدَّدُ فَلَا مَلَامَةَ<sup>(١)</sup>

أفاد بأن الاسم الموصول إذا ثبته أسقطت ياءه وأثبتت بالنون، وأخبر بجواز تشديد هذه النون (اللذان، اللتين)، وعبر عن ذلك بقوله: (فلا ملامه).

فهذه مواقع ثلاثة استعمل فيها ألفاظاً وعباراتٍ ليدل بها على حكم الجواز حكماً نحويّاً، وهذه الألفاظ والعبارات لم يستعملها النحاة واللغويون أحكاماً نحويةً، ولكنّ النظم والقافية لهما حكمها.

أما الحريريّ ففي استعماله (الاعلام، لاملامه) استعمالها في موضعين دلّ فيهما على الوجوب.

يقول في باب المفعول معه:

وَإِنْ أَقَمْتَ الْوَاوَ فِي الْكَلَامِ      مَقَامَ «مَعَ» فَانصِبْ بِلَا مَلَامٍ<sup>(٢)</sup>

ومعلوم - في النحو - أنّ المفعول معه واجب النصب، مع أنه اضطرّ إلى قوله (بلا ملام) وزناً وقافيةً، فلا لوم على من نصب المفعول معه، بل يقع اللوم عليه إن لم يفعل، فاستفيد من قوله (بلا ملام) الدلالة على الوجوب.

(١) السابق ، ١٤

(٢) الحريري ، ملحة الاعراب ، ٢٢

ويقولُ في بابِ ما لا ينصرف:

وَإِنْ عَرَّاهَا أَلْفٌ وَوَلَامٌ      فَمَا عَلَى صَارِفِهَا مَلَامٌ<sup>(١)</sup>

فحديثه عن المنوعات من الصرف إذا لحقتها ألف ولام، ففي هذه الحالة يجبُ الصرفُ، وعبر ذلك بقوله: (فما على صارفها ملام)، بل إنه يُلام إن لم يفعل ذلك.

وتعبيرُ الحريري عن الوجوب بعدم اللوم ليس في محله - كما يبدو لي - إذ حكمُ الوجوب حتمٌ لازمٌ لا مناص عن التزامه، ولا يُعبرُ للدلالة عليه إلا بالفاظٍ جازمة، أو بالفاظٍ تصحبها قرينة جازمة<sup>(٢)</sup>، ولو استعملها كاستعمال ابن مالك للجواز لأصاب، إذ الجواز يعني الإباحة أو التخيير، والموضع الذي يدخله التخيير أو الإباحة بين أمرين لا يلام مرتكب أي منهما، فجاء استعمال ابن مالك لهذه الألفاظ في محله بخلاف استعمال الحريري الذي يدل على عدم الدقة في اختياره الألفاظ للتعبير عن المراد.

ثالثاً: استعمل ابن مالك الألفاظ تدلُّ على الامتناع، الأولُ منهما في التعجب إذ يقول:

وَفِي كِلَا الْفِعْلَيْنِ قَدْ مَأْ لَزِمَا      مَنَعُ تَصَرُّفٍ بِحُكْمٍ حَتْمًا<sup>(٣)</sup>

(١) السابق ، ٦٠

(٢) يفهم الوجوب إما بالتصريح بلفظه ، وإما بصيغة الأمر أو ما في معناها ثم البحث عن قرينة جازمة تُفيد الوجوب . ( بسلام )

(٣) ابن مالك ، الألفية ، ٢٨



أخبر أولاً بلزوم المنع، وأفاد بعد ذلك بحتمية هذا الحكم، أي وجوب امتناع التصرف في فعلي التعجب. والفعالان مع القرائن المصاحبة يفيدان المنع، فاللزوم والاحتتم يدلان على الوجوب، ولما جاء في سياق منع التصرف دلاً على الامتناع. الموضع الثاني في باب العطف (عطف البيان):

وَنَحْوِ بَشْرٍ تَابِعِ الْبُكْرِيِّ      وَلَيْسَ أَنْ يُبَدَلَ بِالْمَرْضِيِّ<sup>(١)</sup>

فعبّر عن امتناع البدلية هنا بقوله (ليس بالمرضي)، لأن التابع هنا خال من (ال) ومتبوعه الذي أضيف إليه اسم معرف «بال» فيه (ال)، فتمتنع البدلية ويجب عطف البيان، فعبّر عن ذلك بعدم الرضا، أي الامتناع.

أما الحريري فباستثناء ما سبق، استعمل عبارتين للدلالة على الوجوب، الأولى في فصل تقديم الخبر في قوله:

وَإِنْ يَكُنَّ بَعْضُ الظُّرُوفِ خَيْرًا      فَأَوْلَاهِ النَّصَبَ وَدَعَّ عَنْكَ الْمَرَا<sup>(٢)</sup>

فدل بقوله: (فأوله) مع القرائن المصاحبة على وجوب النصب للظرف الواقع خيراً.

ويقول في باب مالم يُسم فاعله:

وَأَقْضِ قَضَاءً لَا يَرُدُّ قَائِلُهُ      بِالرَّفْعِ فِي مَالِمِ يُسَمُّ فَاعِلُهُ<sup>(٣)</sup>

عبّر عن الوجوب هنا بعبارة (اقض)، وأكدته بالمفعول المطلق (قضاء) ووصفه

(١) ابن مالك، الألفية، ٢٢، ونحوه إشارة إلى شاهد سبق الإشارة إليه ص ٢٢٥.  
(٢) الحريري، ملحة الاعراب، ٢١.  
(٣) السابق، ٢٢.

بقوله: (لا يُرَدُّ قائله)، كُئ ذلك تأكيدا على الوجوب، لكن؛ لماذا يلجأ لمثل هذه العبارات؟ فالجوابُ كامنٌ في النظمِ وما يمليه من قيودٍ على الناظمِ النحوي. واستعملَ عبارة (أوله) للدلالة على الوجوبِ في باب الاستثناء:  
وإنَّ يَكُنْ فيما سِوى الإيجابِ      فأوله الإبدالُ في الإعراب<sup>(١)</sup>

فعبارة (أوله) مع القرائنِ المصاحبةِ تدلُّ على وجوبِ إعرابِ المستثنى على موقعه لو لم تكن (إلا) موجودة، وذلك فرما سوى الإيجابِ أي النفي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المنظومات النحوية

### ملخص الرسالة:

المنظومات النحوية هي القصائد والمقطعات التي عُنيَتْ بعرض قواعد نحوية أو صرفية وما يتبع ذلك من شرح لها أو تمثيل عليها، وكان ظهورها ونشأتها مصاحباً لنشأة النظم العلميِّ بعامة، أو ما اصطُحِحَ على تسميته بالشعر التعليميِّ،، ظهرت له إرهاصاتٌ تُنبئُ عن ولادة فنِّ تصنيفيِّ تعليميِّ جديدٍ قُدِّرَ له أن ينمو ويتطور ويجارى التأليف الثريِّ سعةً وانتشاراً وتفريعاً، ووجدت هذه الإرهاصاتُ في العصر الأمويِّ، وكان ظهور هذا الفنِّ في أوائلِ العصرِ العباسيِّ نتيجةً للاستقرار السياسيِّ والتفرغ للتعليم والتعلم على أيدي جلةٍ من العلماء والمعلمين والمؤدِّبين معزَّزاً تفسير ظهوره بكونه تعليمياً بحتاً.

تطوَّر هذا الفنُّ الجديدُ بخطى وثيدةٍ أول الأمر ثمَّ ما لبث أن صار مضماراً يستبقُ فيه العلماء، حتى ظهرت ألفية ابن مالكٍ مبرزةً على ما سواها بما اتَّسمت به من سماتٍ انفرادت بها أو فاقت غيرها بها، وتعالى الشارحون والمعلقون عليها حتى صارت أشهر من نارٍ على علم.

الأمور السابقة هي التي انفرد بها الفصل الأول من هذه الرسالة، وختم بدرسٍ للعوامل التي كانت للنظم في الدرس النحويِّ.

جاء الفصل الثاني دارساً الشكل الشعري للمنظومات النحوية، فدرس القسم الأول منه العروض متعرضاً لمخاض أشهر البحور التي نظم عليها، ودرس كثيراً من الأمور التي يلجئ إليها النظم العروضي. ودرس القسم الثاني منه القافية الشعرية وناقش تعريفاتها ثم تناول عيوب القافية شارحاً إياها، ثم درس بعضاً من المنظومات النحوية من جهة القافية وعيوبها، وحشد البحث عدداً من أمثلة عيوب القافية في المنظومات النحوية، ثم أثار القافية في التعبير النحوي من جهة إلقاء الناظم إلى ضرورات أو تعبيرات يعزُّ وجود مثلها في نثره.

بحث الفصل الثالث في قضيتين رئيسيتين: الاستشهاد والتمثيل في المنظومات النحوية، فعرج القسم الأول على أنواع الشواهد، ثم درجته شمول المنظومات النحوية لأنواعها، ثم فصل هذا القسم في طرائق الاستشهاد التي سلكها الناظمون في أدائهم النظمي، ولما لم يكن كثير من الشواهد آتياً على البحر الذي ينظم فيه الشاعر أو كان غير نوع منها غير موزون، اضطر الناظم إلى التصرف في جل الشواهد التي يحتاجها في نظمها، فتنوع التصرف تصريحاً وتلميحاً وإشارة، إطالة واختصاراً ما بين حذف و تقديم وتأخير وغير ذلك.

تحديد مفهوم التمثيل ودراسة خصائصه عند الناظمين اهتم بهما القسم الثاني من الفصل الثالث، مع التطبيق العملي على كثير من أمثلة المنظومات النحوية. الخلاف النحوي ومذاهب الناظمين ودرس بعض المسائل الخلافية بين المذاهب أو

العلماء كانت القضية الأولى من قضايا الفصل الرابع، ثم خصص القسم الثاني منه لتعرض الناظمين للغات واللهجات وطرائقهم في ذكرها أو الإشارة إليها. الأداء النحوي الشعري يلجئ الناظم إلى استعمال عبارات وألفاظ لا نجد كثيراً من مثلها في أدائه النثري، فباستقراء عدد من المنظومات حصر في القسم الثالث من الفصل الرابع جملة من هذه العبارات والألفاظ، وشبيه بذلك استعمال الأحكام النحوية من وجوب وجواز وامتناع على غير ما وضع لها من الألفاظ في التعبير النحوي، فاختص بذلك القسم الرابع من الفصل الرابع.

أما الجزء الثاني من الرسالة الذي أظلل بجناحيه ملاحظها، فحوى عدداً من الملاحق الضرورية التي لا يستغني عنها باحث مهتم بالموضوع، الملحق الأول خصص للمنظومات التي عُنيت بنظم كتاب نحوي سابق ومتعلقات تلك المنظومات. والملحق الثاني للمنظومات النحوية الأصلية وتوابعها، وتفرع عن الملحق الثاني ملحق ثالث شمل طبقات ألفية ابن مالك ومتعلقاتها، وهي كثيرة جداً، وأتبع الملحق الثلاثة الأولى بملحقين مهمين تابعين لها، كانا بمثابة دليل لتسهيل الفائدة منها، الأول منهما فهرس أعلام تلك الملاحق، وخص بالفهرسة المؤلفين في النظم النحوي ومتعلقاته، والمؤلفين الذين نظمت لهم بعض المؤلفات أو أحدها، ورتب هجائياً على اسم الشهرة للعلم وسميته مفتاح العلم. وضمن معلومات عن العلم وأماكن وروده في الملاحق والصفحات واسم العلم - إن وجد - وسنة وفاته وفهرس الثاني أبيات النظم الأوائل الموجودة في الملاحق

الثلاثة الأولى مرتبةً هجائياً على قافية كل بيت.

ثم أتبعَتُ الملاحقَ السابقةَ كشافاً بالمصادرِ والمراجعِ، وهي متنوعةٌ من جهةِ الصدورِ دورياً أو مرةً أو أكثرَ، ومن جهةِ اللغةِ منها الأجنبيُّ وجلُّها العربيُّ، ومن جهةِ الخطِّ والطبعِ منها المخطوطُ وجلُّها المطبوعُ، ورتبتُها هجائياً على أسماءِ الشهرةِ لمؤلِّفيها. ثم ختمتُ الجزءَ الثانيَ بثبتِ لمحتوياتِ الرسالةِ كلّها وأرقامِ صفحاتِ كلّ منها.

## *Grammatical Poetical Works*

*Grammatical* poetical works are the didactic poems devoted for presenting, explaining, and giving examples for pure grammatical rules. The appearance of this kind of verse was at the same time other kinds of didactic verse; or what is known as (educational verse), appeared. The beginnings of this art showed that a new breed of verse is appearing strongly and will be landmark in classifying and instructing different kinds of knowledge. The first signals could be traced during the omniad era. The real and complete appearance of this art was during the Abbaside era as a result of the political peace and the great care paid for teaching and learning by great educationists, teachers and scientists. This justifies its appearance as being instructive and didactic.

This new art developed slowly at first. Eventually it became a racing track for scientists. At that time "ALFIAT IBN MALIK" appeared. It was unique in its qualities. Several commentators attempted explaining the ALFIA. Thus became a landmark.

This what was discussed in chapter one of the thesis. The factors, which affected grammatical poetical verse, are also discussed in chapter one.

In chapter two I discussed the meters of these poetical works in the first part of the chapter.

The rhyme and the rhythm and the defects the versifiers might have, in composing their verses. The rhythmic balance of some works was fully discussed, stressing on some defects which forced the poet to use some expressions which we can hardly see them in his prose works.

Chapter three discussed two major points



(الاستشهاد والتمثيل) "quoting and giving examples" in the grammatical poetical verse. The first part of the chapter discussed the kinds of quotation (الاستشهاد) the research depends on, and how for the poems included those kinds. The chapter also discussed the methods and technique these poetical works versifiers applied while doing their versification. The research also showed how the versifiers behaved when they faced some rhythmically unbalanced quotations. They couldn't avoid changing some, either directly or indirectly, adding or omitting, and/or rearranging the orders of words. The second part of chapter three attempted to define the conception of giving examples (التمثيل) and its qualities in the different works, giving examples to justify the assumptions from several parts of the grammatical poetical works.

In chapter four, I discussed the grammatical

differences (الخلافاً النحوي) and the versifiers' approaches towards grammar. I studied some of these approaches. The second part of this chapter was devoted for discussing the versifiers' treatment of the several dialects and their methods in using or denoting them.

The grammatical poetical performance obliges the versifier to use some idioms or expressions that one can hardly trace them in his prose works. Some of these expressions were selected and listed from different grammatical poetical works such as applying some grammatical rules where the versifier is free to apply them or not. This was fully discussed in the fourth part of chapter four.

The second part of the thesis included the important postscripts (الملاحق) and appendix which any serious researcher can't avoid mentioning them.

The first appendix contained the grammatical

poetical works which studied previous grammatical poetical works and whatever related to them.

The second appendix contained the original works and their relevant works. This leads to the third appendix which included the several versions of "ALFIAT IBN MALIK" and relevant works. Consequently, the three postscripts were followed by another two to utilize the first three.

The first one is an index including the names of the versifiers of these works. The names were alphabetically arranged. It is called "The Key to Versifiers". It includes information about the versifiers, where was he mentioned in the postscripts, his birth, death etc.

The second index included the first lines of the works mentioned in the three postscripts alphabetically arranged.

An index of the reference books and resources

followed the postscripts. These books vary too much, some are printed others are not, Arabic or English, preodicals or not etc. These were alphabetically arranged according to the names of the writers.

The last part is a list of the contents of the thesis and the number of pages for each.